عوامل ثبات الداعية في عصر العولمة وأسباب ضعفها من منظور القرضاوي: دراسة تحليلية

أبوبكر ثانى حسين

بحث مقدم لنيل الدرجة العالمية العالية (الدكتوراه)

أكاديمية الدراسات الإسلامية

جامعة ملايا

كوالالمبور

2017

University of Malaya

ملخص البحث

تعالج الدراسة إشكاليات عوامل ثبات الداعية وأسباب ضعفها في عصر العولمة، وتسليط الضوء على منظور الشيخ القرضاوي في حال الدعوة والداعية في عصر العولمة، حيث حاول الباحث في هذه الدراسة المرسومة بـ: (عوامل ثبات الداعية في عصر العولمة وأسباب ضعفها من منظور القرضاوي). تركز على الأسباب والعوامل التي تجعل الداعية قادراً في الثبات أمام رياح العولمة، كذلك الأسباب والعوامل التي تجعله ضعيفاً في ثوابته، ثم تطرقت الدراسة إلى المعوقات التي تقف أمامه في هذا العصر المتمثل بعصر العولمة، وطرق التغلب عليها، وأن كثيراً من الدعاة تأثروا بعصر العولمة، حتى أصبحت عاملاً رئيسياً في تغيير الثوابت، حيث لم يحسنوا التعامل معها، فانخرطوا انخراطاً كاملاً للتمتع بالعصر العولمة، وقد تم توضيح ذلك في عرض هذه الدراسة التحليلية من منظور الشيخ القرضاوي وآرائه. ركزت الدراسة على رسم المعالم اللازمة من قبل الداعية للتعامل مع هذه الظاهرة تفاديا الكثير من الآثار الخطيرة السلبية للعولمة، وبيان أسباب قوة وضعف ثبات الداعية إلى الله عز وجل في الفتن والعبادات والأخلاق، لا سيما في عصر العولمة، وإبراز أهم النماذج التي يمكن للداعية الاقتداء بها عبر الحِقب والأزمان لضمان نجاح جهوده في الدعوة إلى الله عز وجل في كل زمان ومكان، وخاصة أمام ظاهرة العولمة، وإيجاد الوسائل التي يمكن للداعية اعتمادها في المحن في واقع الدعوة المعاصرة، ورسم خطة استرتيجية للدعاة المعاصرين تكون عونا لهم في تخطي العقبات والتغلب على معوقات الدعوة في عصر العولمة. كذلك بينت الدراسة أن الداعية مدعوًا لأخذالحيطة والحذر في عصر العولمة حتى لا تُؤثر في مبادئه وثوابته، وأشارت الدراسةكذلك إلى أن ذلك لا يمنع من الاستفادة بما جاءت به رياح العولمة، معيناً به في وضع خطط استراتيجية لسير دعوته، ومن شأن ذلك إعانته على الثبات والنجاح في دعوته. رغم أن السلبيات الموجودة في العولمة أكثر من الإيجابيات الموجودة فيها، وفي الدراسة أُستُخدمت عدة مناهج بحثية تتمثل بالمنهج الاستقرائي: لكون الدراسة تستلزم

University of Malaya

الرجوع إلى مصادر هذا الفن سواء كانت الأصلية أم الفرعية لمعرفة ماهيته وقواعده وأهدافه، كما سيتم جمع المادة العلمية التي أشارت إلى مادة الموضوع بطريقة مباشرة، والنظر في كتب سير القدامى وأقوالهم، والاستفادة من ذلك كله لتأسيس قاعدة متينة لهذه الدراسة. وكذلك المنهج الوصفي التحليلي: لكون محور الدراسي يعتمد على المادة العلمية التي سيتم جمعها لتحليل عناصر الموضوع، وشرح ضرورة ثبات الداعية في عصر العولمة شكلا ومضمونًا.

University of Malaya

ABSTRAK

Pembelajaran memberikan solusi atas setiap masalah-masalah yang berkaitan dengan kegiatan untuk tetapnya para pendakwah dan penyebab-penyebab lemahnya para pendakwah dalam masa global sekarang serta pandangan asy-Syaikh Yusuf al Qardhawi dalam perkara keadaan dakwah dan para pendakwah dalam masa global sekarang, dimana peneliti mencoba mendalami pembahasan tulisan beliau dengan judul: (Usaha-usaha untuk menetapkan para pendakwah dalam masa global dan penyebab-penyebab lemahnya mereka dalam pandangan asy-Syaikh Yusuf al Qardhawi). Pembelajaran fokus pada usaha dan penyebab yang menjadikan para pendakwah mampu untuk bertahan dalam menghadapi angin kencang masa global serta penyebab yang menjadikan para pendakwah lemah dalam bertahan. Kemudian pembelajaran juga fokus pada permasalahan-permasalahan dakwah yang terjadi pada masa global sekarang ini, cara kemenangan atasnya, dan banyak dari para pendakwah terpengaruh dengan masa global sekarang ini bahkan menjadi pemimpin untuk mengubah ketetapan para pendakwah dan berperilaku kurang baik kepada mereka sehingga mereka merusak dakwah karena terpengaruh dengan masa global sekarang ini. Da telah selesai penjelasan semua ini ketika pembelajaran pembahasan ini dan mencari solusi dari pandangan asy-Syaikh Yusuf al Qardhawi. Begitu juga pembelajaran telah menjelaskan bahwa bagi para pendakwah untuk mempersiapkan rencana-rencana dan membentengi diri dari pengaruh masa global sekarang ini sehingga tidak mempengaruhi permulaan dan ketetapan mereka dalam berdakwah. Pembelajaran juga memberikan isyarat bahwa tidak menutup kemungkinan untuk mengambil manfaat dari apa yang dibawa oleh masa global sekarang ini dengan menggunakan strategi dalam berdakwah dan itu akan membantu dalam menetapkan dakwah dan memberikan hasil dari dakwah tersebut. Walaupun yang menolak dakwah

University of Malaya

lebih banyak dari pada yang menerima. Dalam pembelajaran ini digunakan beberapa metode yaitu Metode penelitian: karena pembelajaran mesti merujuk kembali sumber-sumber yang berbicara tentang hal ini baik yang asli mahupun yang dinukil untuk mengetahui hakikat, kaedah-kaedah, dan tujuan-tujuannya sebagaimana akan selesai juga pengumpulan data ilmiyyah yang sesuai dengan pembahasan secara langsung, melihat buku-buku sejarah dan perkataan-perkataan para ulama zaman dahulu, dan mengmabil manfaat untuk membuat kaedah yang kuat untuk pembelajaran ini. Metode pencarian solusi: karena pokok pembelajaran bersandar pada bahan-bahan ilmiah yang akan selesai pengumpulannya untuk memberikan solusi atas permasalahan pembahasan ini dan menjelaskan hal-hal yang penting dalam menetapkan para pendakwah di masa global sekarang baik dari luar mahupun dari dalam.

University of Malaya

ABSTRACT

The research deal with the problems of the conduct and morality of preacher and the reasons for their weakness in the era of globalization according to the Sheikh Qaradawi perspective, in the events of advocacy and preacher in the era of globalization, where the researcher has tried in this thesis, which was entitled to address in the title: (The Strengthening Factors of Da'i in The Era of Globalization and the Causes of Their Weaknessess From Al-Qaradawi Perspective: An Analytical Study).The study also drawing the most important things required by the preacher to deal with this problems in order to avoid a lot of negative and the serious consequences of globalization, and to clarify of the reasons for the strength and the weakness of the preacher's conduct and morality, especially in the era of globalization, and to highlight the most important models that can advocate emulating out across eras and times to ensure the success of his efforts in the parching in every time and at any place, especially in the time of globalization, and to find the means which to advocate and adoption in the reality of contemporary advocacy, and the drawing Strategy plan for contemporary advocates to help them in overcoming the obstacles in the era of globalization.In the study used several research methods which consists of: inductive: its requires to return to the sources whether primary or secondary to know the rules and objectives, and collect the data and scientific materials, to look at the books of old previous scholars, and take advantage in all this study. And descriptive and analytical approach.

University of Malaya

استهلال

قال تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} سورة (يوسف: 108)

وقال تعالى: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآَخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَوَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ} سورة (إبراهيم: 27)

وقال تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} سورة (النحل:125)

وقال تعالى: {وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا} سورة (الإسراء: 74)

وقال تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}سورة (فصلت: 33)

University of Malaya

إهداء

– إلى والديّ العزيزين الكريمين إجلالاً وتقديراً، براً وطاعةً، والفضل لهما،بعد الله تعالى

والله تعالى أسأل أن يتغمدهما برحمته الواسعة، وأن يطيب ثراهما، والجنة مثواهما.

– إلى إخوتي وأخواتي الأجلاءالفضلاء.

إلى رفيقة رحلتي زوجتى المكرمةحباً وامتناناً

..... أُهدي هذا الجهد المتواضع.

University of Malaya

شكر وتقدير

وفى الختام أشكر الله تعالى وأثنى عليه الخير كله، على توفيقه وعونه، فلله الحمد أولاً وآخراً، لا أحصى ثناءً عليه هو كما أثنى على نفسه، لك الحمد ربنا على الدوام ولك الحمد ربنا على التمام ولك الحمد ربنا فى البدء والختام، وأشكره سبحانه أن منّ عليّ بتيسيره في إعداد هذه الرسالة (الدكتوراه) في الدراسات الإسلامية. التخصص الدقيق (الدعوة والتنمية البشرية)

وشكري الخالص لدولة ماليزيا حيث أتاحت لي الفرصة الطيبة للدراسة في أراضيها وجامعتها العريقة العامرة، جامعة ملايا.

ثم أتقدم بالشكر الجزيل والتقدير لفضيلة الشيخ الدكتور أشرف محمد زيدان الدليمي الذي تفضّل بالإشراف على هذه الرسالة، على ما لمسته منه خلال دراستى فى هذه الجامعة الطيبة المباركة من الحرص الدائم على إرشاداته القيمة وحسن توجيهاته الرشيدة ومتابعته، مع ما تحلى به من حسن المعاملة والتواضع، فجزاه الله خير الجزاء عنى وعن جميع إخواني من طلبة العلم الذين أفادوا منه ونهلوا من علمه.

ستَظلُّ تحسَبُك الكواكب كوكبا * ويهزُّ سمعَ الدّهر مِنكَ رميم

ولا يكمل هذا المشروع حتى أتقدم بخالص شكري وامتناني الصادق إلى فضيلة الدكتور فخر الأدبي بن عبد القادر والمشرف الثاني للرسالة على إفادتى وتوجيهي وإرشادى، وحسن معاملته ولين الجانب، فجزاه الله عنى خير الجزاء.

وأخُصُّ بالشكر جامعة ملايا، رئاستها، وأساتذتها، وموظفيها، وعمالها، وكذلك أخص بالشكر جميع الأكاديميين والإداريين في أكاديمية الدراسات الإسلامية بالجامعة عموماً، وقسم الدعوة والتنمية البشرية بالأكاديمية بالجامعة خصوصاً، من عميد، ومسجل، ورئيس القسم، وسائر

University of Malaya

الموظفين والعمال. كما لا أنسى بشيخى وأستاذى الفاضل الذى حفّظني القرآن الكريم الشيخ أبوبكر الصديق بن علي حفظه الله ورعاه ووفقه وهداه لكل خير. وشكري لكل من ساهم وساعد في التخطى لهذه المرحلة وهذه الغاية المنشودة (الدكتوراه)

كما لا يفوتنى أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير، لأعضاء لجنة المناقشة والتقييم، على ما بذلوه من جهد ووقت فى قراءة هذه الرسالة وتقويمها، أثابهم الله ووفقهم لكل خير، اللهَ أسأل أن يسدد خطاهم ويبارك فى جهودهم، وأن يجعل هذا العمل فى ميزان حسناتهم.

وللجميع خالص شكري وتقديري، وجزاكم الله خيراً.

University of Malaya

التعريف بفكرة البحث.

في غمار هذه الحياة وتقلباتها، وما يطرأ على مسيرة البشرية من المستجدات في شتى المجالات التي تواكب المسلم- وخاصة الذي اتخذ الدعوة إلى الله سبيلا- وجب على الداعية أن يكون على علم بتلك المستجدات وكيف يوظفها فيما ينفعه ويثبت على مبادئه دون إفراط أو تفريط.

وبناءً على ما سبق انبجست رغبة في دراسة ما يتعلق بعلاقة الداعية بالعولمة ايجاباً أو سلباً، وكيفية ثباته من خلال ما اشتملت عليه الآيات السابقة، وما جاء في معناها من معالم دعوية واضحة تتجلى في تربية الداعية على تحمل المشاق والصعاب من أجل بلوغ مناه وهو هداية الناس إلى الصراط المستقيم، فكما هو معلوم أن الدعوة إلى الله تحتاج إلى الكثير من التحمل، بل وربما يكون فيها أذى يصيب نفس المؤمن، والإحساس بالمسؤولية مما يجعل الهدف واضحًا أمام الداعية. كل ذلك يحاول فيه الباحث أن يوضح كيف يثبت الداعية في ظل العولمة حتى يمكنه الاستمرار في عمله الدعوي، ولا ينقطع عنه بسبب تيار العولمة التي يمتحن صبر الداعية أكثر من صبر المدعوين.

University of Malaya

الفهارس

فهرس الموضوعات

ملخص البحث بالعربية .....ا

ملخص البحث بالملايو.....ت

ملخص البحث بالإنجليزية .....ج

استهلال.....ح

اهداء.....خ

شكر وتقدير.....د

التعريف بفكرة البحث..... ر

المقدمة.....1

أسباب اختيار الموضوع.....1

أهمية البحث.....2

إشكالية البحث.....2

أسئلة البحث.....3

أهداف البحث.....4

حدود البحث.....4

الدراسات السابقة.....5

منهج البحث.....10

إجراءات البحث.....10

University of Malaya

تفاصيل الخطة.....11

الفصلالتمهيدي: مصطلحات الدراسة ونبذة مختصرة عن الشيخ العلامة القرضاوي

المبحث الأول: نبذة مختصرة عن الشيخ العلامةالقرضاوي 14

المبحث الثاني: القرضاوي داعية العصر بين النظرية والتطبيق 19

المبحث الثالث: مفهوم الثبات في اللغة والاصطلاح.....21

المبحث الرابع: مفهوم الداعية في اللغة والاصطلاح.....23

المبحث الخامس: مفهوم العولمة في الاصطلاح الحديث.....25

الفصل الأول: عوامل ثبات الداعية وأسباب ضعفها في عصر العولمة

المبحث الأول: عوامل ثبات الداعية في عصر العولمة 40

المبحث الثاني: أسباب ضعف ثبات الداعية في عصر العولمة.....45

المبحثالثالث: في الشعائر التعبدية 66

المبحث الرابع: في الثبات على التزام بالأخلاق الإسلامية أمام ظاهرة العولمة 75

الفصل الثاني: نماذج منالدعاة الذين يقتدى بهم في الثبات

المبحث الأول: نماذج يقتدى بها على ثبات الأنبياء.....87

أ – في المحن.....87

ب – في الفتن.....92

ج – في الطاعات.....98

University of Malaya

المبحث الثاني: نماذج يقتدى بها من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وحياة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.....106
أ – في المحن.....106
ب – في الفتن.....112
ج – في الطاعات.....116
المبحث الثالث: نماذج يقتدى بها في حياة السلف الصالح رحمهم الله.....122
أ– في المحن.....122
ب – في الفتن.....131
ج – في الطاعات.....137
المبحث الرابع: ثبات الداعية ودوره في نهضة الأمم، قراءة واستنباط.....139

الفصل الثالث: وسائل الثبات في المحن رؤية معاصرة

المبحث الأول: الثبات الواجب في المحن ووسائله 148
المبحث الثاني: ثواب الثابتين على الحق وفضلهم.....176
المبحث الثالث: الثبات على الحق في رؤية معاصرة 181

الفصل الرابع: معوقات القدرة على الثبات في عصر العولمة، وسبل التغلب عليهامن منظور الشيخ القرضاوي

المبحث الأول: العوارض النفسية.....192
المبحث الثاني: البيئة الاجتماعية.....200
المبحث الثالث: سبل التغلب على المعوقات.....206

University of Malaya

الخاتمة.....215
نتائج البحث 216
التوصيات.....219
فهرس المصادر والمراجع.....221

University of Malaya

مقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وعلى التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد؛

فإن الدعوة الإسلامية تمر في هذا العصر بتحديات كثيرة جعلت الدعوة حملاً ثقيلاً على الدعاة في شتى البلدان والأقاليم، إثر التطورات السريعة في وسائل الإعلام المتنوعة والانتشار الواسع لوسائل التواصل الفردية والاجتماعية الحديثة، مما يحول بين المدعو والداعية، أو يلهي المدعو بالمفضول عما هو فاضل، وهذا ما يجعل الداعية مدعوما لمواكبة هذه التطورات ودراسة أسبابها وخباياها وأهم أغراض مستخدميها وناشريها، حيث نجد من وراء الستار أيدي خفية تلعب بعقول الناس وتحاول استدراجهم إلى ما قد لا تدركه عقولهم الضعيفة أو ثقافتهم المحدودة، ومن بين ما ابتلي به المجتمع الاسلامي عموماً والدعاة خصوصاً في واقعنا المعيش ما يعرف بمصطلح العولمة.

فتماشيا مع متطلبات هذا العصر وتحديات التي تواجه الداعية على أصعدة كثيرة، يأتي هذا البحث تحت عنوان: ((**عوامل ثبات الداعية في عصر العولمة وأسباب ضعفها من منظور القرضاوي دراسة تحليلية**))، محاولاً إعطاء نظرة شاملة ودقيقة عن كيفية الثبات في عصر العولمة، رجاء أن يكون هذا البحث نافعًا وأن يكون عونًا للدعاة في سلوك طريق الدعوة في عصر طغيان العولمة على كل الميادين.

أولاً: أسباب اختيار الموضوع:

تتمثل أسباب اختيار موضوع هذا البحث في النقاط الآتية:

1 – تأثر أكثر المجتمعات الإسلامية في مختلف المجالات بهذه الظاهرة، (ظاهرة العولمة) سببا لزعزعة ثبات الداعية أمام عصر العولمة.

2 – انتشار آثار العولمة الخطيرة السلبية على الداعية و الدعوة الإسلامية.

3– رغبة الباحث الملحة في تقديم سبل نجاح الدعوة الإسلامية واستمرارها.

4– طبيعة الموضوع وصلاحيته للدراسة المفصلة مع شدة حاجة الدعاة إليه خصوصا في هذا العصر المسمى بعصر العولمة.

University of Malaya

5- انتشار وسائل الإعلام بمختلف أشكالها، واستهداف ثقافة المسلم سواء الداعية أو المدعو بغرض إيقاعه في فخ ما يسمى بالعولمة.

6 – مطالبة الغرب بتغيير الخطاب الإسلامي في العالم بما يتفق مع أغراض دعاة الصليبية والصهيونية لتحريف الإسلام دين الله تعالى في الأرض والسماء.

ثانياً: أهمية البحث:

1 –يدافع عن الإسلام، ورد على الانعكاسات الخطيرة السلبية في المجالات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية في المجتمعات الإسلامية.

2 – تنبيه الدعاة إلى الله ليكونوا في يقظة ومعرفة بما يحدث في زمانهم.

3 – بيان عداوة الكفار والمنافقين للإسلام والمسلمين في هذا العصر الذي طغت فيه الحياة المادية على الأفراد والمجتمعات، وهذه العداوة تظهر في بعض الأنظمة السياسية والعولمة الاجتماعية التي تسعى إلى إقصاء الإسلام والمسلمين عن الساحة العالمية بالتهم الملفقة تارة والدعايات الكاذبة، تحت شعارات متنوعة باسم الحرية أو الديمقراطية وحقوق الإنسان تارة أخرى.

4- يأتي هذا البحث مكملاً لغيره من المواضيع في هذا المجال بتغطية هذا الثغرات والوقوف في وجه العدو وتحصين الداعية والمدعو من الخطر الداهم المرسوم بـ (العولمة) وتسليحه بأهم وسائل الصبر والثبات في الطريق إلى الله عز وجل.

ثالثاً: إشكالية البحث:

الإسلام دين الثبات في أصوله لا يتغير أبداً، والذي يتغير هو أسلوب الدعوة إليه، وكتاب الله خير دليل في تغيير الأساليب لما وجد فيه من مكي ومدني، والواقع في العالم الإسلامي يشهد حملة بحاجة إلى ترشيد حتى لا يقع فريسة لتلك الحملات العدوانية.

إن الدعوة إلى الله عز وجل من أجلّ الأمور التي أثقلت كاهل الأنبياء في العصور الغابرة؛ فقاموا بها خير قيام وغاصوا في بحورها حتى وصلت إلى محمد صلى الله عليه وسلم، فواصل البناء من حيث انتهى إليه الأنبياء قبله، فدعى إلى الله تعالى، وبلّغ ما أنزل إليه من ربه.

وفي الآونة الأخيرة تتخذ الدعوة ثوبا مغايرا وطابعا مختلفا في طريقة إيصالها إلى المدعوين بما عهدته في أيامها الأولى، وعليه برزت سطور هذا البحث لكشف اللثام عن العولمة التي عمّت وطمّت وتسرّبت أي وانتشرتْ.

University of Malaya

فمن (ومضات) آثار سلبية للعولمة، القصور في تبليغ الدعوة إلى الله عز وجل من حيث إنها تحول بين الداعية عن الوصول إلى مرمى نبله الذي هو إرشاد الناس إلى الدين القيم.

والثبات هو عمود الدعوة وذروة سنامها للداعي، بحيث لا تزعزعه عواصف الأفكار وتبعات الباطل الذي تسعى إليه العولمة في مجتمعاتنا، فشاهدنا الفساد الأخلاقي وما زلنا نشاهده– والله المستعان وعليه التكلان– فثباته ورسوخ قدميه في مجال الدعوة من دون الميل لدعاة العولمة ومناصريها هو الذي يُعيد للأمة الإسلامية مجدها المؤثل الذي كاد أن يغيب مع أدراج رياح الأفكار التي تدعو إليها العولمة، لكن لا بد من النزول إلى الميدان ومقارعة الحجة بالحجة ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة.

وبما لاحظه الباحث من فقدان خاصية الثبات عند بعض العاملين في الحقل الدعوي، وشبه غياب هذا العنصر الجوهري ضمن مخططات الجماعات الدعوية ما يعيق نجاح معظمها أو يقف حائلا دون تحقيق أهم أهداف الدعوة وتنفيذ برامجها حسب الخطط والأهداف المرسومة.

رابعاً: أسئلة البحث:

تحاول هذه الدراسة الإجابة على الأسئلة التى تدور حول موضوع البحث وهي كالتالي:–

1 – ماهو منظور الشيخ القرضاوي لعوامل ثبات الداعية وأسباب ضعفها؟ من خلال تعامله مع ظاهرة العولمة.

2 – ماأسباب قوة وضعف ثبات الداعية إلى الله عز وجل في الفتن والعبادات والأخلاق في عصر العولمة؟

3 ما أهم النماذج التي يمكن للداعية الاقتداء بها عبر الحقب والأزمان لضمان نجاح جهوده وثباته في الدعوة إلى الله عز وجل وخاصةً أمام عصر العولمة؟

4 – وما هي الآليات والوسائل التي يمكن للداعية اعتمادها في محن عصر العولمة في واقع الدعوة المعاصرة؟

5 – وكيف يمكن أن نرسم خطط دعوية محكمة للدعاة المعاصرين لتكون عوناً لهم على تخطي العقبات التي تواجه الدعوة ومعالجة عوائقها أمام عصر العولمة؟

University of Malaya

خامساً: أهداف البحث:

يسعى هذا البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف، وتتمثل في النقاط الآتية:-

1 – رسم المعالم اللازمة من قبل الداعية للتعامل مع هذه الظاهرة تفاديا لكثير من الآثار الخطيرة السلبية للعولمة.

2 – بيان أسباب قوة وضعف ثبات الداعية إلى الله عز وجل في الفتن والعبادات والأخلاق، لا سيما في عصر العولمة.

3 – إبراز أهم النماذج التي يمكن للداعية الاقتداء بها عبر الحِقب والأزمان لضمان نجاح جهوده في الدعوة إلى الله عز وجل في كل زمان ومكان، وخاصة أمام ظاهرة العولمة.

4 – إيجاد الوسائل التي يمكن للداعية اعتمادها في المحن في واقع الدعوة المعاصرة.

5 – رسم خطة استراتيجية للدعاة المعاصرين تكون عونا لهم في تخطي العقبات والتغلب على معوقات الدعوة في عصر العولمة.

سادساً: حدود البحث:

سيركز الباحث على ثبات الداعية عموماً، وفي عصر العولمة خصوصاً، من منظور الشيخ العلامة القرضاوي، مع إبراز أهم مقومات الثبات وأنواعه وحدوده المتمثل بآراء الشيخ العلامة القرضاوي، مدعومًا بالنماذج والأمثلة الحية من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة الثابتة وسير السلف، وتطبيق هذه الأصول على شخصية الداعية بعد الانفتاح العالمي قي شتى المجالات، لا سيما بعد انتشار مصطلح العولمة وتأثيره على مختلف شرائح المجتمع الإسلامي.

University of Malaya

سابعاً: الدراسات السابقة:

على الرغم من ظهور العديد من البحوث العلمية سيظل موضوع الدعوة والدعاة بحاجة إلى توسيع دائرته وتدقيق معلوماته، وتطوير وسائله وتجديد أساليبه استجابةً لرغبة العاملين في الحقل الدعوي من فقه الواقع والتسلح التام بما يتناسب وحجم التحديات المستجدة والقضايا المعاصرة التي تواجه هذا المشروع الإسلامي في كل عصر ومصر. فطبيعة هذا الموضوع العريض تستلزم استعراض بعض المؤلفات في فن الدعوة لغرض الاستفادة منها وإكمال جوانبها المفقودة أواستدراك مافات أصحابها من دقائق المعلومات، فمن تلكم الكتب ما يلي:

1 –كتاب (خطابنا الإسلامي في عصر العولمة) الشيخ الدكتور القرضاوي، ط:1، (1324هـ 2004م)، دار الشروق، مصر – القاهرة، ص 79. حيث ركز الكتاب على القضايا العصرية خصوصاً، وتوسع في الجوانب المتعلقة الخطاب الإسلامي، وتحدث عن أهمية وضرورة تجديد الخطاب الديني الذي يتواكب مع الواقع، وأضاف أنه لا بد من الداعية أن يجمع بين أصالة الماضي (والأصالة) الحاضر ومعاصرتها، وكشف عن أسرار العولمة بأنواعها وخلص إلى القول بأن الهدف منها هو أمركة العالم تحت شعارات مختلفة منها هيئة الأمم المتحدة، وصندوق النقد الدولي أو المنظمات التجارية والبنك الدولي من أجل تمرير المخططات الغربية وترويجها. وأما هذه الرسالة فإنها تتناول وسائل ثبات الداعية في عصر العولمة، وهو بمثابة تحديد الدواء وتقريبه بعد تشخيص الداء. وإيجاد طرق وسبل تعين الداعية في الثبات على ثوابته في عصر تلك الفتن المتمثلة بالعولمة.

2 –كتاب الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي، (المسلمون والعولمة) د.ط.، د.ن.، د.ت. اهتم الكتاب بقضايا العولمة بشكل مباشر من جميع أطيافها السياسة ولاقتصادية، وفصّل الكلام حول المسار الحقيقي بين العولمة والعالمية،وبين العولمة واستعمار جديد، ثم ذكر أنواع العولمات التي تتمثل من عولمة السياسة،وعولمة الاقتصاد،وعولمة الثقافة،وعولمة الدينية،، وذكر أن من أخطر هذه العولمات هي عولمة السياسية. ثم تطرق إلى العولمة والمستقبل والتغيرات المتوقعة في العالم من صدام الحضارات عبر العولمة، ثم تحدث حول صدام الحضارات والأديان. إلا أن الشيخ القرضاوي لم يربط تلك الأفكار ربطا مباشرا بالدعوة والداعية. وعليه، فإن هذه الرسالة ستتناول القضايا المتعلقة بالعولمة، وربطها بالدعوة والداعية بشكل مباشر.

3–كتاب الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي، (حاجة البشرية إلى الرسالة الحضارية لأمتنا)، د.ط.، د.ن.، د.ت. لقد تحدث في الكتاب حول المسارات والفجوات الموجودة بين الغرب والإسلام، وبين

University of Malaya

حضارة الغرب وحضارة الإسلام، والتصادم الموجود في صراع الحضارات بين الغرب والشرق. وذكر الشيخ القرضاوي بأنها مهما كان الأمر فالبشرية بحاجة إلى رسالة الإسلام الخالدة، ووضح أن هذه الرسالة الإسلامية هي منبع الحضارات والثقافات السليمة التي تناسب الإنسان الحر في الأمور الدنيوية والأخروية. وذكر أن أغلب الحضارات هي منبع العنصرية والطائفية، كالحضارات اليهودية مثلاً. وأما هذه الرسالة ستوضح مدى حاجة الداعية إلى حضارات وثقافات إسلامية ستواكب عصر العولمة، وكيف يتعامل الداعية مع جميع الحضارات والثقافات في أثناء دعوته.

4–كتاب الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي، (الإسلام حضارة الغد)،د.ط.، د.ن.، د.ت. وفي الكتاب تحدث الشيخ الدكتور عن روح الحضارة المعاصرة، وخصائص فكرها، روح الحضارة المعاصرة والجذور الفكرية للحضارة الغربية،وسمات الفكر الغربي وخصائصه، وآفات الحضارة المعاصرة وآثارها على الحياة البشرية،والآثار الإيجابية للحضارة الغربية،والآفات والآثار السيئة للحضارة المعاصرة،والانحلال الأخلاقي،والتفسخ العائلي،والقلق النفسي،والاضطراب العقلي،والجريمة والخوف، خفوت صوت الإيمان في عصرنا. ثم تحدث عن دق أجراس الإنذار من خطر الحضارة المادية،وأن الجميع يشعرون بخطر المادية المحدق،وتحذيرات رجال العلوم، تحذيرات رجال الفلسفة والفكر، تحذيرات رجال الأدب، تحذيرات رجال السياسة،والحضارة التي ينشدها العالم، حكم القرآن على الحضارات المادية.وتحدث عن المجتمع الذي يكونه الإسلام، وأن الإسلام يتمثل في أمة. ثم تحدث عن عقبات في سبيل اهتداء الغرب بالإسلام. وأما هذه الأطروحة ستناقش قضايا العولمة وربطها بمصير الداعية في عصر العولمة، وبسط الحديث عن الآثار الإيجابية لحضارة العولمة التي يجب على الداعية الانتفاع والاستعانة بها في دعوته، والآثار السيئة لحضارة العولمة في هذا العصر، وتحذير الداعية عنها.

5–كتاب الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي (الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة)،د.ط.، د.ن.، د.ت. وتحدث في الكتاب عن القضايا المتعلقة بالثقافة العربية الإسلامية بشكل عام،ومكوناتها وخصائصها، ثم مكونات الثقافة العربية والإسلامية التي تتمثل من الربانية الأخلاقية الإنسانية والعالمية، والتسامح والتنوع والوسطية والتكامل بين الأصالة والمعاصرة. ثم تحدث حول معنى الأصالة والمعاصرة في الإسلام، وضرورة معرفة العصر.

وأما هذا البحث سيطرح القضايا المتعلقة بالعولمة، وربطها بالثقافة والحضارة على خطى الشيخ القرضاوي، وربط تلك المسائل بالداعية بشكل مباشر.

University of Malaya

6 - كتاب محمد موسى الشريف، (الثبات) ط :1، درا الأندلس للنشر والتوزيع، مصر – القاهرة، (1429هـ – 2008م) اهتم الكتاب بكل ما يتعلق بالثبات بصفة عمومية، وأطال النفس في أبجديات الثبات على الإسلام وقضاياه، من أهميته وعوامله حتى بقاءه وهدمه بيد أنه لم يُتطرق فيه إلى المسائل المتعلقة بالعولمة وعصرها، وربطها بالدعوة والداعية، فضلاً عن المقارنة بمنظور الشيخ القرضاوي. وهذه الرسالة هي تشخيص وسائل ثبات الداعية في عصر العولمة، وضرب أمثلة لتلك الوسائل التي قد تعين الداعية في تجاوز محنة فتنة العولمة في حال وجد نفسه أمام تلك الأخطار التي قد تصرفه عن مهمته الدعوية، والوقوع في تلك الفتن، وذلك في منظور الشيخ القرضاوي بشكل موجز غير مخل.

7 – كتاب (ثقافة الداعية) الشيخ الدكتور القرضاوي ط: 10، الناشر: مكتبة وهبة، مصر – القاهرة، (1416هـ – 1996م) من أحدث البحوث الدعوية التي أصّلت قضية الثقافة على اختلافها أنواعها من الثقافة الإسلامية، والثقافة التاريخية، والثقافة الأدبية واللغوية، والثقافة العلمية، والثقافة الإنسانية، وأخيرا أشار المؤلف إلى الثقافة الواقعية. والقاسم المشترك بين هذا الكتاب وهذه الرسالة هو موضوع البحث وقضاياه العامة حيث تناول الكتاب مسألة الدعوة والمدعو من زاوية بطريقة يستطيع الداعية فهمها بشكل سلس، وخاصة في عصر العولمة، غير أن هذه الرسالة ركزت على الثبات وأنواعه ومقوماته في عصر العولمة. وكذلك أيضا مسألة ثبات الداعية عبر العصور، مع التركيز على عصر العولمة.

8 –كتاب أحمد أبو زيد، (منهاج الداعية) من منشورات رابطة العالم الإسلامي، ويتكون الكتاب من خمسة أبواب، في الباب الأول تكلم عن ثقافة الداعية، وفي الباب الثاني ذكر أخلاق الداعية، وفي الباب الثالث ركز على وظيفة الداعية، وفي الباب الرابع ناقش قضية الداعية وجمهور الدعوة، وفي الباب الأخير تكلم عن مناهج الدعوة ووسائلها، حيث أنه تناول موضوع الدعوة بشكل متسلسل وعمومي بدون تخصيص، غير أن هذا البحث سيتناول قضايا المتعلقة بثبات الداعية في عصر العولمة.وذكر الأسباب التي تصرف الداعية للميل إلى شهوات العولمة، وتقديم العلاج والوقاية الكافية التي تقود الداعية إلى النجاح في ثباته ودعوته، وغير متؤثر بالآثار السلبية التي أتت بها موجة العولمة في عصرنا هذا.

9 –كتاب عبد الحميد هنداوي، بعنوان: (منهج الدعوة في واقعنا المعاصر) وهو من منشورات دار الآفاق العربية، حيث احتوى الكتاب على أربعة فصول، تعرض الكاتب في الفصل الأول للرصد التاريخي لمنهج الدعوة وتطوره عبر العصور، وفي الفصل الثاني ناقش معالم المنهج الدعوي ووسائله

في القرآن الكريم والسنة النبوية. وهكذا تناول موضوع الدعوة بشكل عمومي وعصري، وكان جل اهتمام الكتاب على النظر في مناهج الدعوة وأساليبها في واقعنا المعاصر، ولم يتطرق لقضية ثبات الداعية في هذا العصر.فالرسالة تتحدث عن مسألة حساسة، وهي ثبات الداعية على ثوابته عبر العصور، والتركيز على عصر العولمة في منظور الشيخ القرضاوي بشكل مختصر.

10 – كتاب حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار، الذي هو بعنوان: (الدعوة في القرآن دراسة تأصيلية) ركز الباحث على استنباط وسائل الدعوة وأساليبها من خلال النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة. ولم يتطرق إلى موضوع العولمة وثبات الداعية في عصرها.وأما هذه الأطروحة فستتناول القضايا المتعلقة بالعولمة في عصرنا هذا، وكيف يتعامل الداعية مع تحديات العولمة في هذا العصر، وكيف يستطيع الداعية التمييز بين إيجابيات العولمة وسلبياتها، وكيف يستعين ويستفيد بتلك الإيجابيات من خلال دعوته، لكي يتحقق النجاح.

11 – كتاب إبراهيم النعمة ، بعنوان: (فقه الدعوة والداعية) تحدث الكاتب عن وسائل الدعوة وأسالبيها وابتلاءات الدعاة بصفة عمومية، ولم يفصل القول في الأمر.

وأما هذا البحث فسيتناول مسألة حساسة وهي ثبات الداعية على مر العصور، وتركيزاً في النهاية على عصر العولمة.وتشخيص سبل العلاج والوقاية، واستراتيجية التعامل مع واقع العولمة في عصرنا هذا، وكيفية جمع أصالة الماضي (والأصالة) الحاضر المعاصرة من قبل الداعية دون تأثرٍ سلبي بشهوات العولمة والحاضر.

12 – كتاب محمد أبو الفتح البيانوني، بعنوان: (بصائر دعوية) وهو من منشورات دار السلام: ركز الكاتب على بصائر دعوية، وتناول مسألة وسائل الدعوة وأساليبها، كما تناول المشكلات والعقبات الدعوية، غيرَ أنه لم يطل النفَس في الموضوع بل تناوله بصفة مختصرة وأخيرًا ذكر بصائر دعوية متفرقة مع عقد بعض الأمثلة. وأما هذه الأطروحة ستتناول موضوع العولمة بالتوسع، وتكييفها مع حال الداعية، وربطها بالعلاج والوقاية أمام سلبيات العولمة، وانغماس الداعية في إيجابيات العولمة لاستفادة منها كسبل ووسائل عصرية للدعوة.

13 – كتاب محمد خير يوسف، بعنوان: (الدعوة الإسلامية مفهومها وحاجة المجتمعات إليها) من منشورات دار طريق: وأما هذا الكتاب فتناول مفهوم الدعوة وحاجة الناس إليها، وذكر جملة من صفات الداعية ولم يشرح قضية الثبات بشيء من التفصيل فضلا عن أن يذكر أنواع الثبات وغيرها،

University of Malaya

والتي هي من أهم ركائز هذا البحث.وأما هذه الرسالة فستتناول مسألة العولمة وثبات الداعية فيها، والتركيز على عصرنا الحاضر، وذلك في منظور الشيخ القرضاوي بشكل مختصر دون إطناب.

14 –كتاب فضل إلهي، بعنوان: (فضل الدعوة إلى الله تعالى) يقع هذا الكتاب على ثلاث وعشرين مطلبًا، واهتم بشرح مضمون الدعوة إلى الله، وأنها وظيفة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، كما تناول أسباب وصف هذه الأمة بالخيرية، وما إلى ذلك من الأمور العالقة بالدعوة ومعالمها. وهناك أبحاث أخرى في مجال الدعوة إلا أن معظم هذه الدراسات يغلب عليها الشمولية وعدم التخصصية في الأغلب، وعليه يتعين بيان مسألة ثبات الداعية لاسيما في عصر العولمة.وهذا البحث سيتناول القضايا المتعلقة بالدعوة والعولمة معا، وربطهما من ناحية الإيجابيات التي أتت بها العولمة، وكذلك من ناحية السلبيات التي اتت بها العولمة، وإرشاد الداعية في كيفية التعامل مع جميع النواحي للعولمة، ليصبح داعية ناجح.

15 –كتابٌ بعنوان: (الدعوة الإسلامية في ظل العولمة) لأسامة محمد فؤاد مصر – القاهرة.

في الفصل التمهيدي بيان عن جهود علماء المسلمين والمفكرين العرب في غرس قواعد الدعوة الإسلامية المواكبة لعصر العولمة، وأما في الفصل الأول فتطرق إلى عرض مفهوم الدعوة الإسلامية والعولمة دون تفصيل، ثم ناقش في باقي الفصول القضايا المتعقلة بالإيجابيات والسلبيات العولمة، وكيف يستفيد من تلك الإيجابيات، بالإشارة على أن سلبيات العولمة أكثر من إيجابياتها، ثم تطرق إلى وسائل الدعوة على شكل عموم، وأخيراً فصّل القول في دور الأزهر الشريف في نشر الدعوة الإسلامية، لكنه لم يتطرق إلى المسائل المنوطة بثبات الداعية في عصر العولمة، فضلاً من أن يربطها بنظريات الشيخ القرضاوي. وكذلك لم يتطرق إلى إيجاد سبل وطرق للعلاج والوقاية التي ستعين الداعية للخروج من مأزق شهوات العولمة وسلبياتها.

16 – أحمد إبراهية أبو شوك، بحث بعنوان: (الهوية الإسلامية والعولمة الوضعية جدلية الثابت والمتغيرات)مقدم إلى مؤتمر مكة المكرمة الثالث عشر، "المجتمع المسلم ... الثوابت والمتغيرات" برعاية رابطة العالم الإسلامي مكة المكرمة، بتاريخ : 4 – 5 ذو الحجة / 1432هـ الموافق 20 – 21/ 10 2012م. هذا البحث متعدد الأطراف ولم يركز على قضية واحدة بل أخذ من كل قضية بطرف، على سبيل التقريب ناقش مسألة العولمة بشكل عام، ابتداءًا من تاريخ ظهورها ثم انتقل بشكل مفاجئ إلى الحركات الإسلامية من أجل الإصلاح، وتكلم بعد ذلك عن تيارات الإحياء الإسلامي بشكل موجز، ثم تطرق إلى التحديات التي تواجه الأطروحات الإسلامية من ناحية نظر الغرب للإسلام.وأما هذه الرسالة فستتناول مسألة مهمة وحساسة، المتمثلة بثوابت الداعية عبر

University of Malaya

عصور التي مرت بها العولمة، والتركيز على عصر العولمة الحديثة، وكيفية التعامل معها سلباً وإيجاباً من قبل الداعية لكي يصبح داعية ناجح أمام موجة ورياح العولمة.

ثامناً: منهج البحث:

يتضح من خلال أسئلة البحث أنه يحتاج إلى استقصاء مادة الموضوع وتحليلها واستنباط ما تيسر من الفوائد منها. ولذلك سيتم اعتماد المناهج الآتية:

1- المنهج الاستقرائي: سيتم توظيف هذا المنهج في الرجوع إلى مصادر هذا الفن سواء الأصلية أو المنقولة لمعرفة ماهيته وقواعده وأهدافه، كما سيتم تتبع وجمع المادة العلمية التي أشارت إلى مادة الموضوع بطريقة مباشرة، والنظر في كتب السير وأقوال القدامى، والاستفادة من ذلك كله لتأسيس قاعدة متينة لهذه الدراسة.

2- المنهج الوصفي التحليلي: لدراسة المادة العلمية التي سيتم جمعها لتحليل عناصر الموضوع، وشرح ضرورة ثبات الداعية في عصر العولمة شكلا ومضمونًا.

تاسعاً: إجراءات البحث:

1 – جمع المادة العلمية المتعلقة بالموضوع من مصادرها الأصلية والمراجع المعاصرة.

2 – دراسة الموضوع وذلك ببيان وآراء الشيخ القرضاوي ومقالات علمائنا المعاصرين.

3 – الاستدلال بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والآثار، وآراء السلف الصالح، واستنباط ما فيها ومناقشته.

4 – عزو الآيات القرآنية إلى سورها، وذكر رقمها حسب المصحف على الرسم العثماني، المطبوع في مطبعة الملك فهد لطباعة ونشر المصحف الشريف بالمدينة المنورة – المملكة العربية السعودية.

5 – ويتضمن فهرس الموضوعات وفهرس المصادر والمراجع.

وحسب الهيكل النظري للبحث الذي تمت الموافقة عليه في قسم الدعوة والتنمية البشرية بأكاديمية الدراسات الإسلامية بجامعة ملايا، وبعد عرض الخطة ومناقشتها وهي كما يلي:

يشمل البحث على المقدمة، وفصل تمهيدي، وأربعة فصول، والخاتمة، فهرس الموضوعات والمصادر والمراجع.

أما المقدمة فتناولت فيها: التعريف بفكرة البحث، وأسباب اختيار الموضوع، وأهيمة البحث، ومشكلة البحث، وأسئلة البحث، وأهداف البحث، وحدود البحث، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وإجراءات البحث، والهيكل النظري للبحث.

University of Malaya

الفصل التمهيدي: تحدثت فيه عن مصطلحات الدراسة ونبذة مختصرة عن الشيخ العلامة القرضاوي.

المبحث الأول: نبذة مختصرة عن الشيخ العلامة القرضاوي.

المبحث الثاني: القرضاوي داعية العصر بين النظرية والتطبيق.

المبحث الثالث: مفهوم الثبات في اللغة والاصطلاح.

المبحث الرابع: مفهوم الداعية في اللغة والاصطلاح.

المبحث الخامس: مفهوم العولمة في الاصطلاح الحديث.

الفصل الأول: عوامل ثبات الداعية وأسباب ضعفها في عصر العولمة.

المبحث الأول: عوامل ثبات الداعية في عصر العولمة.

المبحث الثاني: أسباب ضعف ثبات الداعية في عصر العولمة.

المبحث الثالث: في الشعائر التعبدية.

المبحث الرابع: في الثبات على سميم الأخلاق الإسلامية أمام ظاهرة العولمة.

الفصل الثاني: نماذج من الدعاة الذين يقتدى بهم في الثبات

المبحث الأول: نماذج يقتدى بها على ثبات الأنبياء والرسل عليهم السلام.

أ – في المحن.

ب – في الفتن.

ج – في الطاعات.

المبحث الثاني: نماذج يقتدى بها من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وحياة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

أ – في المحن.

ب – في الفتن.

ج – في الطاعات.

المبحث الثالث: نماذج يقتدى بها في حياة السلف الصالح رحمهم الله.

أ– في المحن.

ب – في الفتن.

University of Malaya

ج – في الطاعات.

المبحث الرابع: ثبات الداعية ودوره في نهضة الأمم: قراءة واستنباط.

الفصل الثالث: وسائل الثبات في المحن رؤية معاصرة:

المبحث الأول: الثبات الواجب في المحن ووسائله.

المبحث الثاني: ثواب الثابتين على الحق وفضلهم.

المبحث الثالث: الثبات على الحق في رؤية معاصرة.

الفصل الرابع: معوقات القدرة على الثبات في عصر العولمة، وسبل التغلب عليها من منظور الشيخ القرضاوي.

المبحث الأول: العوارض النفسية.

المبحث الثاني: البيئة الاجتماعية.

المبحث الثالث: سبل التغلب على المعوقات.

وأما الخاتمة: وفيها نتائج الرسالة وتوصيات.

University of Malaya

الفصل التمهيدي: مصطلحات الدراسة ونبذة مختصرة عن الشيخ العلامة القرضاوي

في هذا المبحث يحاول الباحث شرح بعض المصطلحات المتعلقة بعنوان البحث وتعريفها؛ حتى يتسنى بعدها توظيف المفاهيم وسهولة فهم المحتوى والانتقال من فكرة لأخرى تحت خلفيات ثابتة ودقيقة، ونبذة مختصرة عن الشيخ العلامة القرضاوي، لكون البحث يتعلق بمنظوره الثقافي والفكري، حيث يحوي المبحث أربع مطالب: أولها: نبذة مختصرة عن الشيخ العلامة القرضاوي، ويليه المطلب الثاني: مفهوم الثبات في اللغة والاصطلاح، ويليه المطلب الثالث بعنوان: مفهوم الداعية في اللغة والاصطلاح ويختتم المبحث بالمطلب الرابع والذي هو بعنوان: مفهوم العولمة في اللغة والاصطلاح الحديث.

المبحث الأول: نبذة مختصرة عن الشيخ العلامة القرضاوي.

نشأته:

ولد العلامة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي في إحدى قرى جمهورية مصر العربية، قرية صفت تراب

مركز المحلة الكبرى، محافظة الغربية، وهي قرية عريقة دفن فيها آخر الصحابة موتاً بمصر، وهو عبدالله بن الحارث بن جزء الزبيدي، كما نص الحافظ بن حجر وغيره، وكان مولد القرضاوي فيها في 1926/9/9م وأتم حفظ القرآن الكريم، وأتقن أحكام تجويده، وهو دون العاشرة من عمره.[1]

مؤهلاته العلمية:

التحق بمعاهد الأزهر الشريف، فأتم فيها دراسته الابتدائية والثانوية وكان دائما في الطليعة، وكان ترتيبه في الشهادة الثانوية الثاني على المملكة المصرية، رغم ظروف اعتقاله في تلك الفترة.

ثم التحق بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر، ومنها حصل على العالية سنة 52-1953م، وكان ترتيبه الأول بين زملائه وعددهم مائة وثمانون.

ثم حصل على العالمية مع إجازة التدريس من كلية اللغة العربية سنة 1954م وكان ترتيبه الأول بين زملائه من خريجي الكليات الثلاث بالأزهر، وعددهم خمسمائة.

وفي سنة 1958حصل على دبلوم معهد الدراسات العربية العالية في اللغة والأدب.

---

1 حسين حلاوة، فقه الأقليات عند الشيخ القرضاوي، الدوحة – قطر، د.ط، د.ت ص 10.

University of Malaya

وفي سنة 1960م حصل على الدراسة التمهيدية العليا المعادلة للماجستير في شعبة علوم القرآن والسنة من كلية أصول الدين.

وفي سنة 1973م حصل على (الدكتوراة) بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى من نفس الكلية، عن: "الزكاة وأثرها في حل المشاكل الاجتماعية".[1]

أعماله الرسمية:

عمل العلامة القرضاوي فترة بالخطابة والتدريس في المساجد، ثم أصبح مشرفاً على معهد الأئمة التابع لوزارة الأوقاف في مصر.

ونقل بعد ذلك إلى الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر الشريف للإشراف على مطبوعاتها والعمل بالمكتب الفني لإدارة الدعوة والإرشاد.

وفي سنة 1961م أعير إلى دولة قطر، عميدا لمعهدها الديني الثانوي، فعمل على تطويره وإرسائه على أمتن القواعد، التي جمعت بين القديم النافع والحديث الصالح.

وفي سنة 1973م أسستْ كليتا التربية للبنين والبنات نواة لجامعة قطر، فنقل إليها ليؤسس قسم الدراسات الإسلامية ويرأسه.

وفي سنة 1977م تولى تأسيس وعمادة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر، وظل عميداً لها إلى نهاية العام الجامعي 1990/1989م، كما أصبح المدير المؤسس لمركز بحوث السنة والسيرة النبوية بجامعة قطر، ولا يزال قائما بإدارته إلى اليوم.

وقد أعير من دولة قطر إلى جمهورية الجزائر الشقيقة العام الدراسي 1991/1990م ليترأس المجالس العلمية لجامعتها ومعاهدها الإسلامية العليا، ثم عاد إلى عمله في قطر مديرا لمركز بحوث السنة والسيرة.

حصل على جائزة البنك الإسلامي للتنمية في الاقتصاد الإسلامي لعام 1411هـ.

كما حصل على جائزة الملك فيصل العالمية بالاشتراك في الدراسات الإسلامية لعام 1413هـ.

كما حصل على جائزة العطاء العلمي المتميز من رئيس الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا لعام 1996م.

[1] حسين حلاوة، فقه الأقليات عند الشيخ القرضاوي، مرجع سابق، ص 11.

University of Malaya

كما حصل على جائزة السلطان حسن البلقية (سلطان بروناي) في الفقه الإسلامي لعام 1997م.[1]

جهوده ونشاطاته في خدمة الإسلام:

الأستاذ الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي، أحد أعلام الإسلام البارزين في العصر الحاضر في العلم والفكر والدعوة والجهاد، في العالم الإسلامي مشرقه ومغربه.

ولا يوجد مسلم معاصر إلا التقى به قارئاً لكتاب، أو رسالة، أو مقالة، أو فتوى، أو مستمعاً إلى محاضرة، أو خطبة أو درس أو حديث أو جواب، في جامع أو جامعة، أو ناد، أو إذاعة، أو تلفاز، أو شريط، أو غير ذلك. ولا يقتصر نشاطه في خدمة الإسلام على جانب واحد، أو مجال معين، أو لون خاص بل اتسع نشاطه، وتنوعت جوانبه، وتعددت مجالاته، وترك في كل منها بصمات واضحة تدل عليه، وتشير إليه.وأهم هذه المجالات هي:

مجال التأليف العلمي، مجال الدعوة والتوجيه، مجال الفقه والفتوى، مجال المؤتمرات والندوات، مجال الزيارات والمحاضرات، مجال المشاركة في عضوية المجالس والمؤسسات، مجال الاقتصاد الإسلامي، مجال العمل الاجتماعي، مجال ترشيد الصحوة، مجال العمل الحركي والجهادي.[2]

مجال التأليف العلمي

تبحر الشيخ في هذا المجال، وله العديد من المؤلفات، ومن هذه المؤلفات على سبيل المثال لا على سبيل الحصر:

- كتاب الحلال والحرام في الإسلام
- فقه الزكاة
- مجال الفقه والفتوى
- السنة والبدعة
- الدين والسياسة
- الخصائص العامة للإسلام.[3]

---

[1] مرجع سابق.

[2] حسين حلاوة، فقه الأقليات عند الشيخ القرضاوي، مرجع سابق، ص 14.

[3] حسين حلاوة، فقه الأقليات عند الشيخ القرضاوي، مرجع سابق، ص 9.

University of Malaya

مجال الدعوة والتوجيه

عمل الشيخ القرضاوي في مجالات عدة، ومارس أنشطة كثيرة، بين العمل الأكاديمي والعمل الإداري والثقافي، واشتغل بالفقه والفتوى، والأدب والشعر، وغير ذلك، ولكنه في المقام الأول رجل دعوة، فالدعوة إلى الله هي لحمته وسداه، وهي شغله الشاغل، وهي محور تفكيره واهتمامه وعلمه وعمله. وقد بدأ يمارس الدعوة منذ فجر شبابه، منذ كان طالباً في القسم الابتدائي، من معهد طنطا الثانوي، وعمره حوالي 16سنة، مبتدئاً بقريته، ثم بما حولها، حتى شرق وغرب العالم كله.[1]

مجال المؤتمرات والندوات العلمية

ومن هذه المؤتمرات على سبيل المثال لا الحصر:

المؤتمر العالمي الأول للاقتصاد الإسلامي تحت رعاية جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة.

المؤتمر العالمي الأول لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة تحت رعاية الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

المؤتمر العالمي الأول للفقه الإسلامي بالرياض تحت رعاية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

المؤتمر العالمي الثاني لتوحيد الدعوة وإعداد الدعاة تحت رعاية الجمعية الإسلامية بالمدينة المنورة.

المؤتمر العالمي الأول لمكافحة المسكرات والمخدرات والتدخين تحت رعاية الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

ومهرجان ندوة العلماء بالكهنو بالهند، ومؤتمر الإسلام والمستشرقين الذي نظمته ندوة العلماء بالتعاون مع دار المصفين بمدينة (أعظم كره) بالهند، وقد اختير بالإجماع رئيساً للمؤتمر.

ومؤتمرات السيرة النبوية والسنة الشريفة التي عقدت في أكثر من بلد، وقد انتخب في المؤتمر الذي عقد في قطر نائبا للرئيس.

وندوة التشريع الإسلامي في ليبيا، ومؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة، ومؤتمرات المصارف الإسلامية في دبي وفي الكويت واستنابول وغيرها ومؤتمرات الهيئة العليا للرقابة الشرعية بالبنوك الإسلامية، وندوة "الاقتصاد الإسلامي في مجال التطبيق" في أبو ظبي، وندوات (المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية) بالكويت و"مؤتمرات الزكاة" بالكويت ومؤتمرات رابطة الجامعات الإسلامية بالقاهرة، وغيرها، ومؤتمرات المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية بالأردن، وملتقيات الفكر الإسلامي بالجزائر، ومؤتمر الإعجاز العلمي للقرآن والسنة بإسلام آباد، وندوة الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي بعمان، ومؤتمرات الإسلام والطب بالقاهرة.[2]

---

[1] مرجع سابق، ص 22.

[2] حسين حلاوة، فقه الأقليات عند الشيخ القرضاوي، مرجع سابق، ص 20.

University of Malaya

ثناء العلماء عليه:

وقد تميز الشيخ القرضاوي – بارك الله فيه – بإدراكه العميق في الفقه الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، الذي به يستطيع العالم القائم بمهمة التوجيه والإفتاء أن يميز بين أصول الإسلام وفروعه، وبين الكلي والجزئي، والأهم والمهم. والواقع أن فقه الأولويات هذا الذي أصبح من الضروريات التي تدعو إليها وتلح عليها دواعي العصر ومشكلاته، ينبغي أن يضاف إلى تلك الأسس الثلاثة {العقدية والفقه والفكر}، فتصير به أربعة ...[1]

وكل من اطلع على تلك السيرة المختصرة للشيخ القرضاوي سيتصور مدى مجهوداته القيمة التي قدمها للعالم الإسلامي على قدر الطاقة، علماً بأن عمل البشر لا يخلو من الخلل والأخطاء والزلات، لأن الكمال لله وحده لا شريك له.

[1] الزرقاء مصطفى، حجة العصر وهو من نعمة الله على المسلمين، يوسف القرضاوي، كلمات في تكريمه، القاهرة، دار السلام، د.ط، 2004م، ص 43.

University of Malaya

المبحث الثاني: القرضاوي داعية العصر بين النظرية والتطبيق.

لا شك في عبقرية الشيخ القرضاوي في المجال الدعوي والمعرفي، حيث جمع بين أصالة الماضي و معاصرة الحاضر، وكل من اطلع على نظرياته وأفكاره سيحس على أن الشيخ القرضاوي فهم حقيقة العالم الحالي المتمثل بالعولمة، ثم انطلق إلى دعوته بهذه الحيثية، حيث من نظرياتها التي يثبتها الشيخ دائماً هي أن المسلمين هم أهل حضارة، هم أصحاب حضارة منذ القرون الأولى، وأن المسلمين ليسوا متخلفين أبداً كما يدعي الغرب وسائر الخصوم، حيث يقول القرضاوي: "المسلمون في الماضي كانت لهم الحضارة، وكانوا أصحاب حضارة، هم الآن العالم الثالث كما يُقال، وربما ينسب بعضهم إلى العالم الرابع لو كان هناك عالم الرابع، ولكن المسلمين أقوياء بثقافتهم، بأصول حضارتهم، برسالتهم العظيمة التي أعزالله تعالى بها، برسالة الإسلام، هم أقوياء بهذه الرسالة، وهم يملكون ما لا يملك العالم كله، يملكون الرسالة العامة الخالدة التي تحمل كلمات الله الأخيرة للبشرية، لا يوجد دين يملك وثيقة سماوية سالمة من التحريف والتبديل اللفظي والمعنوي إلا المسلمون، وهو وحدهم هم الذين يملكون القرآن. هذه هي الوثيقة السماوية الوحيدة المحفوظة بحفظ الله..."[1]

وهذه النظرية من أكبر النظريات التي يجب على الداعية فهمها، ومن فهمها نجا، ومن ضل الطريق هلك، وهي من أعظم النظريات التي يتقوى بها الداعية إن تمسك بها، والقرآن الكريم هو حبل الله المتين، لم يُفرط فيه من شيء، جمع كل أنواع الثقافات والحضارات، من تمسك به ربح، ومن هجره غرق، فيه هدى ونور، جمع بين أنواع الماضي والحاضر. لا شك في أن من أعظم الثقافات والحضارات هي القرآن الكريم، من أنار الطريق بالقرآن تثقّف وتحضّر في جميع أنواع الثقافات والحضارات. لذلك كان الشيخ القرضاوي يطبق هذه النظرية على أرض الواقع في عصرنا الحاضر، ويشير إلى أن القرآن هو منبع الثقافات والحضارات القيمة الملموسة الميمونة، القديمة والحديثة.

كانت الشريعة الإسلامية هي التي تقود المجتمع الإسلامي طوال قرون كثيرة، حتى جاء المستعمر فلعب دوراً كبيرا في إفساد المجتمع الإسلامي، وبعدها جاءت العولمة تسعى لنقض عرى الإسلام بجناحها بتأثير سلبي تجاه الشريعة التي كانت أساس المجتمع الإسلامي. ويقول الشيخ القرضاوي: " منذ البداية أن التاريخ الصادق يثبت بوضوح لا ريب فيه أن الشريعة االإسلامية كانت هي الأساس الدستوري والقانوني للمجتمع الإسلامي في جميع أقطار الدول الإسلامية منذ العهد النبوي وعهد الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من الأمويين والعباسيين والعثمانيين لقرون طويلة إلى أن دخل

[1] القرضاوي، لقاءات ومحاورات حول قضايا الإسلام والعصر، – الإسلام والغرب، د.ط، د.ن، د.ت. ج2 ص5.

University of Malaya

الاستعمار بلاد المسلمين، فبدأ يغيّر من أصول المجتمع، ومرتكزاته العقدية، ويحاول تبديل هويته، ومسخ شخصيته، ليتحول من الأصالة والتبعية، في الفكر والتشريع والتقاليد.."[1]

نعم ظلت الشريعة في بلاد المسلمين في طوال التاريخ قبل دخول المستعمر مصدر للدين والقضاء، والحضارة والثقافة، والفتوى والتوجيه، والتربية والتعليم، وتركيب المجتمع الإسلامي، حتى جاء المستعمر فغير الفكر والمنهج، على أساس دعوى العولمة. لذلك الواجب على الداعية محاولة إعادة الناس إلى مسارهم الحقيقي الذي تم صرفهم عنه، مع الأخذ بعين الاعتبار المنافع التي جاءت بها العولمة، لكن العولمة الحالية فيها الإيجابيات والسلبيات، فيها ما ينفع وفيها ما يضر، وعلى الداعية أخذ ما ينفع، وترك ما يضر.

كان للقرضاوي نظريات تواكب العصر الحاضر، وتعطي المسلمين قوة وعزة، وهي تذكير الأمة جمعاء بأن المسلمين لهم سبق في الفضل والكرامة والإنسانية، والثقافة والحضارة، والأمة بحاجة إلى الرسالة الحضارية للمسلمين. ويقول القرضاوي: " وقد رأينا في هذه الصحائف حاجة البشرية الماسة وخصوصا في الغرب المتفوق مادياً – إلى هذه الرسالة التي تمزج المادية والروح، وتصل بين الدنيا والآخرة، وتجمع بين الربانية والإنسانية، وتوفق بين العقل والقلب، وتوازن بين حرية الفرد ومصلحة المجتمع"[2]

والبشرية بحاجة إلى هذه الرسالة الخالدة للمسلمين، والتي تقود البشرية إلى الحق والحياة السعيدة في الدنيا والآخرة، وتنذر عن الحياة المؤلمة في الدنيا والآخرة. وهذه الرسالة ذات ثقافة وحضارة متينة هي مرشد صحيح يرشد إلى الحق، ويحذر عن الظلام. وكل حياة تخلو عن تلك الرسالة فتلك حياة حيوانية لا قيمة لها ولا متاع.

[1] القرضاوي، تاريخنا المفترى عليه، د.ط، د.ن، د.ت. ص 19.

[2] القرضاوي، حاجة البشرية إلى الرسالة الحضارية لأمتنا، د.ط، د.ن، د.ت، ص 6.

University of Malaya

المبحث الثالث: مفهوم الثبات في اللغة والاصطلاح.

يرى الباحث أهمية البدء بمفهوم الثبات على الصعيدي اللغوي والاصطلاحي، أولاً، ومن ثم التفاصيل المتعلقة بالثبات.

معنى الثبات في اللغة:"ثبت ثباتًا وثبوتًا، فهو ثابت وثبيت وثبت، وأثبته وثبته. والثبيت: الفارس الشجاع، كالثبت، وقد ثبت ككرم، ثباتة وثبوتة، والثابت العقل، ومن الخيل: الثقف في عدوه، كالثبيت. والثبات، بالكسر: شبام البرقع، وسير يشد به الرحل".[1]

وقال ابن منظور: "(ثبت) ثبت الشيء يثبت ثباتًا وثبوتًا فهو ثابت وثبيت وثبت، وأثبته هو، وثبته بمعنى. وشيء ثبت: ثابت. ويقال للجراد إذا رز أذنابه ليبيض: ثبت وأثبت وثبت. ويقال: ثبت فلان في المكان يثبت ثبوتا، فهو ثابت إذا أقام به. وأثبته السقم إذا لم يفارقه. وثبته عن الأمر كثبطه. وفرس ثبت: ثقف في عدوه. ورجل ثبت الغدر إذا كان ثابتا في قتال أو كلام".[2]

وأورد صاحب مختار الصحاح: " ثبتَ الشيء من باب دخل و ثَباتاً أيضا وأَثْبَتَهُ غيره وثَبّتَهُ أيضا و أَثْبَتَهُ السقم إذا لم يفارقه وقوله تعالى: (ليثبتوك) أي: يجرحوك جراحة لا تقوم معها وتَثَبّتَ في الأمر واسْتَثْبَتَ بمعنى ورجل ثَبْتٌ بسكون الباء أي ثابتُ القلب ورجل له ثَبَتٌ عند الحملة بفتح الباء أي ثبات وتقول لا أحكم بكذا إلا بثبت بفتح الباء أي بحجة و الثَّبِيتُ الثابت العقل."[3]
ومنه يمكن القول أن الثبات في لغة العرب: هو ضد الزوال، وهو مصدر ثَبَتَ، وهو مأخوذ من مادة (ث ب ت) التي تدل على دوام الشيء، يقال: ثَبَتَ، ثباتًا، وثبوتًا، (أي دام واستقر) فهو ثابت. قال الراغب الأصفهاني رحمه الله تعالى: "الثبات ضد الزوال، يقال: ثبت يثبت ثباتًا، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ ﴾،[4] ورجل ثبتٌ وثبيتٌ في الحرب، وأثبته السقم، ويقال ذلك للموجود بالبصر أو البصيرة، فيقال: فلان ثابت عندي، والإثبات والتثبيت تارة يقال بالفعل، فيقال لما يخرج من العدم إلى الوجود، نحو: أثبت الله كذا، وتارة لما يثبت بالحكم، فيقال: أثبت الحاكم على فلان كذا وثبته، وتارة لما يكون بالقول، سواء كان ذلك صدقًا منه أو كذبًا،

1الفيروزآبادي، القاموس المحيط، بيروت – لبنان، مؤسسة الرسالة، ط:8، 1426 هـ - 2005م ج1 ص191.
2 ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، لسان العرب، بيروت – لبنان، دار صادر - بيروت، ط: 8، 1414 هـ ج2ص19.
3 الرازي،مختار الصحاح، لبنان – بيروت، مكتبة لبنان، د.ت، 1415 – 1995، ج1 ص90.
4سورة الأنفال الآية: 45.

فيقال: أثبت التوحيد وصدق النبوة، وفلان أثبت مع الله إلهًا آخر، وقوله تعالى: ﴿لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ ﴾،[1] أي: يثبطوك ويحيروك، وقوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾ ،[2]أي: يقويهم بالحجج القوية، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾،[3] أي: أشد لتحصيل علمهم. وقيل: أثبت لأعمالهم واجتناء ثمرة أفعالهم، وأن يكونوا بخلاف من قال فيهم: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾،[4] يقال: ثبته، أي: قويته، قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ ﴾،[5] وقال: ﴿ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾[6] وقال: ﴿وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾،[7] وقال: ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا ﴾[98].

معنى الثبات في الاصطلاح:

قال المناوي: "الثبات التمكن في الموضع الذي شأنه الاستزلال"[10].

وقال السيوطي: "وقيل: الثبات من بركت الإبل أي ثبتت على الأرض"[11]. "... ومنه قوله تعالى: "يثبت الله الذين ءامنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة " وأما الداعية: فهو جمع داع وتاؤه للمبالغة وهو من يدعو.[12]

كلا التعريفي المناوي والسيوطي لا تختلف في معناها، أي أن المعنى واحدة.

1سورة الأنفال الآية: 30.

2 سورة إبراهيم الآية: 27.

3سورة النساء الآية: 66.

4سورة الفرقان الآية: 23

5سورة الإسراء الآية: 74.

6سورة الأنفال الآية: 12.

7سورة البقرة الآية: 265.

8سورة البقرة الآية: 250.

9 الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، دمشف وبيروت، دار القلم، الدار الشامية، ط: 1، 1412هـ، ص171.

10المناوي القاهري، فيض القدير شرح الجامع الصغير، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ط:1، 1356هـ ج2ص 130.

[11] السيوطي، الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، خبر – المملكة العربية السعودية،دار ابن عفان للنشر والتوزيع، ط11416 هـ – 1996 م،ج2 ص138.

[12]مرجع سابق، ص 139.

University of Malaya

المبحث الرابع: مفهوم الداعية في اللغة والاصطلاح.

وفي هذا المطلب يقوم الباحث باستعراض المسائل التي تتعلق بمفهوم الداعية في اللغة والاصطلاح بشكل عام.

أولا: الداعية في اللغة

عرف صاحب المحيط الداعية في اللغة قائلا: "رجل مدعو ومدعي، جميعا. وهو داعي قوم وداعيتهم: أي يدعوهم إلى هدى أو ضلال. والمؤذن: داعي الله. والدعاوة والدعوة – بالكسر –: في النسب. والدعوة – بالفتح – في الطعام."[1]

ويقول صاحب كتاب لسان العرب: قال الله تعالى: (وادْعوا شُهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين.... الآية. قال أَبو إسحاق يقول: "ادْعوا من اسْتَدعَيتُم طاعتَه ورجَوْتم مَعونتَه في الإتيان بسورة مثله وقال الفراء وادعوا شهداءكم من دون الله يقول آلِهَتَكم يقول اسْتَغِيثوا بهم وهو كقولك للرجل إذا لَقِيتَ العدوّ خالياً فادْعُ المسلمين ومعناه استغث بالمسلمين فالدعاء ههنا بمعنى الاستغاثة وقد يكون الدُّعاءُ عِبادةً...ودَعا الرجلَ دَعْواً ودُعاءً ناداه والاسم الدعْوة ودَعَوْت فلاناً أَي صِحْت به واسْتَدْعَيْته."[2]

وورد في مختار الصحاح: " الدَّعْوَةُ إلى الطعام بالفتح يقال كنا في دعوة فلان ومَدْعاةِ فلان وهو مصدر والمراد بهما الدعاء إلى الطعام والدِّعْوَةُ بالكسر في النسب والدَّعْوَى أيضا هذا أكثر كلام العرب وعدي الرباب يفتحون الدال في النسب ويكسرونها في الطعام والدَّعِيُّ من تبنيته ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾وادَّعَى عليه كذا والاسم الدَّعْوَى وتَدَاعَتِ الحيطان للخراب تهادمت و دَعَاهُ صاح به و استَدْعاهُ أيضا ودَعَوْتُ الله له وعليه أدعوه دُعَاءً والدَّعْوَةُ المرة الواحدة والدُّعَاءُ أيضا واحد الأدْعِيةُ وتقول للمرأة أنت تدعين وتدعوين وتدعين بإشمام العين الضمة وللجماعة أنتن تدعون مثل الرجال سواء ودَاعِيةُ اللبن ما يترك في الضرع ليدعو ما بعده وفي الحديث: ((دع داعي اللبن.[3]))"[4]

---

[1] الصاحب بن عباد، المحيط في اللغة، مرجع سابق، ج1، ص115.

[2] ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج14، ص227.

[3] أحمد بن حنبل الشيباني، القاهرة، دار الحديث، ط: 1، (1416 هـ - 1995م)، ج 27، ص 255.

[4] الرازي، مختار الصحاح، مرجع سابق، ج1، ص218.

University of Malaya

ثانياً: مفهوم الداعية في الاصطلاح:

"الداعي هو المسلم الدال على الخير، والمحذر عن الشر"[1]

وقيل: " الدَّاعِي هو المكلَّف شرعًا بالدعوة إلى الله"[2]

وأما الدعوة بشكل عام: قال القرضاوي: "الدعوة إلى الله هي: الدعوة إلى دينه، واتباع هداه، وتحكيم منهجه في الأرض، وإفراده تعالى بالعبادة والاستعانة والطاعة، والبراءة من كل الطواغيت التي تطاع من دون الله، وإحقاق ما أحق الله، وإبطال ما أبطل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل لله"[3]

وهذه التعاريف لا تخرج عن معنى واحد، لذلك لا خلاف في التعاريف عند المعنى.

أي أن الداعية يدعو إلى توحيد الله تبارك وتعالى وإفراده بالعبادة لا شريك له، وهذا المبدأ هو الذي كان عليه الأنياء والرسل، وأن أول من يدعون إليه هو التوحيد. وما أرسل الله نبيا أو رسولا إلا وهو يدعو إلى التوحيد أولاً.

University of Malaya

[1] القحطاني،فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ط: 1، 1421هـ،ج 2ص187.

[2] عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، 1421هـ-2001م، مؤسسة الرسالة، ط:1421،9هـ-2001م، ص 305.

[3] انظر: القرضاوي، ثقافة الداعية، مرجع سابق، ص 3.

المبحث الخامس: مفهوم العولمة في الاصطلاح الحديث:

وفي هذا المطلب يرى الباحث أهمية البدء بمفهوم العولمة في اللغة أولاً، ثم العولمة في الاصطلاح الحديث، ثم الخوض في التفاصيل.

العولمة لغة:

بداية، ويمكن الإشارة إلي أن مجمع اللغة العربية بالقاهرة قرّر إجازة استعمال العولمة بمعنى جعل الشيء عالمياً[1].

وإن كان الأكثر واقعياً في معنى العولمة هو السعي لفرض ثقافات وقيَم، تقاليد وعادات منبثقة من العالم الغربي على بقية شعوب دول العالم، وخاصة في الدول النامية، بصيغة تفضي إلى دمج ومزج جميع الحضارات في آن واحد، وذهاب جميع مميزات وخصائص المجتمعات، تأثيراً في العقائد والأديان، علماً بأن أكثر استهدافا هو الدين الإسلامي والمجتمعات الإسلامية؛

"العولمة مشتقة من الفعل عولم على صيغة فوعل واستخدام هذا الاشتقاق يفيد أن الفعل يحتاج لوجود فاعل يفعل، أي أنّ العولمة تحتاج لمن يعممها على العالم".[2]

ويري صاحب كتاب: العرب والعولمة: أن"العولمة ثلاثي مزيد، يقال: عولمة على وزن قولبة، وكلمة "العولمة" نسبة إلى العَالم –بفتح (العين) فاللام – أي الكون، وليس إلى العِلم –بكسر العين– والعالم جمع لا مفرد له كالجيش والنفر، وهو مشتق من العلامة على ما قيل، وقيل: مشتق من العِلم، وذلك على تفصيل مذكور في كتب اللغة. فالعولمة كالرباعي في الشكل فهو يشبه (دحرجة) المصدر، لكن (دحرجة) رباعي منقول، أمّا (عولمة) فرباعي مخترع إن صح التعبير وهذه الكلمة بهذه الصيغة الصرفية لم ترد في كلام العرب، والحاجة المعاصرة قد تفرض استعمالها، وهي تدل على تحويل الشيء إلى وضعية أخرى ومعناها: وضع الشيء على مستوى العالم، وأصبحت الكلمة دارجة على ألسنة الكتاب والمفكرين في أنحاء الوطن العربي".[3]

1حجازي ،محمود فهمي، مقال، ، مجلة الهلال مارس 2001م، عدد القاهرة، ص87.

[2]الدجاني، أحمد صدقي، مفهوم العولمة وقراءة تاريخية للظاهرة"، صحيفة القدس، 1998/2/6م، ص13.

[3]الجابري، محمد عابد، العرب والعولمة، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، د.ط، ،1998م ص 135. أحمد، عزت السيد، انهيار مزاعم العولمة، دمشق، اتحاد الكتاب، د.ط، 2000م، ص 12. باسيل، يوسف، حقوق الإنسان من العالمية الإنسانية والعولمة السياسية، مجلة الموقف الثقافي، العدد 10، 3 تموز عام 1997م، دار الشؤون الثقافية،بغداد، ص17م.

University of Malaya

فالعولمة ليس فقط ربط العلاقات بين المناطق في داخل دولة واحدة، بل هي تربط العلاقات بين الدول حتى يصبح العالم ككيان واحد"[1]

المعنى الحقيقي للعولمة:

فالظاهر أن العولمة لها معنى آخر الذي يختلف في مفهومها الذي عرّفه الغربيون وغيرهم.

والمعنى الحقيقي للعولمة تعني: "عالمية العادات والقيَم والثقافات لمصالح العالم المتقدم اقتصاديا، وبمعنًى آخر: محاولة سيطرة قيَم وعادات وثقافات العالم الغربي على بقية دول العالم خاصة النامي منها، بشكل يؤدي إلى خلط كافة الحضارات، وإذابة خصائص المجتمعات. هذا بالإضافة إلى تهميش العقائد الدينية"[2].

جاء في مجلة اللغة العربية "عَوْلَمة ؛ أي جَعْلُ الشيء عالميًا"[3]. وجاء في نفس المجلة: " وتبرز اليوم في الدائرة الحضارية الغربية محاولات قوى الهيمنة في الولايات المتحدة الأمريكية للتحكم في النظام العالمي، والانفراد بقيادته رافعة شعار "النظام العالمي الجديد"، والسيطرة على الأسواق العالمية من خلال فرض "عولمة" خططت لها الشركات الكبرى عابرة القارات. وقد أصبحت هذه العولمة ظاهرة لها أبعاد أخرى سياسية وفكرية وثقافية، وصار لها ثقافة تعرف بها هي "ثقافة العولمة"، تحاول فرض أنماط تفكير وأساليب حياة "المجتمع الأمريكي" على المجتمعات الأخرى"[4].

ومنذ أن وضعت الحرب أوزارها في القارة الأوروبية، وتوحدت المجتمعات الغربية بدؤوا يخططون لفرض الهيمنة على العالم، فأصبحوا يطلقون كلمة (الإنسان أو الناس) على الشعوب الغربية فحسب، واتخذوه شعاراً لهم للتميز بينهم وبين شعوب أخرى، قصداً للهيمنة والأفضلية، وأن كل شيء يأتي من قِبلهم هو الأفضل ولغيرهم ذليل ومهين، لذلك كل من تتبع ودقق النظر في خطاباتهم وتعليماتهم سيقف على هذه الظاهرة تماماً.

وقيل: "إن العولمة هي ظاهرة الانتماء العالمي بمعناه العام، وهي تعبير مختصر عن مفاهيم عدة، فهي تشمل الخروج من الأُطر المحدودة: (الإقليمية والعنصرية والطائفية، وغيرها) إلى الانتماء العالمي الأعم، ففي جانبها الاقتصادي تشمل الانفتاح التجاري وإلغاء القيود التجارية، وتوفير فرص للتبادل التجاري

---

[1] Nayef R.F. Al-Rodha 2006, *Program on the Geopolitical Implications of Globalization and Transnational Security*, Geneva Centre for Security Policy. P.23.

[2] مجلة اليمامة (العدد 1507)، تحقيق عن العولمة ص 22 – 25.

3 مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، عدد61، ص10.

4المرجع نفسه، عدد252، ص8.

University of Malaya

الواسع محكومًا بقواعد السوق فقط بدون وجود إجراءات حمائية حكومية، وفي جانبها الفكري والثقافي هي الانفتاح الفكري على الآخر وعدم الإغلاق على الذات، ورفض التعصب الفكري الذي يدعو لإلغاء الآخر، لا لشيء سوي أنه مغاير في الفكر. فهي باختصار الشعور بالانتماء الكبير (العالمي) بدلا من الاقتصار على الانتماء المحلي (الإقليمي، العنصري، الطائفي...إلخ"[1].

لكن الظاهر في العولمة هو: أن الغرب يسعى لتوحيد ثقافات وتقاليد جميع شعوب العالم حتى تكون ذات طابع غربي بحت؛ وأن أي انتماء يخالف ثقافاتهم ليس مقبولا عندهم كما هو الواقع، ولأجل ذلك نرى كل شيء يقدمه الغرب للشعوب الأخرى فلا بد أن يكون بمقابل، كالتنازل عن الهوية أو الثقافة أو التقاليد طلباً في الرجوع إلى الثقافات الغربية وتقاليدها. وكما هو الواقع في النظام العالمي الجديد أنه لا يمكن أبدا أن تتمتع دولة بوجود شركات دولية أجنبية في أراضيها بدون مقابل، الذي هو التنازل عن الهوية أو القيم والأخلاق التي تربى عليها شعوب تلك الدولة، ومن الشركات الغربية العالمية التي تحمل اسم العولمة كثيرا ما تشترط على العالم الآخر بيع وتوفير لحوم الخنازير والكلاب والخمور في أراضي الدولة التي تريد تواجد تلك الشركات الغربية العالمية في أراضيها، ولا يمكن لدولة التمتع بالتجارة الحرة إلا بتحقيق تلك المطالب التي تطلبها تلك الشركات العالمية المتعددة الجنسية؛ دلالة على ذلك، كل من دقق النظر في جميع المواثيق الدولية في التجارة أو الاقتصاد أو الحرية وحقوق الإنسان وغيرها، أو المؤتمرات الدولية التي تهدف إلى نشر العولمة بمعناها الحقيقي سيجد أنها لا تراعي ثقافات وتقاليد وأديان الشعوب الأخرى، وهي تصاغ بما يتناسب بالثقافات والتقاليد للشعوب الغربية فحسب؛

ومن أبرز هذه الاتفاقيات والمؤتمرات:

1- اليوم العالمي للشباب وهو تجمع حاشد للتنصير في الفترة من 15 – 20 أغسطس عام 2000م ألقى فيه البابا "يوحنا بولس الثاني" كلمة في حوالي مليون شاب وفتاة قدموا من معظم بلدان العالم جاء فيها: "ليكن عندك طموح لتصبح قديسًا كما أن عيسى قديس، يا شباب العالم في كل قارة لا تخشوا أن تصبحوا قديسي هذه الألفية".

وهو بهذا يشير إلى كلمة وردت في الإنجيل هي: فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس".[2]

1المرجع نفسه..

[2] مؤتمر اليوم العالمي للشباب وهو تجمع حاشد للتنصير في الفترة من 15 – 20 أغسطس عام 2000م ألقى فيه البابا "يوحنا بولس الثاني.

University of Malaya

وهذه دعوة صريحة إلى العولمة الدينية الثقافية على طريقة الكنيسة النصرانية.

2– الإعلان العالمي لحقوق الإنسان:

على الرغم من إقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة هذا الإعلان عام 1948م في باريس إلا أن تطبيقه بقي راجعًا لما تراه كل دولة صالحًا لها من بنوده الثلاثين، وكان في ذلك سعة للدول الإسلامية التي ترى في جل بنود هذا الإعلان مخالفة لحقوق الإنسان التي جاءت بها الشريعة الإسلامية والتي تعد أهم مقومات الثقافة الإسلامية؛ إلا أن رياح العولمة الثقافية هبت على هذا الميثاق لاستغلاله في عام 1992م حيث طلب الرئيس الأمريكي الأسبق (جورج بوش الأب) تعديل ميثاق الأمم المتحدة بحيث تصبح حقوق الإنسان من اختصاص الأمم المتحدة وليس لكل دولة على حدة فوافقت جميع دول قمة أعضاء مجلس الأمن ما عدا الصين. وهكذا بدأت الولايات المتحدة تضغط باسم الأمم المتحدة باتجاه تفعيل تطبيق الميثاق بما يتضمنه من مبادئ وقيم تتصل بالثقافة بشكل مباشر.[1]

3 – اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة. (سيداو) (**CEDAW**)
Convention on the Elimination of All Forms of Discrimination against Women

أ – وجاء في المادة (1) من هذه الاتفاقية أنه لأغراض هذه الاتفاقية يعنى مصطلح "التمييز ضد المرأة" أي تفرقة أو استبعاد أو تقييد يتم على أساس الجنس ويكون من آثاره أو أغراضه،توهين أو إحباط الاعتراف للمرأة بحقوق الإنسان والحريات الأساسية في الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والمدنية أو في أي ميدان آخر،أو توهين أو إحباط تمتعها بهذه الحقوق أو ممارستها لها،بصرف النظر عن حالتها الزوجية وعلى أساس المساواة بينها وبين الرجل.

ب – وجاء في المادة (2) من الاتفاقية النداء إلى إلغاء جميع أشكال التمييز ضد المرأة في التشريعات والقوانين، وفرض حماية قانونية لحقوق المرأة على غرار المساواة مع الرجل، وتغيير كل التشريعات والأعراف والأنظمة والقوانين للتمييز بين الرجل والمرأة شرعاً وقانوناً.

ج – وجاء في المادة (15) من الاتفاقية في الفقرة (4) حرية اختيار المرأة لمحل سكنها بعيداً عن أسرتها، وحريتها المطلقة في السفر والانتقال.

[1] الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة، عام 1948م.

University of Malaya

د – كذلك من المواد الخطيرة في هذه الاتفاقية هي المادة (16) مع فروعاتها بحيث تطالب الاتفاقية باتخاذ جميع التدابير المناسبة للقضاء على التمييز ضد المرأة في كافة الأمور المنوطة بالزواج والعلاقات الأسرية، وعلى أساس المساواة بين الرجل والمرأة في عقد الزواج.[1]

4– المؤتمر الدولي للسكان:

الذي انعقد بالقاهرة في شهر سبتمبر من عام 1994م، وتركز البحث فيه حول الربط بين زيادة السكان وبين الفقر واستحالة التنمية وأن الحدّ من النمو السكاني هو الطريق الأمثل للتنمية" وفي هذا السياق رأى المؤتمر ما يلي:

أ– إباحة إنهاء الحمل غير المرغوب فيه، وتخفيف عواقب الإجهاض.

ب– إباحة الممارسة الجنسية خارج مؤسسة الزواج، وحق المراهقين والمراهقات في سرية العلاقة الجنسية وعدم انتهاكها من الأسرة.

ج– ممارسة الجنس والإنجاب حرية شخصية وليست مسؤولية جماعية.

والبعد الثقافي واضح في هذه البنود من خلال إباحة الانحراف العقدي والأخلاقي وتسويغه في المجتمعات المختلفة.[2]

4– المؤتمر العالمي الرابع للمرأة:

الذي انعقد في بكين، وقد استغل المؤتمر لترسيخ نظرة الثقافة الغربية المعاصرة إلى المرأة وما يزعم لها من حقوق مخالفة لفطرتها ودينها وثقافتها التي تنتمي إليها في كل المجتمعات البشرية ماعدا المجتمع الغربي المعاصر، وكان من أبرز ما جاء في هذا المؤتمر من توجيهات ما يلي:

1– التأكيد على التعليم المختلط للجنسين.

2– التشديد على الحرية الجنسية للمرأة وإتاحة موانع الحمل وتشريع الإجهاض.

3– استبدال وصف الذكورة والأنوثة في تكوين الأسرة بوصف النوع (جندر) الذي يتناول الجنس البشري عامة، وهي خطوة في طريق إباحة تكوين الأسرة المثلية المكونة من رجلين أو من امرأتين. واللافت للنظر أن الدول التي قاطعت هذا المؤتمر صنفت ضمن قائمة الدول المتخلفة الراديكالية

---

[1] اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (18 من شهر ديسمبر 1979م. ودخلت حيز التنفيذ 3 من شهر سبتمبر 1981م.)

[2] المؤتمر الدولي للسكان: الذي انعقد بالقاهرة في شهر سبتمبر من عام 1994م

University of Malaya

الرجعية وتم وصفها بممارسة الإرهاب الفكري وحرمان المرأة من حقوقها، وربما تعرضت نتيجة لذلك إلى حصار فكري وضغط متواصل للقبول بما يحمله ذلك المؤتمر من ثقافة عولمية جديدة يراد لها أن تسود.[1]

قال القرضاوي: "أما (العولمة) فالذي يظهر لنا من دعوتها حتى اليوم: أنها فرض هيمنة سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية من الولايات المتحدة الأمريكية على العالم، وخصوصاً عالم الشرق والعالم الثالث، وبالأخص العالم الإسلامي، الولايات المتحدة بقوتها العلمي والتكنولوجي، وبقدرتها العسكرية الهائلة، وبإمكاناتها الاقتصادية الجبارة، وبنظرتها الاستعلائية التي ترى فيها نفسها أنها سيدة العالم، تريد أن تسوق البشر بعصاها!

العولمة في أجلى صورها اليوم تعني: (تغريب العالم) أو بعبارة أخرى (أمركة العالم) إنها اسم مهذب للاستعمار الجديد الذي خلع أرديته القديمة، وترك أساليبه القديمة، ليمارس عهداً جديداً من الهيمنة تحت مظلة هذا العنوان اللطيف (العولمة). إنها تعني فرض الهيمنة الأمريكية على العالم، وأي دولة تتمرد أو تنشز لا بد أن تؤدب بالحصار أو التهديد العسكري، أو الضرب المباشر، كما حدث مع أفغانستان والعراق والسودان وإيران وليبيا. وكذلك تعني فرض السياسات الاقتصادية التي تريدها أمريكا عن طريق المنظمات العالمية التي تتحكم فيها إلى حد كبير، مثل البنك الدولي، وصندوق النقد الدولي، ومنظمة التجارة العالمية وغيرها.

كما تعني: فرض ثقافتها الخاصة التي تقوم على فلسفة المادية والنفعية، وتبرير الحرية إلى حد الإباحية، وتستخدم أجهزة الأمم المتحدة لتمرير ذلك في المؤتمرات العالمية، وتسوق الشعوب إلى الموافقة على ذلك بسياط التخويف أو التهديد، أو ببوارق الوعود والإغراء.

وتجلى ذلك في مؤتمر (السكان) الذي عقد بالقاهرة في صيف 1994م، الذي أريد فيه أن تمرر وثيقة تبيح الإجهاض بالإطلاق، وتجيز الأسرة الوحيدة الجنس، (زواج الرجال بالرجال، النساء بالنساء) "[2]

تلك هي المعنى الحقيقي للعولمة، وليس كما يدعي الغرب بأنها تهدف إلى تثقيف شعوب العالم، وأنها تهدف إلى تنمية الدول الفقيرة، وأنها تحرص إلى التقدم والأصالة؛

---

[1] انظر: وثيقة مؤتمر السكان والتنمية رؤية شرعية للحسيني سليمان جاد ص17 (سلسلة كتاب الأمة عدد 53 وزارة الأوقاف – قطر 1417هـ).و"العولمة وأثرها الثقافية" مقالة منشورة.

[2] القرضاوي، خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، مصر – القاهرة، دار الشروق، ط:1، (1324هـ 2004م)،ص 123 – 124.

مراحل العولمة[1] وأنواعها:

ويعرف الاقتصاديون العولمة على أنها " حركة تستهدف تحطيم الحدود الجغرافية والحركية ، وتسهيل نقل الرأسمالية عبر العالم كسوق كونية[2].

والسياسيون يقولون عنها أنها " التداخل الواضح لأمور الاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة دون اعتداد يذكر بالحدود السياسية للدول ذات السيادة ،أو الانتماء إلى وطن محدد ، أو دول معينة ، ودون الحاجة إلى إجراءات حكومية "[3].

ويعلق على هذا أحد المهتمين بهذا المجال عن الجانب الثقافي للعولمة بقوله " إن العولمة ليست مجرد آلية من آليات التطور الرأسمالي ، بل هي أيضاً وبالدرجة الأولى أيديولوجيا تعكس إرادة الهيمنة على العالم ".[4]

يمكن تعريف العولمة هنا على أنها مجموعة من النظم الاقتصادية والسياسية التي تقود إلى تغيير مادي وسياسي على أساس قاعدة عالمية"[5]

العولمة الغربية تتكون من المراحل الآتية حسب ما تم تقسيمه عليه في مجلة البيان:

1. عولمة التصفية الجسدية :

ويدخل ذلك في نطاق ما تفعله القبيلة البدائية الغالبة بالقبيلة المغلوبة . وهو ما فعله همج الغزاة الأوروبيين في أمريكا من تصفية جسدية لأصحاب الأرض المحتلة (الهنود الحمر) .

2. عولمة الاستعباد الرقيقيِّ :

وقد كانت تتمثل في ضرورة البحث عن حل لما يترتب على تلك التصفية باستيراد العبيد من القارة الإفريقية لمن يعتقدون في أنفسهم تمثيل النوع الأرقى (الرجل الأبيض) .

1مجلة البيان، المنتدى الإسلامي، عدد145، ص118.

2إبراهيم بن مبار،العولمة ودور الحضارات، الجوير القاهرة ، عين شمس ووقفة إبريل 2002.

3المرجع السابق.

4مرجع سابق.

[5]Simon Reich. 1998. *WHAT IS GLOBALIZATION? Four Possible Answers.* The Hellen Kellogg Institute for International Studies. Pg. 20.

University of Malaya

3. عولمة الاستعمار الاقتصادي :

وكانت تتمثل في ضرورة التوسع دون تصفية واستعباد ، لإيجاد مصادر للمواد الخام ، والأيدي العاملة التكميلية، وأسواق مفتوحة للبضائع.

4. عولمة الاستتباع الحضاري:

وتتمثل في جعل المستعمَرين توابع يفضلون بأنفسهم مستعمراً على مستعمر آخر دون حسبان للمصالح ، بل يسعون لنوع من الاندماج الحضاري في قيم الغالب المفضَّل ، وهو ما يمكن أن نسميه اقتسام العالم إلى مناطق نفوذ ثقافي .

5. المرحلة الأخيرة هي عولمة التصفية الروحية:

عندما يصبح التابعون يجدون في سيدهم المثال الأعلى ؛ بحيث يصبح همهم الوحيد أن يكونوا مثله مع الاعتقاد بأنهم لن يصبحوا كذلك إلا بنفي كل ما يميزهم عنه، وهو ما يمكن أن نطلق عليه: (الانتحار الروحي فيسخرون من لغتهم وأدبهم وتاريخهم وقيمهم؛ وهو ما يعني إبادتهم الحضارية، وهذا الذي أصبح غالباً على جلّ النخب العربية، وخاصة التابع منها للمافيات الحاكمة الفاسدة المفسدة).

إن العولمة التي يمارسها الغرب هي عبارة عن استعمار واستبداد جديد للشعوب الأخرى، وفي كثير من دول إفريقيا لم يزل الغرب مهيمناً على اقتصادها وأمنها وتعليمها وسياستها باسم تنيمة القارة نحو التقدم، لذلك فإن جميع دول إفريقيا والتي كانت مستعمرةً فرنسياً لا تملك الحق في إصدار عملتها الخاصة في أراضيها، ولا تملك مؤسسة البنك المركزي أصلاً، وإنما تطبع العملة في فرنسا باسم العولمة الفرنسية (سيفا) ثم يتم إرسالها إلى تلك الدول. وبشكل آخر تتعرض تلك الدول لاستعمار جديد الذي هو التهديدات بقطع القروض والمساعدات في حال نشوب التوتر، أو في حال عدم القبول بالتنازلات التي طلبها الغرب من تلك الدول؛ وهذا يُعتبر هيمنة استعمارية واضحة على الشعوب الإفريقية باسم تنمية القارة نحو التقدم. وهذا من ناحية الإقتصاد. وأما من ناحية الأمن سواء في الجيش أو الشرطة أو الشرطة العسكرية وفي رأس كل كتيبة أو وحدة يوجد ضابط فرنسي أبيض يترأس مهام تلك الكتيبة أو الوحدة؛ وأما من ناحية التعليم لم يكن الإفريقي من أبناء تلك الدول معترفا بدارسته حيث درس، إلا للذهاب إلى فرنسا وإكمال الدراسة هنا؛ وإلا ستجده بعيدا عن مؤسسات الدولة، وخاصة المؤسسات الحساسة، والوزارات السيادية؛ وأما من ناحية السياسة لا

يمكن لإفريقي أن يكون رئيسا في إحدى تلك الدول الإفريقية إلا بموافقة فرنسية، والولاء الكامل للفرنسيين، وتنفيذ سياسة وأجندة فرنسية في دولته؛ وإلا لا يمكن أن يصبح رئيسا لتلك الدولة، ولو أصبح رئيسا في هذه الدولة بدون موافقة فرنسية أو الإذعان لهم سيتم اسقاطه إنقلابا أو اغتيالا؛ وكل هذا يُعتبر شكل من أشكال الاستعمار الجديد الغير المباشر الذي يحدث باسم تنمية القارة نحو التقدم والقضاء على ظاهرة الفقر والجوع؛

خصائص العولمة المعاصرة[1]:

جاءت العولمة (Globalization) لتكريس توجه الهيمنة ولتفرض أنماطاً حضارية جديدة في إطار الليبرالية الجديدة ، بهدف تقوية الرأسمالية العالمية وخدمة مصالحها.

وقد جرى استخدام مصطلح: (عولمة) في هذا العِقْد على نطاق واسع، وتنبع خطورة هذا المفهوم وأهميته من أنه تحوّل كلية إلى سياسات وإجراءات عملية ملموسة في كل المجالات الثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والإعلامية ، وأضحى عملية تطرح في جوهرها هيكلاً للقيم تتفاعل كثير من الاتجاهات والاستراتيجيات في الغرب على فرضه وتثبيته، وقسر مختلف شعوب المعمورة – وخاصة المسلمين – على تبنّي تلك القيم وهيكلها ونظرتها للإنسان والكون والحياة.

فما هي العولمة إذن في صورتها المعاصرة ؟ ...

إنها ظاهرة تتداخل فيها أمور السياسة والاقتصاد والثقافة والاجتماع والسلوك، وتحدث فيها تحولات على مختلف الصور تؤثر في حياة الإنسان على كوكب الأرض أينما كان.

ويسهم في صنع هذه التحولات ظهور فعاليات جديدة هي الشركات متعددة الجنسيات التي تتسم بالضخامة وتنوع الأنشطة والانتشار الجغرافي والاعتماد على المدخرات العالمية، ومنظمة الأمم المتحدة والمنظمات المتخصصة المنبثقة عنها كالبنك الدولي وصندوق النقد الدولي.

وهي وسيلة للهيمنة أو هي نمط من الاحتلال الجديد احتلالاً جدد آلياته وأساليبه بفعل التقدم التقني ، فلم يعد قائماً على احتلال الأرض؛ بل أصبح قائماً على تحويل العالم كلّه إلى سوق استهلاكية للأفكار والمنتجات الغربية، أو بعبارة أخرى: فهي تمثل عصاً استعماريةً جديدةً بحكومة عالمية خفية لها مؤسساتها: البنك الدولي وصندوق النقد الدولي، ولها أدواتها : الجات ، والسبعة الكبار.

1 مجلة البيان، المنتدى الإسلامي، عدد145، ص118.

University of Malaya

والولايات المتحدة –مهندسة هذا النظام العالمي الجديد– أخذت بمساندة احتكارات الشركات متعددة الجنسيات ودعمها في اختراق مجتمعات عالم الجنوب أو العالم الثالث ، وإخضاع شعوبها لأنماط المعيشة الغربية وتحديداً : الأمريكية.

أشكال وأنماط من العولمة الاجتماعية[1]:

وإذا تساءلت عن أشكال وأنماط من العولمة الاجتماعية في المجتمعات العربية وعن سر وجودها، وجدت أن سببها عولمة الإعلام، فالموسيقى الأمريكية التي انتشرت في ربوع العالم العربي ، والنمط الأمريكي الصرف في اللباس، أو نصف الأمريكي (ثوب وقبعة)، والأطعمة السريعة وغيرها من السلع الاستهلاكية، واللغة الإنجليزية ذات اللكنة الأمريكية، والطفل الكرتوني (كالطفل السوبرماني أو الطفل العنكبوتي أوالوطواطي إلى غيرها من الحشرات والحيوانات...)، كل هذه مع كثير من العادات الدخيلة، دخلت المجتمعات العربية من خلال الوسائل الإعلامية، التي باتت تمثل ما يمكن أن نسميه بـ (ثالوث الأبوة) الأب، الأم، الإعلام، فقد غدا الأخير العنصر الثالث مع الأبوين في التربية والتوجيه أو ضدهما! فالعولمة كثيرا ما تؤثر على العادات والتقاليد والبيئة، وخاصة في الدول التي تتمتع بقوة الاقتصاد، حيث الأغنياء يتأثرون برياح العولمة كلياً"[2]وفي نيجيريا مثلاً: والعولمة لها تأثيرات إيجابية وسلبية، وخاصة في مجال البيئة، رغم أن هناك العديد من السلبيات للعولمة في نيجيريا، لكن مجال البيئة أكثر تأثرا بها في نيجيريا"[3]

ويرى الباحثون والمحللون في مجال الاقتصاد على العولمة لها إيجابيات أكثر من السلبيات، وخاصة في مجال الاقتصاد والدخل الفردي للشخص.

لذلك يرى المحللون الاقتصاديون على أن العولمة شكلت قناة مهمة في ثلاث مجالات:

1 – أن العولمة تعزز وتساعد في الدخل الفردي للشخص، سواء على العمال أو المصدرين أو المستهلكين.

2 – تساعد في تقوية رأسمال الأفراد.

3 – تساعد كذلك في التأمين الاقتصادي بشكل عام"[4]

---

1 انظر: العولمة الإعلامية، موسوعة البحوث والمقالات العلمية، جمع وإعداد الباحث في القرآن والسنة، ص2.

[2]Muhammad Akram Ch, Muhammad Asim Faheem, Muhammad Khyzer Bin Dost, Iqra Abdullah. 2011. Lahore, *Globalization and its Impacts on the World EconomicDevelopment.* P. 296.

[3] Olubukola S. Adesina. 2012. *The Negative Impact of Globalization on Nigeria.* Ibadan Nigeria, Vol 2. P. No *15.*

[4] European Commission Group of Policy Advisors. *Making Sense of Globalization*. A Guide to the Economic Issues. P. 33.

University of Malaya

عولمة العار[1]:

ما أدي إلي تشويه عولمة اليوم ووصمها بالعار، هو ارتباطها الوثيق بالرأسمالية الأنكلوسكسونية الداروينية المتسمة بالمغالاة والتطرف، واستخدامها لتكنولوجيا الاتصالات الحديثة وتقنيات الإدارة، لبسط وفرض ثقافتها المنفرة، وحروبها وماديتها البحتة المنحرفة عن الأخلاق والمثل. لقد تمكنت العولمة الأنكلوسكسونية المعاصرة من إدخال ونشر برامجها الداروينية، كما أنها أفرزت نظاماً اقتصادياً طفيلياً جديداً، تحفّه المخاطر من كل جانب، علاوة علي عزمها فرض مفاهيمها ورؤاها أحادية الجانب، في الوقت نفسه الذي تتشدق فيه بالتعددية. أما أجندتها فهي محشوة بأعمال الإبادة الجماعية الوحشية، بينما هي تنادي بحقوق الإنسان. وتدّعي الديمقراطية وتوغل في الديكتاتورية. إنها تؤمن بالله، فقط إذا علمنا أن المال هو إلهها الوحيد.

[1] يوسف العاصي إبراهيم الطويل، الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم (الجذور –الممارسة – سبل المواجهة)، مصر، صوت القلم العربي، ط2، (1431 هـ - 2010م) ج3، ص178.

University of Malaya

خلاصة هذا الفصل التمهيدي:

إن العولمة هي فرض هيمنة سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية على نمط وشكل جديد، إذ أن دعاة العولمة كالولايات المتحدة الأمريكية يريدون إخضاع العالم أمام مخططاتهم باسم العولمة، إن الغرب بإمكاناته الاقتصادية الجبارة، وبنظرته الاستعلائية التي يرى فيه نفسه أنه سيد العالم، ويريد أن يسوق البشر بعصاه! إن الذي يظهر أن العولمة تعني (تغريب العالم) أو بعبارة أخرى (أمركة العالم) إنها اسم مهذب للاستعمار الجديد الذي خلع أرديته القديمة، وترك أساليبه القديمة، ليمارس عهداً جديداً من الهيمنة تحت مظلة هذا العنوان اللطيف (العولمة). إنها تعني فرض الهيمنة الغربية على العلم، ومن المؤسف جداً أن تستخدم أجهزة الأمم المتحدة لتمرير تلك المخططات الخبيثة، إن العولمة التي يمارسها الغرب وهي عبارة عن استعمار واستبداد للشعوب الأخرى. وهي وسيلة للهيمنة أو هي نمط من الاحتلال الجديد احتلالاً جدد آلياته وأساليبه بفعل التقدم التقني والتكنولوجي والعسكري والاقتصادي، لأنه رأى لم يعد قادراً على احتلال أراضي الشعوب الأخرى، فجاء بطريقة أخرى لتفيذ ذلك الاحتلال. وعلى الداعية يحرص على المعاصرة ويتمسك بالأصالة: أنه يحرص على المعاصرة، ويشرب روح العصر، وخصوصاً في وسائله وآلياته. وفي منظور الشيخ القرضاوي الذي يعتبر داعية العصر، وكذلك في نظرياته وتطبيقاته الواقعية لخص فيها أن العولمة فيها الإيجابيات والسلبيات، لذلك يجب على الداعية التمييز بين موجة ورياح العولمة الإيجابية والسلبية، ثم الأخذ بالإيجابيات، واستعانة بها، واستفادة منها كسبل ووسائل للدعوة التي تعين الداعية في دعوته ليصبح داعية الذي جمع بين أصالة الماضي ومعاصرة الحاضر، ومن ثم تقوده إلى النجاح في دعوته.

University of Malaya

الفصل الأول: عوامل ثبات الداعية وأسباب ضعفها في عصر العولمة.

يمر الإنسان المسلم في مسيرة حياته بالكثير من الصعاب والقلاقل والمشاكل، التي في كثير من الأحيان ينوء بحملها، ويشعر بنكد الحياة، لكن هذه المتاعب في عين الداعية إلى الله لها بريق آخر، فهو يرى في المحنة منحة، يختبر الله بها إيمانه، ومنحة في أن كل أمور المؤمن كله له خير فهي طريقه للصبر والثبات وعدم الكلل والملل لنيل البشرى التي ثبتت لمن صبر وثبت عليها واحتسب، ويحاول الباحث في هذا الفصل تجلية وبيان الأسباب التي تقوي عزيمة الداعية؛ ليثبت عليها، والأسباب التي تقف أمامه وتضعفه؛ ليتجنبها، ويتيقن أن كل دعوة لابد لها من شدائد ولابد لحامليها من صبر وثبات، وأن الإنسان في هذه الحياة- وخاصة الذي يريد أن تثبت الأمة على مبادئها- يحتاج إلى أمور تعينه ليثبت على هذه المهمة مهمة الأنبياء والمرسلين ومن سار على دربهم واقتفى آثارهم.

كما أن من زكاة النفس ومن تزكيتها ومن صفاء القلوب وانشراح الصدور: الاستقامة والثبات على الطاعات، فالمسلم الحق بحاجة إلى أن يستمسك بمبادئ الإسلام وثوابته ومنهجه، وبتعاليم الشريعة الإسلامية، فأحوج ما يحتاجه المسلمون: الاستقامة والثبات في عصر انتشار الشبهات التي شككت كثيرًا من الناس في منهجهم، وحالت دون استمساكهم بمبادئهم التي جاء بها شرع الله سبحانه وتعالى، وأعظم ما يعتز به المؤمنون، أن يكونوا مستقيمين ثابتين على ما جاءهم به الشرع المطهر من الأخلاق والسلوك في العبادات والمعاملات، لأنهم استمسكوا بالمعتقد الصحيح السليم الذي عاشوا به سعداء، فالله جل وعلا يقول في كتابه الكريم:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾[1]. وقال الشيخ ابن عاشور في تفسيره[2]: "وإنما طلبوا أن يروهما لأن المضلين كانوا في دركات من النار أسفل من دركات أتباعهم فلذلك لم يعرفوا أين هم.

والتعليل ليكونا من الأسفلين توطئة لاستجابة الله تعالى لهم أن يريهموهما لأنهم علموا من غضب الله عليهم أنه أشد غضبا على الفريقين المضلين فتوسلوا بعزمهم على الانتقام منهم إلى تيسير تمكينهم من الانتقام منهم. والأسفلون: الذين هم أشد حقارة من حقارة هؤلاء الذين كفروا، أي ليكونوا أحقر منا جزاء لهم، فالسفالة مستعارة للإهانة والحقارة".

---

1 سورة فصّلت الآية: 30- 31.

2 ابن عاشور، التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر، 1984هـ، ج8، ص671.

University of Malaya

روي في (صحيح مسلم) عن سفيان بن عبد الله الثقفي، قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدا بعدك – وفي حديث أبي أسامة غيرك – قال: " قل: آمنت بالله ثم استقم [1].

وعن أبي بكر ثم استقاموا: لم يشركوا بالله شيئا. وعن عمر: استقاموا على الطريقة لطاعته ثم لم يروغوا روغان الثعالب. وقال عثمان: ثم أخلصوا العمل لله، وعن علي: ثم أدوا الفرائض.[2]

فالاستقامة والثبات على هذه المبادئ العظيمة والمنهج القويم في كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام مهما كثرت العلوم الدنيوية وأصبحت ثورات علمية متتابعة، ومع ذلك لا تقوى أن تغير تعاليم الإسلام، مهما كثرت الصناعات والتطورات والاكتشافات، فإنها لا تقوى أن تغير العقيدة الراسخة التي مات عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وربّى عليها أمته في حياته الشريفة، إنها عقيدة التوحيد الخالصة لله سبحانه والاتباع الصادق لرسول الله صلى الله عليه وسلم، والمحبة الإيمانية لصحابة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولأنصار الله سبحانه الذين آمنوا بالله وبرسوله ونصروا الدين ونشروا الشريعة الإسلامية في الآفاق، اتبعوا الوحي بقلوبهم وأنفسهم، ثم حفظوه وعملوا به ودعوا إليه وصبروا في سبيله، ذلك هو الأمان من جميع مضلات الفتن، كما قال الله عز وجل:﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴾،[3]وفي رواية لمجاهد في تفسير سورة العصر قال : " الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴾ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ﴾ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ قَسَمٌ أَقْسَمَ رَبُّنَا تَعَالَى ذِكْرُهُ بِالدَّهْرِ، فَقَالَ: الْعَصْرُ: هُوَ الدَّهْرُ ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ حَدَّثَنِي عَلِيٌّ، قَالَ: ثنا أَبُو صَالِحٍ، قَالَ: ثني مُعَاوِيَةُ، عَنْ عَلِيٍّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ﴾ قَالَ: " الْعَصْرُ: سَاعَةٌ مِنْ سَاعَاتِ النَّهَارِ "[4].

---

1 مسلم النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج1، ص 65.

2ابن عاشور ، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج 24، ص 283.

3 سورة العصر الآية: 1-3.

4 الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، د.ط، 1422 هـ - 2001م ج 24، ص 612.

المبحث الأول: عوامل ثبات الداعية في عصر العولمة.

فالواجب على الداعية أن يؤدي ما عليه من تبليغ دعوة الله، فيأخذ بالأسباب المادية، ويضع الخطط والبرامج الاستراتيجية بعيدة المدى عونا في دعوته، والله قد كفل القبول والعالمية.

أما ما يرد إليه من علوم وثقافات وافدة فإن فيها حقاً وخيراً، وهذا يقبل ممن جاء به، كما أن فيها باطلاً وشراً، يرد على من جاء به، والمطلوب أن لا يخضع شريعة الله ويلويها حتى توافق ما وفد، وإنما يحكمها فيما يرد، ويرضى بحكمها، ثم لا يجد حرجا فيما قضت، ويوقن بأنه الخير والحق. وهذه الأمور قد تساعد الداعية في الثبات أمام ظاهرة العولمة.[1]

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد هو أن الداعية عليه أن يأخذ ما هو صحيح ومعين مما جاء في هذا العصر المتمثل بعصر العولمة، فلا يعتبر كل ما جاء فيه رجس من عمل شيطان.

قال القرضاوي: "في عصر التقارب العالمي أو ما يسمونه (عصر العولمة) أنه يدعو إلى (الروحانية) التي هي جوهر الدين ولبه، ولكنه لا يهمل الجانب المادى من الحياة، ولا يعتبره رجسا من عمل الشيطان"[2]

أي أن الأصل في الداعية أن يدعو إلى الإيمان بالله تبارك وتعالى في عصر العولمة وغيره، لكنه في عصر العولمة لا يتغافل عن الماديات التي وُجدت في عصر العولمة، وهي ستعينه في نشر دعوته إلى الله.

ومن أسباب الثبات على الدين الحق، الاستقامة على ما علم منه بالعمل به بالتقرب إلى الله تعالى بأداء ما افترض الله عليه، والبعد عما نهاه الله عنه وترك الركون إلى الظالمين والفاسقين وترك ما اشتبه عليه حكمه والاستكثار من النوافل، والتوبة إلى الله تعالى من الخطيئة، وإتباع السيئات بالحسنات، كما قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[3].

---

[1] ناصر بن سلميان العمر، رسالة مسلم في حقبة العولمة، قطر – دوحة، مركز الدراسات الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1324هـ.

[2] القرضاوي، خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، مرجع سابق، ص 79.

[3] سورة هود الآية: 112-115.

University of Malaya

ومن أعظم أسباب الثبات على الدين الحق الإلحاح على الله تعالى بالدعاء، مع الضراعة طلباً للثبات عليه، والعصمة من الزيغ عنه، والبراءة من الحول والقوة إلا بالله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾[1]، نقل الطبري حديث البخاري بسنده عن البراء بن عازب رضي الله عنه؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "المسلم إذا سئل في القبر، شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فذلك قوله: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾[2].

وأخبر تعالى عن الراسخين في العلم أنهم يقولون: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾[3].

وفي المأثور أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا استيقظ من الليل قال: ((لا إله إلا أنت، سبحانك، اللهم أستغفرك لذنبي، وأسألك رحمتك، اللهم زدني علمًا، ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني، وهب لي من لدنك رحمة، إنك أنت الوهاب)).[4]

وكان صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يدعو لنفسه بالثبات، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: ((يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك))، قلت: يا رسول الله إنك تدعو بهذا الدعاء، قال: ((يا عائشة أوما علمت أن القلوب، أو قال: قلب بني آدم بين إصبعي الله، إذا شاء أن يقلبه إلى هدى قلبه، وإذا شاء أن يقلبه إلى ضلالة قلبه))[5].

وقال صلى الله عليه وسلم: ((ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه))[6].

ومن أعظم أسباب الثبات على الحق دعوة الناس إليه، وتثبيتهم عليه فإنه جهاد، والمجاهد لله وبه مثبت ومهدي، ومن دل على خير فله مثل أجر فاعله، ومن دعى إلى الهدى كان له مثل

---

[1] سورة إبراهيم الآية: 27.

[2] الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ج4ص449.

[3] سورة آل عمران الآية: 8.

[4] السِّجِسْتاني، أبو داود سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، بيروت، المكتبة العصرية،ج4ص314. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه". "المستدرك على الصحيحين" للحاكم، ج1ص724.

[5] ابن أبي شيبة، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، المصنف، الرياض، مكتبة الرشد،ط:1، 1409هـ، ج6ص25.

[6] الترمذي، السنن،مرجع سابق، ج5ص517.

University of Malaya

أجور من تبعه، وقال صلى الله عليه وسلم: ((فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحدا خير لك من حمر النعم))[1].

ومن موجبات الثبات على الحق والهدى مجالسة أهل الإيمان والتقوى قال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾[2].

وفي الحديث: ((لا تصاحب إلا مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلا تقيّ))[3].

وفيه أيضاً: عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم))، قال: ((فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا))، قال: ((فيسألهم ربهم، وهو أعلم منهم، ما يقول عبادي؟ قالوا: يقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك، قال: فيقول: هل رأوني؟، قال: فيقولون: لا والله ما رأوك؟، قال: فيقول: وكيف لو رأوني؟ قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيدا وتحميدا، وأكثر لك تسبيحًا، قال: يقول: فما يسألوني؟ قال: يسألونك الجنة، قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا، والله يا رب ما رأوها، قال: يقول: فكيف لو أنهم رأوها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا، وأشد لها طلبا، وأعظم فيها رغبة، قال: فمم يتعوذون؟ قال: يقولون: من النار، قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يا رب ما رأوها، قال: يقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارا، وأشد لها مخافة، قال: فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم، قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة. قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم))[4].

وذلك لأنهم يدلون على الهدى ويزجرون عن الردى، ويعينون على التقوى.

ومن أسباب الثبات على الدين الحق الإعراض والفرار عن مجالس الخصومات والجدل في الدين، والنأي عن الفتّاتين، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[5]،

---

[1] البخاري، "الصحيح" كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم على يديه رجل" مرجع سابق، ج4ص60.

[2] سورة الكهف، الآية: 28.

[3] الترمذي، "السنن" أبواب الزهد، باب ما جاء في صحبة المؤمن، مرجع سابق، ج4ص60.

[4] البخاري، "الصحيح" بكتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله تعالى،مرجع سابق، ج8ص86.

[5] سورة الأنعام، الآية: 68.

وقال تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾[1].

ولما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الدجال وعظَّم فتنته، وأنه أعظم فتنة منذ خلق الله آدم وإلى أن تقوم الساعة، أمر الناس بالثبات على دين الله تعالى، فعن عبد الرحمن بن جبير بن نفير الحضرمي، عن أبيه، أنه سمع النواس بن سمعان الكلابي، قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة، فخفض فيه ورفع، حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا، فسألناه فقلنا: يا رسول الله، ذكرت الدجال الغداة، فخفضت فيه ورفعت، حتى ظنناه في طائفة النخل، قال: ((غير الدجال أخوف مني عليكم، فإن يخرج وأنا فيكم، فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فكل امرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، إنه شاب جعد قطط، عينه طافئة، وإنه يخرج خلة بين الشام، والعراق، فعاث يمينا وشمالا، يا عباد الله اثبتوا))[2].

ومن أسباب الثبات على الدين ما قرره العلماء والأئمة المهتدون بهدي الكتاب والسنة من وجوب هجر أهل البدع ومقاطعتهم، فإن مجالستهم تمرِّض تُمْرِضُ القلوب، وإن توقيرهم سعي في هدي الإسلام، وما ذاك إلا لعظم الفتنة منهم وبهم، فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجالس صاحب بدعة، ولا يأخذ دينه عن صاحب بدعة، فإن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم[3]، فإن أهل السنة أخذوا دينهم عن أئمة الهدى، وإن أئمة الهدى أخذوا دينهم عن تابعي التابعين، وتابعو التابعين أخذوا دينهم عن التابعين، والتابعون أخذوا دينهم عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والصحابة رضي الله عنهم أخذوا دينهم عن النبي صلى الله عليه وسلم، والنبي صلى الله عليه وسلم أخذ دينه عن جبرائيل عليه السلام عن الله جل وعلا.[4]

إن ثبات الداعية في هذا العصر المتمثل بالعصر العولمة مطلب ضروري، رغم الهجمات التي يتعرض لها الدعاة من قبل بعض الدعاة المؤيدين للعولمة، وكذلك الهجمات من قبل بعض التيارات الإسلامية المعادية للغرب بشكل مطلق، بمفهوم أن الغرب اتخذ مفهوم الوسطية في الدين سلاحا لضرب الدعوة الإسلامية والدعاة، إذ أن الغرب بمفهومه في الوسطية شيء ومفهوم الوسطية في الإسلام شيء آخر،

---

[1] سورة النساء، الآية:140.

2مسند أحمد، مرجع سابق، (29/ 172).

[3] هذا قطعة من كلام محمد بن سيرين. انظر: صحيح مسلم ج1ص14.

[4] انظر: البربهاري، شرح السنة، د.ط، د.ن، د،ت، ص 123-124.

وزعموا أن الغرب اتخذها كسلاح في نشر الفوضى وترك ثوابت الدين، واعتبار التمسّك بالدين تشدداً، لذلك ذهبوا يعادون الغرب بشكل كلي.

وفي الآونة الأخيرة [1]حاول بعض الدعاة الإسلاميين الثابتين أمام العولمة، والمؤسسات الإسلامية؛ أن يتبنوا خطاباً وسطياً للعلاقة مع الآخر، وتقريب المذاهب الإسلامية للعمل على صون الهوية الإسلامية، وينطلق هؤلاء من مبدأ ثابت مفاده أنَّ الإسلام دين وسط وتكامل في نفسه، ومتميز في تعامله مع الآخر، وذلك حسب رؤية المنتدى العالمي للوسطية بالأردن، والتي تهدف إلى جعل منبراً للعلماء والمفكرين؛ ليسهموا في تعزيز مفهوم الوسطية ؛الإسلامية وتنفيذِه على صعيد الواقع بشكل مواكب يجعل الرسالة الإسلامية خالدة، ويكون للمنتدى دور مهم لتقليل الفجوة بين العالم الإسلامي والغرب، وتشجيع التواصل بين المذاهب الفكرية في العالم الإسلامي. وفي نفس الوقت هناك تحديات جمة تواجه هؤلاء الدعاة الثابتين، ومن التحديات التي تواجههمجعل الدعوة الوسطية رد فعلٍ لسلوكيات بعض تلك التيارات المعادية للغرب كلياً.

بناء على كون الإسلام بالنسبة للعامة في أوروبا هو نوعاً من الأخبار الفزعة، و ظهر ذلك في الشؤون الأكاديمية ووسائل الإعلام، والحكومات، أن الإسلامية ، ويرون أن الإسلان خطر على الحضارة الغربية، وأن صورة الإسلام في الإعلام الغربي المقروءة والمسموعة، أن يقى الإسلام في صورة واحدة لا تتغير ولذلك يسعى الدعاة جاهدين في إرسال صورة صحيحة للإسلام إلى الغرب، وأن الإسلام دين وسط لا يعادي الشعوب أساساً، وأن دين سلام وأمان، ورحمة وسماحة.

وقال الشيخ القرضاوي: "وهذه يجعل العناية بتكوين الدعاة، وإعدادهم الإعداد المتكامل، أمراً بالغ الأهمية، وإلا أصيبت مشروعات الدعوة بالخيبة والإخفاق، في الداخل والخارج، لأن شرطها الأول لم يتحقق، وهو الداعية المهيأ لحمل الرسالة. ومن هنا كان لا بد للداعية يريد أن ينتصر في معركته على الجهل والهوى والتسلط والفساد أن يتسلح بأسلحة شتى لازمة له في الدفاع والهجوم. وأول هذه الأسلحة ولا ريب هو سلاح الإيمان..."[2]

---

[1] شوك أحمد إبراهيم أبو شوك، "الهوية الإسلامية والعولمة الوضعية جدلية الثابت والمتغير" مقدم إلى مؤتمر مكة المكرمة الثالث عشر، "المجتمع المسلم ... الثوابت والمتغيرات" نظمه رابطة العالم الإسلامي مكة المكرمة، 4 – 5 ذو الحجة / 1432هـ الموافق (20 – 21/ 10 2012م.)

[2]القرضاوي، ثقافة الداعية، مرجع سابق، ص4.

University of Malaya

الثبات عامل مهم في أثر الذي يتركه الإنسان في هذه الحياة، وهو وصول إلى ما يريده المرء ويطلبه، يجدر بكل عظيم من العظماء، وصفي من الأصفياء من جند الله تعالى المقربين، ومن الدعاة العاملين أن يكون ثابتاً شامخاً راسخاً، لا يتزلزل ولا يتقلب، والأمثلة في هذا كثيرة جداً.[1]

والثبات الذي ندعو إليه هو الثبات القائم على اليقين، وعدم الخروج عليه في أي حال إلا في حالة المضطر.

المبحث الثاني: أسباب ضعف ثبات الداعية في عصر العولمة.

لزاماً على الداعية أن لا يتقاعس في تبليغ دعوة الله، ويلهه الأمل، ويغرق في الأمور المادية، ويتغافل عن رسم خطط واستراتيجية في الأمور الدعوية.

فليأخذ بكل ما يرد إليه من علوم وثقافات وافدة، يجب عليه أن يعلم أن في تلك الثقافات الوافدة فيها خيراً وحقاً، ويعلم أن فيها وشراً وباطلاً. وهذه من أكبر الأسباب التي تجعل الداعية أن يصبح ضعيفاً في ثوابته. لكن ذلك لا يمنع من الاستفادة بما جاء به عصر العولمة من الماديات التي توافق الشرع.

قال القرضاوي: "ومع هذه العناية البالغة بالجانب الروحي في الإسلام التي يجب أن يركز عليها خطابنا في عصر العولمة ينبغي أن لا ينسى هذا الخطاب الجانب الآخر الذي هو الجانب المادي، فإنما يقوم الإنسان بعنصريه الطيني والروحي"[2]

أي وفي عصر العولمة لزاماً على الداعية أن يكون التركيز على الدعوة إلى الإيمان أولاً، ثم استفادة بالجانب المادي ثانياً.فالعولمة لها انعكاسات خطيرة في المستقبل، كونها تفتح بابا لتجارة الحرة، وحرية التحرك، وحرية الاتصال، وكثرة السفريات واستخدام التكنولوجيا"[3]

أسباب عدم الثبات واليقين:-

1- النشأة الأسرية:

الأسرة لها تأثير فعَّال في سلوك المرء، لأنه يوجد في قلبه – في بداية عمره – غريزة في حب التشبه والتقليد للمحيط حوله، وقد ذكر المصطفى صلى الله عليه وسلم هذا المعنى بقوله:"ما من مولود إلا

---

[1] محمد موسى الشريف الثبات، مصر – القاهر، درا الأندلس للنشر والتوزيع، ط:1، 1429هـ / 2008م، ص 8 – 9.

[2] القرضاوي، خطابنا في عصر العولمة، ص 82.

[3] Mojmir Mrak. 2000, *Globalizations: Trends, Challenges, and Opportunities for Countries in Transition* Vienna, United Nations Industrial Organization.

University of Malaya

يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء)). ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم: 30] الآية"[1].

وكما قال الشاعر:

إذا كان رب البيت بالدف مولعا فشيمة أهل البيت كلهم الرقص[2].

وقد ينشأ المرء بين أبوين سمتهما عدم الثبات أو اليقين، وحينئذ يسري ذلك إلى نفسه، فإذا به صورة منهما، وهنا يتجلّى دور التزام الآباء بأخلاق وآداب الإسلام، وثباتهم على القيام بتكاليفه، ولو روعي ذلك لجنّب الآباء أبناءهم الانحراف والزيغ، دون الحاجة إلى كثير خطب، أو مواعظ.

ومن أجل ذلك وإن كثيرا من الدعاة ما زالوا متمسكين بتقاليد وثقافات خاطئة آثمة، وجدوا آباءهم عليها، على الرغم من أن هؤلاء الدعاة درسوا تعاليم الإسلام، وتفقهوا بالفقه الإسلامي، لكنهم زلّت أقدامهم، فوقعوا في انحراف عقدي، فسلكوا مسالك ضالة، وانتحلوا أفكاراً منحرفة. وكل ذلك راجع إلى التأثر بالأسرة، والمجتمع الذي ترعرعوا فيه.

2- صحبة أقران السوء:

لقرباء السوء تأثير على أقربائهم من أهل الصلاح، فقد يعيش المرء في وسط غير ملتزم بهذا الخلق الإسلامي، فإذا به يحاكي ويتأسى لاسيما إذا كان ضعيف الشخصية، غير واثق من نفسه،ومن تصرفاته وسلوكه، وهنا يأتي دور الارتماء بين أحضان الصحبة الطيبة الملتزمة بالمنهاج الإسلامي، إنّ هذا لو وقع، لتنبّهت المشاعر والأحاسيس، والجوارح، ولثبت المرء وما زلت قدمه عن الحق، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إنّما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك، ونافخ الكير، فحامل المسك إمّا أن يحذيك، وإمّا أن تبتاع منه، وإمّا أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إمّا أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحا خبيثة))[3].

---

[1] البخاري "الصحيح" كتاب الجنائز، باب إذا أسم الصبي فمات، هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام" مرجع سابق، ج2ص94.

[2] بهاء الدين،العاملي الهمذاني،الكشكول، بيروت، دار الكتب العلمية، ط:1، 1418هـ - 1998م، ج1ص264.

[1] البخاري، الصحيح"، كِتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء" رقم الحدي (2628) ج 4ص2026.

University of Malaya

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾[1]. قال:"خليلان مؤمنان، وخليلان كافران، فتوفي أحد المؤمنين وبشر بالجنة فذكر خليله، فقال: اللّهم إن فلانا خليلي كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالخير، وينهاني عن الشر، وينبأني أني ملاقيك، اللهم فلا تضله بعدي حتى تريه مثل ما أريتني، وترضى عنه كما رضيت عني، فيقال له : اذهب فلو تعلم ماله عندي لضحكت كثيرا وبكيت قليلا، قال: ثم يموت الآخر، فتجتمع أرواحهما، فيقال ليثن أحدكما على صاحبه، فيقول كل واحد منهما لصاحبه نعم الأخ ونعم الصاحب ونعم الخليل، وإذا مات أحد الكافرين وبشر بالنار، ذكر خليله، فيقول: اللهمّ إنّ خليلي فلانا كان يأمرني بمعصيتك ومعصية رسولك ويأمرني بالشر وينهاني عن الخير، ويخبرني ملاقيك اللهمّ فلا تهده بعدي حتّى تريه مثل ما أريتني، وتسخط عليه كما سخطت علي قال: فيموت الكافر الآخر فيجمع بين أرواحهما، فيقال ليثن أحدكما على صاحبه...".[2]

للصحبة تأثير على الداعية، وخاصة في مجال الدعوة، حيث يوجد بعض الدعاة المنحرفين قد يُأثرون في الداعية الثابت والسليم في دينه وعقيدته وسلوكه الدعوي، سواء في زمن العولمة أو غيرها، ويكون ذلك نتيجة لصحبته لهم في كيان واحد في المجال الدعوي.

3- الغفلة أو النسيان:

قد تؤدي الغفلة، أو النسيان بالإنسان إلى عدم الثبات، وحينئذ يجب أن يتعلم من ذلك درسًا لا ينساه على مدار الزمان فلا يتكرر منه هذا الخطأ.

يقول ابن القيم: "فمن كانت الغفلة أغلب أوقاته كان الصدأ متراكباً على قلبه، وصداه بحسب غفلته، وإذا صدئ القلب لم تنطبع فيه صور المعلومات على ما هي عليه، فيرى الباطل في صورة الحق والحق في صورة الباطل، لأنّه لما تراكم عليه الصدأ أظلم فلم تظهر فيه صورة الحقائق كما هي عليه فإذا تراكم عليه الصدأ واسودَّ وركبه الران فسد تصوره وإدراكه، فلا يقبل حقاً ولا ينكر باطلا"[3].

---

[1] سورة الزخرف الآية: 67.

[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط:2، 1420هـ - 1999م ج 7ص238.

[3] ابن قيم الجوزية، الوابل الصيب، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، (1405هـ) ص56.

قال تعالى في الغفلة: ﴿ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾[1]. وقال: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[2]، أي: أنذر الخلائق يوم الحسرة، ﴿إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾أي: فصل بين أهل الجنة وأهل النار، ودَخل كل إلى ما صار إليه مخلدًا فيه، (وَهُمْ) أي: اليوم ﴿غَفْلَةٍ ﴾ عما أنذروا به ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ أي: لا يُصَدقون به[3].

وقال في النسيان: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴾[4].

وقَالَ تعالى: ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾[5]. وقال تعالى: ﴿ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾،[6] أي: نعاملكم معاملة الناسي لكم في نار جهنم ﴿كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ﴾ أي: فلم تعملوا له لأنكم لم تصدقوا به، ﴿وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾.[7]

يقول ابن تيمية: "بنسيانه لربه تعالى ولما أنزله، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ ، وقال تعالى في حق المنافقين: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾.

وقوله:﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾، يقتضي أن نسيان الله كان سبباً لنسيانهم أنفسهم، وأنهم لما نسوا الله عاقبهم بأن أنساهم أنفسهم".[8]

---

[1] سورة الأنبياء الآية :97.

[2] سورة مريم الآية:39.

[3] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج5ص233.

[4] سورة الكهف الآية: 57.

[5] سورة طه الآية: 126.

[6] سورة الجاثية الآية: 34.

[7] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج7ص272.

[8] ابن تيمية،مجموع الفتاوى، دار الوفاء، ط:3، 1426هـ 2005م، ج16ص348.

وصدق رسولنا عليه الصلاة والسلام بقوله: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون)).[1]

وعلاج الغفلة والنسيان دوام التذكير، وذكر الله عز وجل، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴾ ،[2] وقال تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾.[4]

وتقدير العواقب المترتبة على عدم التثبت في الدنيا والآخرة: فإنّ هذا التقدير من شأنه أن يبعث الإنسان من داخله، ويحمله على الثبات والصمود وعدم التراجع.

يجب على الداعية أن يكون صاحب يقظة سريعة، ووعي تام، وعكس ذلك يجعل الداعي ضعيف في الثوابت، بحيث قد يقع فريسة لرياح العولمة من غير أن يتنبه، ويكون لذلك تأثير كبير في ثوابته ودعوته.

4- الإعجاب بالنفس:

ومن أسباب اضطراب القلب وعدم ثباته: هو الإعجاب بالنفس والاتكال على العمل، والعجب بالنفس أمره خطير كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لو لم تكونوا تذنبون لخشيت عليكم ما هو أكبر منه العجب)).[5]

وكم من معجب بنفسه لم يجتهد في تزكيتها، وأهمل تربيتها ومحاسبتها، ولم يتزود لوعورة[6]، الطريق وآلامها، فانهار وضعف مع أول محنة أو شدة لاقته، والذي يطرد خاطر العجب: مجاهدة النفس، وإلزامها التواضع، وإلجامها عن الغرور والعجب، واستخراج حظ الشيطان منها، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[7]، وقال أيضا: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ

---

[1] رواه الترمذي، رقم الحديث (2499) ج4ص659. وابن ماجة، في "السنن" رقم الحديث، (4251) ج2،ص1420.

[2] سورة الكهف الآية: 23-24.

[3] سورة الذاريات الآية: 55،

[4] سورة الأعلى الآية: 9

[5] الهيثمي،مجمع الزوائد، باب ما جاء في العجب عن أنس، رواه البزار وإسناده جيد، بيروت، دار الفكر، 1412 هـ 1992، ج 10ص369.

[6] الوعر الْمَكَان الصلب وَالْمَكَان المخيف. "المعجم الوسيط" ج2ص 1043.

[7] سورة العنكبوت الآية: 69.

أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[1] وأن يعلم أنّ الأعمال بالخواتيم، وليس بواقع الحال ذلك؛ فإذا كان كذلك لم يغتر بظاهر صلاح حاله، وظل مستيقظًا حذراً، قال تعالى في المنافقين: ﴿ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾.[2]

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق: ((إنّ أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه في أربعين يومًا نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله إليه الملك، فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد. فوالذي لا إله غيره، إنّ أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، ثمّ يسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النّار، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، ثمّ يسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل الجنة فيدخلها)).[3]

وعن أنس رضي الله عنهما أنّ رسول الله عليه السلام قال: ((لا عليكم أن لا تعجبوا بأحد حتى تنظروا بم يختم له، فإنّ العامل يعمل زمانًا من عمره أو برهة من دهره بعمل صالح لو مات عليه دخل الجنة، ثم يتحول فيعمل عملا سيئا، وإن العبد ليعمل البرهة من دهره بعمل سيئ لو مات عليه دخل النار، ثم يتحول فيعمل عملا صالحا، وإذا أراد الله بعبد خيرا استعمله قبل موته)). قالوا يا رسول الله وكيف يستعمله؟ قال: ((يوفقه لعمل صالح ثم يقبضه عليه)).[4]

يقول ابن القيم: "لما كان العمل بآخره وخاتمته، لم يصبر هذا العامل على عمله حتى يتمّ له، بل كان فيه آفّة كامنة ونكتة خذل بها في آخر عمره، فخانته تلك الآفة، والداهية الباطنة في وقت الحاجة، فرجع إلى موجبها، وعملت عملها، ولو لم يكن هناك غش وآفة لم يقلب الله إيمانه".[5]

---

[1] سورة التوبة الآية: 16.

[2] سورة الحديد الآية: 14.

[3] الترمذي، السنن"، رقم الحديث (2137) ج4ص446.

[4] الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب الأعمال بالخواتيم، بيروت، دار الفكر، (1412هـ) ج7،ص211. ورواه الإمام أحمد في "المسند" رقم الحديث (12235) ج3ص120.

[5] ابن قيم الجوزية،الفوائد، بيروت، دار الكتب العلمية،ط:2، 1393 – 1973، ج1ص 163.

University of Malaya

ومن الأسباب التي تجعل الداعية يصبح فاشلا وضعيفا في دعوته وثوابته هي العجب قرينة الاستكبار، وهذا لا يليق بالداعية أبداً، لأنه من المفترض أن يكون الداعية محذر عن تلك الأشياء الرديئة، وليس أن يأتي بها هو.

5- الحماس، أو العاطفة الإسلامية الجياشة المتأججة:

ذلك أنّ الحماس أو العاطفة ما لم تكن موزونة بميزان الشرع، ومحكومة بلجام العقل، فإنّها تسلب صاحبها الإدراك التام والوعي والبصيرة، وقد يستعجل بلوغ الغاية أو الهدف، فإذ به يخطئ كثيراً، ثمّ ما يلبث أن يتراجع ولا يثبت، فيسقط قبل الوصول.

فالحماس يجب أن يكون منضبطًا بالوعي، والبصيرة الواعية، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾،[1] أي: يدعو إلى الله بها على بَصِيرة من ذلك، ويقين وبرهان، هو وكلّ من اتبعه، يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم على بصيرة ويقين وبرهان شرعي وعقلي.[2]

ومما تعاني به الدعوة الإسلامية في هذا العصر المتمثل بعصر العولمة هي العاطفة الجياشة لدى كثير من الدعاة، وسبب ذلك كوارث عظيمة، وخسائر كبيرة للإسلام والمسلمين، وفي نفس الوقت تكون هذه العاطفة الجياشة سببا لضعف ثوابت الداعية، لأن الثوابت لم تبنى على العواطف، وإنما العاطفة هي عبارة عن الشحن والصراخ، وغالبا ما يكون صاحبها فاقد علم غزير الذي يجعل من المعلمين والمربين والدعاة الثابتين.

6- اليأس:

ومن معوقات القدرة على الثبات اليأس فقد ييأس بعض الناس من هداية قلبه، فيكون هذا سبباً للزيغ والانحراف. وقد ييأس من هداية الناس فيفضي ذلك إلى ترك العمل الصالح، والجهاد والدعوة إلى الله تعالى، وهذه هاوية أخرى ولا ثمرة من اليأس إلا الهم والغم وقلة العمل. قال الله تعالى حكاية عن يعقوب عليه الصلاة والسلام، يقول لبنيه: ﴿ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا

[1] سورة يوسف الآية: 108.

[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، 4ص422.

University of Malaya

تَايْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَايْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[1]، وقال أيضا: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَايْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾[2].

قال البراء بن عازب: ((إنّ الرجل يصيب الذنب فيلقي بيديه، ويقول: قد بالغت في المعاصي ولا فائدة في التوبة فييأس من الله، فينهمك بعد ذلك في المعاصي، فالهلاك اليأس من الله))[3].

وقال جعفر بن محمد:

ولا تيأس فإنّ اليأس كفر لعل الله يغني عن قليل

ولا تظنن بربك ظنّ سوء فإنّ الله أولى بالجميل.[4]

والبديل لليأس هو: الأمل في الله تعالى، والصبر، فهما خلقان حميدان يحملان المرء على مواصلة السير نحو تحقيق المقاصد، ومن قلّ صبره لم يصل إلى مراده، وما من طريق إلا وسالكه يحتاج إلى الصبر.

والإمامة في الدين ثمرة من ثمرات استقرار القلب وثباته، ولا ينال ذلك إلا بالصبر، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾.[5] وقال أيضا: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾،[6] يقول الطبري: فمعنى الكلام: أم حسبتم أنكم أيها المؤمنون بالله ورسله تدخلون الجنة، ولم يصبكم مثل ما أصاب مَن قبلكم مِن أتباع الأنبياء والرسل من الشدائد والمحن والاختبار، فتُبتلوا بما ابتُلوا واختبروا به من"البأساء"– وهو شدة الحاجة والفاقة "والضراء" وهي العلل والأوصاب – ولم تزلزلوا زلزالهم– يعني: ولم يصبهم من أعدائهم من الخوف والرعب شدة وجهدٌ حتى يستبطئ القوم نصر الله إياهم،

---

[1] سورة يوسف الآية: 87.

[2] سورة الرعد الآية: 31.

[3] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، الرياض، المملكة العربية السعودية، دار عالم الكتب،1423 هـ/ 2003م ج2ص362.

[4] البيهقي، شعب الإيمان "كتاب الصلوات، باب فضل الجمعة، رقم الحديث (9545) بيروت، بيروت، ط:1، 1410هـ ج7ص207.

[5] سورة السجدة الآية: 24.

[6] سورة البقرة الآية: 214.

University of Malaya

فيقولون: متى الله ناصرنا؟ ثم أخبرهم الله أن نصره منهم قريبٌ، وأنه مُعليهم على عدوِّهم، ومظهرهم عليه، فنجَّز لهم ما وعدهم، وأعلى كلمتهم، وأطفأ نار حرب الذين كفروا.[1]

وكثيرا ما نبه الله تبارك وتعالى في كتابه الأنبياء والمرسلين على أنهم لا ييأسوا في دعوتهم أبداً، وعليهم أن يصبروا ويمضون في دعوة إلى الله مهما كان الثمن، ومهما تلقوا من أذى وإهانة من قبل المدعوين.

7- الجهل بأساليب أو طرق الثبات، أو الابتعاد عنها:

وقد يجهل وسائل أو طرق الثبات، أو يبتعد عنها، فيؤدي ذلك إلى عدم الثبات، وسرعة الانحراف عن الحق، والسقوط في طريق الغواية.

ومن الأشياء المهمة والأساسية أن يتعرف الداعية على كل الوسائل والآليات المشروعة التي تعينه على تحمل القدرة على الثبات، سواء مادية كانت أم روحية، وانعدامها قد يسبب الضعف في الثبات، والفشل في الدعوة، وهذا لا يتمناه أي داعية على وجه الأرض، لذلك لزاما على الداعية إعطاء قدر من الاهتمام لهذا الجانب.

8- ضعف الرّؤية الإيمانية لمفهوم الصراع بين الحقّ والباطل:

حينما يستعلي الباطل وتكون له الغلبة الظاهرية، ثمّ بسبب غياب الرؤية المستقبلية، وضعف الإيمان بالوعد الإلهي بالنصر والغلبة لأصحاب الحق، وقلة العرفة واليقين بأنّ الحرب دوَل وسجال. قال تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾،[2] إن هؤلاء الكفرة لا يعجزون ربهم، إذا طلبهم وأراد تعذيبهم وإهلاكهم، بأنفسهم فيفوتوه بها[3]، وقال تعالى في آية أخرى: ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[4].

إنّ غلبة الباطل في جولة معينة لا يعني أنّ هذه الغلبة مطلقة ودائمة، أو بأنّ الحق لن يستطيع مقاومته، وعليه – بالتالي – أن يخضع ويستسلم، كلاّ بل على أصحاب الحق أن يستعيدوا ثقتهم أولاً في ربهم عز وجل، ثم في أنفسهم ثم يستعدوا للجولة القادمة، وهذا ما يُلمّح إليه قوله تعالى بعد

1الطبري، جامع البيان، مرجع سابق،ج4ص288.

2 سورة الأنفال الآية: 59.

3الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ج14ص28.

4 سورة آل عمران الآية: 140.

University of Malaya

ذلك: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ﴾[1]، قال الطبري: قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ﴿وَأَعِدُّواْ﴾، لهؤلاء الذين كفروا بربهم، الذين بينكم وبينهم عهد، إذا خفتم خيانتهم وغدرهم، أيها المؤمنون بالله ورسوله ﴿مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾، يقول: ما أطقتم أن تعدّوه لهم من الآلات التي تكون قوة لكم عليهم، (2) من السلاح والخيل ﴿تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾، يقول: تخيفون بإعدادكم ذلك عدوَّ الله وعدوكم من المشركين[2].

9- الهروب من الجروح والقروح:

ومن ذلك الهروب من القروح ومن الطرق الشائكة وآلامها، والنجاة من الابتلاءات من أجل تحقيق النصر، قال تعالى: ﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3]، وقال أيضا: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾.[4]

وهذا الأمر يدعو أو يدفع البعض إلى البحث عن الوسائل السهلة والناعمة، حتى وإن أدّى بها إلى الوقوع في أحضان قوى الطاغوت ومسايرتها وفق الشروط التي تفرضها وتقترحها. وهؤلاء يريدون منه عدم الثبات على الحق، بل يريدون منهم الميل والسقوط كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا﴾.[5] أي أن الله يريد أن يراجع بكم طاعته والإنابة إليه، ليعفوَ لكم عما سلف من آثامكم، ويتجاوز لكم عما كان منكم في جاهليتكم، من استحلالكم ما هو حرَامٌ عليكم من نكاح حلائل آبائكم وأبنائكم وغير

1سورة الأنفال الآية: 60.

2 الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ج14 ص 32.

3 سورة آل عمران الآية: 14.

4 سورة البقرة الآية: 214.

5سورة النساء الآية: 27.

ذلك مما كنتم تستحلونه وتأتونه، مما كان غير جائز لكم إتيانه من معاصي الله ويريد الذين يطلبون لذّات الدنيا وشهوات أنفسهم فيها أن تميلوا عن أمر الله تبارك وتعالى، فتجوروا عنه بإتيانكم ما حرّم عليكم وركوبكم معاصيه جورًا وعدولا عنه شديدًا.[1]

10- الجهل بالسنن الربانية:

ومن بين الأسباب التي تجعل البعض يضعف فيخضع ويتنازل، أو ينقاد للواقع الوهمي القائم ولا يثبت على شرع الله وأمره: الجهل بالسنن الربانية، فإنّ الله سبحانه وتعالى خلق الكون وما فيه لحكمة وغاية لأنه الحكيم الخبير، وأجراه على سنن وقوانين، منها الثابت ومنها المتغير وهو كله خاضع لحكمه ومشيئته النافذة، والذي يهم ملاحظته من السنن: السنن الشرعية المتعلقة بالأمر والنهي الرباني، سنن اجتماعية متعلقة بنشوء الدول وقيام الحضارات وسقوطها، واتجاهات المجتمعات السلوكية والاقتصادية والفكرية...

ففي هذه الدراسة سوف نتعرض لثلاث سنن مهمة في هذا الجانب:

أ- سنة الابتلاء: وهي سنة جارية وملحوظة في أحداث السيرة النبوية، فقد أوذي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وابتلي أصحابه ووقع عليهم بلاء عظيم خاصة في المراحل الأولى من الدعوة، فصبروا وصابروا، حتى أنجاهم الله ونصرهم، يقول تعالى:﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾،[2] وقال عز من قائل: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾،[3] وقال تعالى أيضا: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾[4].

فالابتلاء سنة ربانية كما تقرر الآيات، ويبتلى الصالحون، بل ويبتلي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله أي الناس أشدّ بلاء؟

1الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ج8ص212.

2 سورة التوبة، الآية: 16.

3 سورة العنكبوت الآية: 2-3.

4 سورة البقرة الآية: 214.

قال: ((الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، فيبتلى الرجل على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة)).[1]

وهكذا جرت سنة الله في ابتلاء المؤمنين؛ لتمحيصهم ورفع درجاتهم، وتمييز الصادق من غيره، ويكون هذا الابتلاء تربية على الثبات في المحن والمواقف الصعبة، بل وحتى في السراء وإفاضة الخيرات والنصر تكون ابتلاء وفتنة، ليتميز الصادق والملتزم بدينه ممن تبطره نشوة النصر، وتنسيه نعمة السراء فضل الله عليه، فيتجاوز أمر الله وينساه، قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾[2]، وقال تعالى أيضا: ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًاۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[3]، وقال تعالى في آية أخرى: ﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾.[4]

وقد نجح المؤمنون الأوائل في أنواع الابتلاءات، وقاموا بما أوجبه الله عليهم من الصبر على البلاء، والمدافعة للأعداء، وبذل الأسباب المشروعة في رفع البلاء، وعدم الاستكانة والرضى بالواقع حتى يسر الله لهم الخروج من المحنة، كما كانت فتنة السراء والنصر بعد الهجرة إلى المدينة وظهور الدين ميدانًا آخر فنجحوا في جميع ذلك ولله الحمد، فتحقق لهم بذلك التمكين في الأرض ونشر الدين حتى أظهره الله على الدين كله، وكان هذا بعون من الله ثم بجهد منهم وعمل دؤوب، والأخذ بالأسباب المعنوية والمادية المؤدية إلى ذلك، فما أحوجَ المسلمون اليوم وهم يجابهون أعداءهم إلى فقه هذه السنة الربانية، حتى يجتازوا الفتنة والابتلاء بنجاح، ويحققوا النصر على عدوهم في الواقع، لكن لن يحصل ذلك حتى تنتصر المبادئ، وتستجيب النفوس لداعي الحق، وتحصل عندهم الرغبة والإرادة للنصر، والتمكين للدين الذي قَدّر الله أنه سيظهر على الدين كله لو كره المشركون، لكن لا بد من جهد وعمل وأخذ بالأسباب وإرادة قوية حتى تتحقق السنة الربانية والوعد الإلهي.

---

1 الطبراني، المعجم الأوسط،باب من اسمه مقدام، القاهرة دار الحرمين، 1415هـ، ج9 ص31 .

2سورة الأنبياء الآية: 35.

3 سورة الأعراف الآية: 168.

4 سورة الأحزاب: 11.

University of Malaya

ب– سنة المدافعة للباطل وأهله: إنّ الصراع بين الحق والباطل سنة ربانية جارية، كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾[1]

قال الطبري: "قول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، مسليه بذلك عما لقي من كفرة قومه في ذات الله، وحاثًا له على الصبر على ما نال فيه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا ﴾، يقول: وكما ابتليناك، يا محمد، بأن جعلنا لك من مشركي قومك أعداء شياطين يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول،يصدوهم بمجادلتهم إياك بذلك عن اتباعك والإيمان بك وبما جئتهم به من عند ربك، كذلك ابتلينا من قبلك من الأنبياء والرسل، بأن جعلنا لهم أعداء من قومهم يؤذونهم بالجدال والخصومات. يقول: فهذا الذي امتحنتك به، لم تخصص به من بينهم وحدك، بل قد عممتهم بذلك معك لأبتليهم وأختبرهم، مع قدرتي على منع من آذاهم من إيذائهم، فلم أفعل ذلك إلا لأعرف أولي العزم منهم من غيرهم. يقول: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾.[2]

فالأنبياء وهم أكرم الخلق وأعدل الخلق وُجدَ لهم أعداء وخصوم، يجادلون بالباطل ليدحضوا به الحق. وقد أمر الله المؤمنين بالقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقتال المشركين حتى يكون الدين كله لله، وتضعف شوكة الباطل وتنكسر، وحتى تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾.[3]

ففي هذه الآية وآية سورة الفرقان التي ذكرناها قبل إشارة إلى ضعف الباطل وأهله إذا قام أهل الحق بواجبهم في مدافعتهم وقتالهم، لأن الله مع الذين اتقوا فقوله في الآية الأولى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾[4]، وفي الآية الثانية: ﴿ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾، إشارة إلى ضعف كيد الشيطان الذي يتولاه الكفار والمشركون، فإذا كان

1 سورة الأنعام الآية: 112.

2 الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ج12ص50– 51.

3 سورة النساء الآية: 76.

4 سورة الفرقان الآية: 31.

وليهم ضعيفًا فهم أضعف وأذل، وهذا يعطي المؤمن قوة على العمل بما أوجبه الله عليه من مدافعة الباطل وأهله، كما يعطيه ثقة في نصر الله له، ومن ثم يعتز بدينه ويتمسك به.

وهذا هو الذي قام به الصحابة رضي الله عنهم في العهد المكي، فقد وقع عليهم الاضطهاد الشديد من المشركين في مكة، ولم يكن بمقدورهم المواجهة العسكرية ولم يؤمروا بالجهاد بعد، وإنما أمروا بالصبر والتحمل، فصبروا رضي الله عنهم وتحملوا تلك المرحلة، ولكن مع الصبر والتحمل كانوا يسعون لإزالة هذا الواقع وعدم استمراره، فجاءت الهجرة الأولى إلى الحبشة، ثم ذهابه صلى الله عليه وسلم إلى الطائف، ثم العرض على القبائل في المواسم، كلها بحث عن مخرج من ذلك الواقع حتى قيض الله طائفة من الأوس والخزرج لقبول دعوة الحق، ثم المبايعة على النصرة ليلة العقبة، وأعقب ذلك الهجرة إلى المدينة، فخرج المسلمون من الاضطهاد ونصرهم الله بإخوانهم في المدينة عندما قاموا بالأسباب الموجبة لذلك[1].

والملاحظ أنّ الصحابة تحملوا مرحلة الاضطهاد وواجهوها بالصبر ولكن مع عدم الاستكانة والرضى بالواقع، فأخذوا يعملون لإزالة ذلك الواقع حتى تمكنوا من رفعه وإزالته، وهو درس بالغ ينبغي أن يفهمه المسلمون اليوم، والفهم بحاجة إلى الصبر لمواجهة الواقع الذي يعيشونه، غير أنه لا ينبغي أن يتحول صبرهم إلى استكانة ورضى بالواقع واستسلام له فإن هذا خلاف سنة الله في المدافعة بين الحق والباطل.

ج – سُنّة التمكين: وهذه السُّنة بحاجة إلى فقه المسلمين لها، والعمل على نشر هذا الفقه بينهم، لأنه وسيلتهم في الانتصار على العدو إذا أخذوا بأسباب التمكين والثبات على المنهج الرباني، فالتمكين في الأرض هبة من الله وفق مشيئته لمن سلك الأسباب الشرعية المؤدية إليه، قال تعالى: ﴿ **قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ** ﴾،[2] يعني بذلك: يا مالك الملك، يا منْ له مُلك الدنيا والآخرة خالصًا دون غيره[3]، فالتمكين بيد الله سبحانه وتعالى وتحت مشيئته، وقد قضى بعدله ورحمته أن التمكين الدائم هو لأهل طاعته، لكن لا يحصل إلا بتحقق شروط والقيام بواجبات وانتفاء

1 انظر: ابن هشام بن أيوب الحميري، السيرة النبوية، مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط:1، (1375هـ - 1955م) ج1ص433-434.

2 سورة آل عمران الآية :26.

3 الطبير، جامع البيان، مرجع سابق، ج6ص299.

الموانع.قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾.[1]

قال الطبري: بقول تعالى ذكره: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ منكم) أيها الناس، ﴿ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ يقول: وأطاعوا الله ورسوله فيما أمراه ونهياه ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾يقول: ليورثنهم الله أرض المشركين من العرب والعجم، فيجعلهم ملوكها وساستها ﴿ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ يقول: كما فعل منْ قبلهم ذلك ببني إسرائيل، إذ أهلك الجبابرة بالشام، وجعلهم ملوكها وسكانها ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ ﴾ يقول: وليوطئنّ لهم دينهم، يعني: ملتهم التي ارتضاها لهم، فأمرهم بها. وقيل: وعد الله الذين آمنوا، ثم تلقى ذلك بجواب اليمين بقوله: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ ﴾ لأن الوعد قول يصلح فيه "أن"، وجواب اليمين كقوله: وعدتك أن أكرمك، ووعدتك لأكرمنك[2].

فالذين آمنوا وعملوا الصالحات، هم الذين صححوا معتقدهم وأقاموه على وفق ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وطريقة السلف الصالح وفهمهم، ثم قاموا بعمل الواجبات الشرعية والالتزام بها، وابتعدوا عن الشرك وتوابعه، فهؤلاء قد وُعدوا من الله وعداً لا يخلف، بأنه يستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم من أتباع الرسل عليهم السلام، ويمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وهو الإسلام.

وتمكين الدين يكون: بتمكينه في القلوب وبنشره وتعليمه، وبتمكينه من تصريف أمور الحياة والهيمنة عليها، وذلك بمراعاة أحكامه وتنفيذها في الواقع، فإذا فعلوا ذلك فقد اكتسبوا شروط التمكين وحصل لهم الأمن والاستخلاف، وانتفى عنهم الخوف.

ثمّ كرّر الله سبحانه الشرط الأساسي في الاستخلاف وأكّد عليه بقوله: ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ﴾، ثم قال سبحانه وتعالى في الآية التي بعدها: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾،[3] هذه هي عُدّة النصر ومتطلبات التمكين، كما قال جل شأنه:

---

1 سورة النور الآية: 55.

2 الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ج19ص208.

3 سورة النور الآية: 56.

﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[1]

فهذا هو واجب من مكنه الله وأعطاه سلطة وقدرة أن يقوم بتنفيذ شرع الله وحراسته، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى يستمر تمكين الله تعالى له، فإن الأمور كلها بيد الله ويعطيها سبحانه وتعالى من يستحقها ممن قام بعبادته وحده، ونفذ شرعه في واقع حياته، فالتمكين ليس من أجل الحكم والملك والغلبة وقهر الآخرين والاستئثار بالدنيا، إنما هو من أجل استخدامه في الإصلاح والبناء، وتحقيق المنهج الذي ارتضاه الله لعباده، ودفع الظلم والفساد وتحقيق العدل بين العباد.

وقد يحصل التمكين المؤقت لمن يمتلك أسبابه المادية، لكنه لن يكون تمكينًا تامًا ولن يكون مستمرًا بل تنتابه الشرور والمنغصات، ولن يكون فيه الأمن الحقيقي ولا البركة في الأرزاق والأولاد، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾،[2]أي: في الدنيا، فلا طمأنينة له، ولا انشراح لصدره، بل صدره [ضيق] حَرَج لضلاله، وإن تَنَعَّم ظاهره، ولبس ما شاء وأكل ما شاء، وسكن حيث شاء، فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى، فهو في قلق وحيرة وشك، فلا يزال في ريبة يتردد. فهذا من ضنك المعيشة[3].

وهذه السنن الثلاث:- الابتلاء، المدافعة للباطل، والتمكين- بينها ترابط فإنّ أهل الإيمان الحق يبتلون في أنفسهم وأهليهم، ويعاديهم أهل الباطل من الكفرة والمنافقين والظالمين، فإذا ثبتوا على الحقّ ودافعوا أهل الباطل، وبذلوا وسعهم في كشفهم، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر كتب الله لهم التمكين والنصر وأبدلهم بعد خوفهم أمناً، ومن بعد شدتهم رخاءً، وهذه السرّاء من الابتلاء الذي يختبرون به، فلا بد من مراعاة حق الله، وحق عباده، والقيام بذلك في كل حال، في السراء، وفي الضراء، حتى يدوم لهم التمكين والنصر في الدنيا، ويستحقون الجزاء الأخروي في جنات النعيم، وإن هم أعرضوا وأخلوا بشروط التمكين فإنّ سنة الله الأخرى تنتظرهم وتحيق بهم، وهي سنة الاستبدال عندما تفقد الأمة صلاحية الاستمرار قال تعالى:﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ

---

1 سورة الحج الآية: 41.

2 سورة طه الآية: 124.

3الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ج5ص323.

﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴾[1]، أي: إنما نقص نفسه من الأجر، وإنما يعود وبال ذلك عليه، (وَاللَّهُ الْغَنِيُّ) أي: عن كل ما سواه، وكل شيء فقير إليه دائما.[2]

والمتأمل في وقائع السيرة النبوية وسير الدعوة يرى التعامل مع هذه السنن والوعي بها واضحاً حتى كتب الله لهم النصر والتمكين.

والفتن أنواع، ونحاول أن نذكر بعضها في فقرة الآتية:

فتنة المال:الأصل في المال نعمة من نعم الله تبارك وتعالى يعطيها لمن يشاء، ومن أحسن استخدامه ينال فيه خيرا كثيرا في الدنيا والآخر، ومن أسآء الاستخدام وقع في فتنة وبلاء. قال تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾.[3]

لقد هلك كثير من الدعاة في هذا الجانب، حيث وقعوا في فتنة المال، وحتى صاروا يدافعون عن الباطل من أجل الأموال، وهو من أكبر الأسباب التي تجعل الداعية أن يكون ضعيفاً في ثوابته وعقيدته.

قال شهيد الإسلام سيد قطب رحمه الله تعالى: "إن هذا القرآن يخاطب الكينونة البشرية، بما يعلم خالقها من تركيبها الخفي، وبما يطلع منها على الظاهر والباطن، وعلى المنحنيات والدروب والمسالك! وهو- سبحانه- يعلم مواطن الضعف في هذه الكينونة. ويعلم أن الحرص على الأموال وعلى الأولاد من أعمق مواطن الضعف فيها...

ومن هنا ينبهها إلى حقيقة هبة الأموال والأولاد.. لقد وهبها الله للناس ليبلوهم بها ويفتنهم فيها. فهي من زينة الحياة الدنيا التي تكون موضع امتحان وابتلاء ليرى الله فيها صنيع العبد وتصرفه.. أيشكر عليها ويؤدي حق النعمة فيها؟ أم يشتغل بها حتى يغفل عن أداء حق الله فيها؟: «وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً».. فالفتنة لا تكون بالشدة وبالحرمان وحدهما.. إنها كذلك تكون بالرخاء وبالعطاء أيضا! ومن الرخاء العطاء هذه الأموال والأولاد...

1 سورة محمد الآية: 38.

2الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ج7ص324.

3 سورة الأنفال الآية : 28.

University of Malaya

هذا هو التنبيه الأول: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ ﴾...فإذا انتبه القلب إلى موضع الامتحان والاختبار، كان ذلك عونًا له على الحذر واليقظة والاحتياط أن يستغرق وينسى ويخفق في الامتحان والفتنة.

ثم لا يدعه الله بلا عَوْن منه ولا عِوَض... فقد يضعف عن الأداء- بعد الانتباه- لثقل التضحية وضخامة التكليف وبخاصة في موطن الضعف في الأموال والأولاد! إنما يلَّوِح له بما هو خير وأبقى، ليستعين به على الفتنة ويتقوى: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾ ".[1]

وقال تعالى:﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾.[2] أي: بلاء واختبار ومحنة، يحملونكم على كسب الحرام ومنع حق الله، فلا تطيعوهم في معصية الله، الله عنده أجر عظيم، لمن آثر طاعة الله وترك معصيته في محبة ماله وولده. ثم أمرهم سبحانه بالتقوى والطاعة فقال: فاتقوا الله ما استطعتم أي: ما أطقتم، وبلغ إليه جهدكم.[3]

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: استيقظ رسول الله ليلة فزعاً يقول: ((سبحان الله ماذا أنزل الله من الخزائن وماذا أنزل من الفتن؟ من يوقظ صواحب الحجرات لكي يصلين فرب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة)).[4]

وعن كعب بن عياض، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((إن لكل أمة فتنة وفتنة أمتي المال)).[5]

وقال تعالى:﴿ وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴾،[6] وقال تعالى: في آية أخرى:﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ

1سيد قطب، في ظلال القرآن، القاهرة وبيروت، دار الشروق، ط:17، 1412هـ، ج3ص 149.

2سورة التغابن، الآية : 15.

3 الشوكاني، فتح القدير، دمشق وبيروت، دار بن كثير، ودار الكلم الطيب، ط:1، 1414هـ،ج 5 ص 285.

4 البخاري،الصحيح، كتاب الفتن، باب لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه، حديث رقم (7069) ج 9 ص 49.

5 الترمذي، السنن أبوب الزهد، باب ما جاء أن فتنة هذه الأمة في المال، وقال بعد إخراج الحديث: هذا حديث حسن صحيح غريب إنما نعرفه من حديث معاوية بن صالح. ج4ص147.

6 سورة التوبة، الآية : 75.

جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[1]

فتنة الجاه: إن الجاه قد يكون نعمة، وقد يكون نقمة، لكن من سوء حظ البشر كثيراً ما يكون الجاه نقمة له. قال الله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾.[2]

بالرغم من أن العالم تغير وتبدل في أن الجاه والمنصب والسلطة من الآليات المهمة التي تجعل الداعية أن ينفذ خططه واستراتيجيته الدعوية، ولكن، لا بد أن يكون حذراً لا تأخذه رياح الشيطان ويسيء استخدام المنصب والسلطة من مسار صحيح إلى مسار قبيح.

وقال سيد قطب[3] رحمه الله تعالى: "هذا الدرس كله تقرير للقيم في ميزان العقيدة. إن القيم الحقيقية ليست هي المال، وليست هي الجاه، وليست هي السلطان. كذلك ليست هي اللذائذ والمتاع في هذه الحياة.. إن هذه كلها قيم زائفة وقيم زائلة.

والإسلام لا يحرم الطيب منها ولكنه لا يجعل منها غاية لحياة الإنسان. فمن شاء أن يتمتع بها فليتمتع، ولكن ليذكر الله الذي أنعم بها. وليشكره على النعمة بالعمل الصالح، فالباقيات الصالحات خير وأبقى.

وهو يبدأ بتوجيه الرسول- صلى الله عليه وسلم- أن يصبر نفسه مع الذين يتجهون إلى الله وأنه لا يغفل ويهمل".[4]

"ومن فتنة الجاه: الوظيفة، والمنصب، فكم من متواضع ركب أسباب التكبر بسبب وظيفته ومنصبه، وكم من عفيف استغل وظيفته فصار نهماً إلى المال بأي طريق جاء وكم من ورع في أدنى الشبهات

---

1 سورة البقرة الآية : 265.

2سورة الكهف، الآية: 28.

3 هو سيد قطب بن إبراهيم: مفكر إسلامي مصري، من مواليد قرية موشا في أسيوط. تخرج بكلية دار العلوم بالقاهرة سنة 1353هـ - 1934م، وعمل في جريدة الأهرام. وعين موظفًا في ديوان وزارة المعارف. ثم مراقبا فنيا للوزراة. وأوفد في بعثة لدراسة برامج التعليم في أميركا سنة 1948م ولما عاد انتقد البرامج المصرية وكان يراها من وضع الإنجليز، وطالب ببرامج تتمشى والفكرة الإسلامية. وبنى على هذا استقالته سنة 1953م في العام الثاني للثورة. وانضم إلى الإخوان المسلمين، فترأس قسم نشر الدعوة وتولى تحرير جريدتهم سنة 1953م وسجن معهم، فعكف على تأليف الكتب ونشرها وهو في سجنه، إلى أن صدر الأمر بإعدامه، فأعدم سنة (1387 هـ - 1967م) انظر: الزركلي الدمشقي، الأعلام، دار الملايين، ط: 15، 2002م الناشر: دار العلم للملايين، ج3ص147-148.

4سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج4ص 2267.

University of Malaya

فلمّا أصبح صاحب منصب أو جاه صار لا يتورع عن ارتكاب المحرمات، بل أصبح يزين الباطل لأقرانه ورؤسائه، ويستحل محارم الله بأدنى الحيل، ويتكبر على عباد الله تعالى.

وعن خطورة الفتنتين السابقتين –المال والجاه– قال صلى الله عليه وسلّم: ((ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسدها من حرص المرء على المال والشرف لدينه)).[1] والمعنى أن حرص المرء على المال والشرف أشد فساداً للدّين من الذئبين الجائعين للغنم".[2]

فتنة الأولاد:وهي من الفتن التي حذرنا عنها الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله حيث يقول الله تعالى: ﴿أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾،[3] يقول جار الله الزمخشري[4] رحمه الله تعالى في تفسيره "الكشاف": "إنّ من الأزواج أزواجًا يعادين بعولتهنّ ويخاصمنهم ويجلبن عليهم، ومن الأولاد أولادًا يعادون آباءهم ويعقونهم ويجرعونهم الغصص والأذى فَاحْذَرُوهُمْ الضمير للعدوّ أو للأزواج والأولاد جميعا. أى: لما علمتم أن هؤلاء لا يخلون من عدوّ، فكونوا منهم على حذر ولا تأمنوا غوائلهم وشرهم وَإِنْ تَعْفُوا عنهم إذا اطلعتم منهم على عداوة ولم تقابلوهم بمثلها، فإن الله يغفر لكم ذنوبكم ويكفر عنكم. وقيل: إنّ ناسًا أرادوًا الهجرة عن مكة، فثبطهم أزواجهم وأولادهم وقالوا: تنطلقون وتضيعوننا فرقوا لهم ووقفوا، فلما هاجروا بعد ذلك ورأوا الذين سبقوهم قد فقهوا في الدين: أرادوا أن يعاقبوا أزواجهم وأولادهم، فزين لهم العفو. وقيل: قالوا لهم: أين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم وأموالكم، فغضبوا عليهم وقالوا: لئن جمعنا الله في دار الهجرة لم نصبكم بخير، فلما هاجروا منعوهم الخير، فحثوا أن يعفوا عنهم ويردّوا إليهم البر والصلة. وقيل: كان عوف بن مالك الأشجعى ذا أهل وولد، فإذا أراد أن يغزو تعلقوا به وبكوا إليه ورققوه، فكأنه همّ بأذاهم، وفي الحديث: ((يؤتى برجل يوم القيامة فيقال: أكل عياله حسناته))[5] وعن بعض السلف: ((العيال سوس الطاعات)). وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يخطب، فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يعثران ويقومان، فنزل إليهما

1أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، المسند، حديث كَعْبِ بن مَالِكٍ الأنصاري، مصر، مؤسسة قرطبة، رقم الحديث، (15822) ج 3 ص 456.

2 صالح الرقب، الثبات، ط:1، 1423هـ 2002م ص 9-10.

3 سورة التغابن، الآية: 15.

4 هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشريّ، جار الله، أبو القاسم: من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب. ولد في زمخشر (من قرى خوارزم) وسافر إلى مكة فجاور بها زمنا فلقب بجار الله. وتنقل في البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى خوارزم) فتوفي فيها. أشهر كتبه (الكشاف) في تفسير القرآن، و(أساس البلاغة). انظر: الأعلام للزركلي، ج7ص 178.

5 لم أَقف لَهُ عَلَى أصل. تخريج أحاديث الإحياء للعراقي، ص 469.

University of Malaya

فأخذهما ووضعهما في حجره على المنبر فقال: «صدق الله ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ ﴾ رأيت هذين الصبيين فلم أصبر عنهما» ثم أخذ في خطبته. وقيل: إذا أمكنكم الجهاد والهجرة فلا يفتننكم الميل إلى الأموال والأولاد عنهما. وقال تعالى أيضا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾.[1] قال سيد قطب في تفسيره (في ظلال القرآن): "ولكن النص القرآني أشمل من الحادث الجزئي وأبعد مدىً وأطول أمدًا. فهذا التحذير من الأزواج والأولاد كالتحذير الذي في الآية التالية من الأموال والأولاد معا: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ ﴾، والتنبيه إلى أن من الأزواج والأولاد من يكون عدوا. إن هذا يشير إلى حقيقة عميقة في الحياة البشرية، ويمس وشائج متشابكة دقيقة في التركيب العاطفي وفي ملابسات الحياة سواء. فالأزواج والأولاد قد يكونون مشغلة وملهاة عن ذكر الله. كما أنهم قد يكونون دافعًا للتقصير في تبعات الإيمان اتقاء للمتاعب التي تحيط بهم لو قام المؤمن بواجبه فلقي ما يلقاه المجاهد في سبيل الله! والمجاهد في سبيل الله يتعرض لخسارة الكثير، وتضحية الكثير. كما يتعرض هو وأهله للعنت.

وروى مسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم– قَالَ: ((إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء)) وفي حديث ابن بشار: ((لينظر كيف تعملون)).[2]

وفي مسند أبي يعلى: عن أبي سعيد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((الولد ثمر القلب، وإنه مجبنة[3] مبخلة[4] محزنة)).[5]

---

1 سورة التغابن، الآية: 14.

2 مسلم، الصحيح، كتاب الرقاق باب أكثر أهل الجنة الفقراء، رقم الحديث، (7124) بيروت دار الأفاق الجديدة، ج17ص422.

3 مجبنة: مفعلة من الجبن وهو مَا يحمل على الجُبْن يُقَال الْوَلَد مَجْبَنَة مَبْخَلَة، "المعجم الوسيط"ج1ص 106.

4 مبخلة: مفعلة من البخل ومظنة له، أي يحمل أبويه على البخل ويدعوهما إليه فيبخلان بالمال لأجله. انظر: ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، بيروت، المكتبة العلمية، 1399هـ - 1979م، ج1ص 103.

4 أبو يعلى،الموصلي، باب الولد ثمر القلب وإنه محبة، رقم الحديث (996) دمشق: دار المأمون للتراث، 1404 هـ- 1984م، ج3ص40.

University of Malaya

المبحث الثالث: في الشعائر التعبدية.

يلاحظ أن كثيراً من المسلمين ممن كانوا يحافظون على أنواع كثيرة من الطاعات في حياتهم اليومية، كالدعوة، والذكر، والدعاء، والصدقة، والتبكير إلى الصلوات وغيرها، يهملون هذه الطاعات في بعض الأحايين، ولا يثبتون عليها، وهذا الأمر إن استمر له خطورته على إيمان العبد وخاتمته وآخرته، لذا أمرنا الله بالثبات على الطاعات حتى الممات قال تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾.[1]

قال القرضاوي: "الإسلام أكثر الأديان اهتماما بعبادة الله وحده، ولا يُغفل القيم والأخلاق، والمحافظة على العبادات الشعائرية، التي بُني عليها الإسلام، من الصلاة والصيام والحج والزكاة، يضاف إليها ما يقويها ويكملها من الذكر والدعاء، والاستغفار وتلاوة القرآن، وهذه هي التي تغذي الجانب الروحي في حياة الإنسان، وتصله بربه أبداً في كل مكان، وكل زمان، وكل حال، وتجعله رطب اللسان بذكره، عامر القلب بحبه، ممتلئ الجوانح من خشيته"[2]

ومن صفات عباد الله المؤمنين أنهم يتوجهون إلى الله بالدعاء أن يثبتهم على الطاعة، قال تعالى حكاية عنهم:﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴾.[3]

وقد جاء في تفسير هذه الآية في تفسير ابن كثير قال: "وهكذا رواه ابن جرير من حديث أسد بن موسى، عن عبد الحميد بن بهرام، به مثله. ورواه أيضًا عن المثنى، عن الحجاج بن مِنْهَال، عن عبد الحميد بن بهرام، به مثله، وزاد: "قلت يا رسول الله، ألا تعلمني دعوة أدعو بها لنفسي؟ قال: ((بلى)) قولي: ((اللهم رب النبي محمد، اغفر لي ذنبي، وأذهب غَيْظ قلبي، وأجِرْنِي من مُضِلاتِ الفتن)).[4]

ثم قال ابن مردويه: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا محمد بن هارون بن بكار الدمشقي، أخبرنا العباس بن الوليد الخلال، أخبرنا يزيد بن يحيى بن عبيد الله، أخبرنا سعيد بن بشير، عن قتادة، عن أبي حسان الأعرج عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرًا ما يدعو: ((يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك))، قلت: يا رسول الله، ما أكثر ما تدعو بهذا الدعاء. فقال: ((ليس من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن، إذا شاء أن يقيمه أقامه،

---

1 سورة الحجر الآية: 99.

2القرضاوي، خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، ص 91.

3 سورة آل عمران الآية: 8.

4 الخرائطي،اعتلال القلوب، الرياض، كتبة المكة المكرمة،ط:1، 1421هـ2000م، ج 1، ص 34.

وإذا شاء أن يزيغه أزاغه، أما تسمعين قوله: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾[1]غريب من هذا الوجه، ولكن أصله ثابت في الصحيحين، وغيرهما من طرق كثيرة بدون زيادة ذكر هذه الآية الكريمة.[2]

ولما كانت قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد يصرفه حيث يشاء، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول: ((اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك،اللهم يا مصرف القلوب صرف قلبي إلى طاعتك)).[3] وكان من دعائه: ((رب أعني ولا تعن علي، وانصرني ولا تنصر علي، وامكر لي ولا تمكر علي، واهدني ويسر الهدى لي، وانصرني على من بغى علي، رب اجعلني لك شكارًا، لك ذكارًا، لك رهابًا، لك مطواعًا، لك مخبتًا، إليك أواهًا منيبا، رب تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، وثبت حجتي، وسدد لساني، واهد قلبي، واسلل سخيمة صدري)).[4] وكان ابن عمر إذا قدم حاجًا أو معتمرًا طاف بالبيت وصلى ركعتين، وكان جلوسه فيها أطول من قيامه ثناءً على ربه ومسألة، فكان يقول حين يفرغ من ركعتيه بين الصفا، والمروة: ((اللهم اعصمني بدينك وطاعتك، وطاعة رسولك صلى الله عليه وسلم، اللهم جنبني حدودك، اللهم اجعلني ممن يحبك، ويحب ملائكتك، ورسلك، وعبادك الصالحين، اللهم حببني إليك، وإلى ملائكتك، ورسلك، اللهم آتني من خير ما تؤتي عبادك الصالحين في الدنيا والآخرة، اللهم يسرني لليسرى، وجنبني العسرى، واغفر لي في الآخرة والأولى، اللهم أوزعني أن أوفي بعهدك الذي عاهدتني عليه، اللهم اجعلني من أئمة المتقين واجعلني من ورثة جنة النعيم، واغفر لي خطيئتي يوم الدين)).[5]

وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم عليًا أن يسأل الله عز وجل الهدى والسداد، وقال له: ((سل الله تعالى الهدى والسداد، واذكر بالهدى هدايتك الطريق، واذكر بالسداد تسديدك السهم)).[6] وعليه أن يضع على نصب عينيه قصر الأمل، ومعناه العلم بقرب الرحيل وسرعة انقضاء مدة الحياة، وهو من أنفع الأمور للثبات على الطاعات، فإنه يبعث على انتهاز فرصة الحياة التي تمر مر السحاب،

1أحمد بن حنبل، المسند، مرجع سابق، 19ص 12107.

2 ابن كثير،تفسير القرآن العظيم، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط:2، 1420هـ - 1999م، ج 2، ص 14.

3 الحاكمالنيسابوري،المستدرك على الصحيحين، كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر، رقم الحديث (1926)،بيروت دار الكتب العلمية، ط:1، 1411 – 1990م، ج1ص706.

4الترمذي، السنن، أبواب الدعوات، وقال: هذا حديث حسن صحيح ج5ص 554.

5ابن أبي شيبة، المصنف، الرياض، مكتبة الرشد، ط: 1، 1409، ج6ص108.

6أحمد بن حنبل، المسند، مرجع سابق، ج2ص 91.

ويثير ساكن عزماته إلى دار البقاء، ويحث على قضاء جهاز سفره وتدارك الفائت، ويزهد في الدنيا، ويرغب في الآخرة.

فكلما قصَّر الأمل جدَّ في العمل، لأن العبد يقدِّرُ أنه يموت اليوم فيستعد استعداد ميت، فإذا أمسى شكر الله تعالى على السلامة، وقدر أن يموت تلك الليلة فيبادر إلى العمل، وقد ورد الشرع بالحث على العمل والمبادرة إليه، فقد أوصى النبي صلى الله عليه وسلم ابن عمر رضي الله عنهما فقال له: ((كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل)).[1]

وقد اتفقت على ذلك وصايا الأنبياء وأتباعهم، قال تعالى حاكيًا عن مؤمن آل فرعون: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ٣٩ مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾[2].ويقول فيها الشيخ الطبري رحمه الله في تفسيره[3]: "من عمل بمعصية الله في هذه الحياة الدنيا، فلا يجزيه الله في الآخرة إلا سيئة مثلها، وذلك أن يعاقبه بها؛ ﴿وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ﴾،[4] يقول: ومن عمل بطاعة الله فى الدنيا، وائتمر لأمره، وانتهى فيها عما نهاه عنه من رجل أو امرأة، وهو مؤمن بالله ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ﴾،[5]يقول: فالذين يعملون ذلك من عباد الله يدخلون في الآخرة الجنة.وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا﴾أي: شركا،السيئة عند قتادة شرك ﴿وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا﴾،[6]أي: خيرًا ﴿مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾.[7]

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((ما لي وما للدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها)).[8]

1الترمذي،السنن، كتاب الزهد، باب ما جاء في قصر الأمل،رقم الحديث (2333) بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج4ص 567.

2سورة غافر الآية: 39-40.

3 الطبري، جامع البيان، مرجع السابق، ج20 ص 330.

4سورة غافر: 40.

5سورة النساء: 124.

6سورة الروم: 44.

7سورة النساء: 124.

8الترمذي، السنن،كتاب الزهد، باب مالى وما للدنيا، رقم الحديث (2551) ج9ص194.

ووصى صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة أن يكون بلاغهم من الدنيا كزاد الراكب.ففي مسند الإمام أحمد: "لما احتضر سلمان بكى وقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلينا عهدا فتركنا ما عهد إلينا، أن يكون بلغة أحدنا من الدنيا كزاد الراكب، قال: ثم نظرنا فيما ترك فإذا قيمة ما ترك بضعة وعشرون درهما، أو بضعة وثلاثون درهما".[1]

كما ينبغي للمرء أن ينوّع الطاعات ويسارع إليها، ويحذر من التفريط فيها: فمن رحمة الله عز وجل بنا أن نوع لنا العبادات لتأخذ النفس بما تستطيع منها، فمنها عبادات بدنية، ومالية، وقولية، وقلبية.

وقد أمر الله عز وجل بالتسابق إليها جميعا، وعدم التفريط في شيء منها. قال تعالى: ﴿ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾،[2] حيث جاء في تفسير القرطبي رحمه الله:[3]فيه أربع مسائل: الأولى- قوله تعالى: "لكل وجهة" الوجهة وزنها فعلة من المواجهة. والوجهة والجهة والوجه بمعنى واحد، والمراد القبلة، أي إنهم لا يتبعون قبلتك وأنت لا تتبع قبلتهم، ولكل وجهة إما بحق وإما بهوى. الثانية- قوله تعالى:"هو موليها" "هو" عائد على لفظ كل لا على معناه، لأنه لو كان على المعنى لقال: هم مولوها وجوههم، فالهاء والألف مفعول أول والمفعول الثاني محذوف، أي: هو موليها وجهه ونفسه. والمعنى: ولكل صاحب ملة قبلة، صاحب القبلة موليها وجهه، على لفظ كل، وهو قول الربيع وعطاء وابن عباس. وقال علي بن سليمان: "وليها" أي متوليها.

وقرأ ابن عباس وابن عامر "مولاها" على ما لم يسم فاعله. والضمير على هذه القراءة لواحد، أي ولكل واحد من الناس قبلة، الواحد مولاها أي مصروف إليها، قاله الزجاج. ويحتمل أن يكون على قراءة الجماعة "هو" ضمير اسم الله عز وجل وإن لم يجر له ذكر، إذ معلوم أن الله عز وجل فاعل ذلك، والمعنى: لكل صاحب ملة قبلة الله موليها إياه. وحكى الطبري: أن قوما قرءوا "ولكل وجهة" بإضافة كل إلى وجهة. قال ابن عطية: وخطأها الطبري، وهي متجهة، أي فاستبقوا الخيرات لكل وجهة ولاكموها، ولا تعترضوا فيما أمركم بين هذه وهذه، أي إنما عليكم الطاعة في الجميع. وقدم قوله: لكل وجهة.

---

1 أحمد بن حنبل،المسند، ج3ص 115.

2سورة البقرة الآية: 148 .

3 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،القاهرة، دار الكتب المصرية، ط:2، 1384هـ - 1964م، ج2،ص162.

وقال جل شأنه: ﴿ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ﴾.[1]

وقال صلى الله عليه وسلم : ((لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقي أخاك بوجه طلق)).[2] وقال عليه الصلاة والسلام: ((لركعتان خفيفتان مما تحقرون وتنفلون يزيدهما هذا في عمله أحب إليه من بقية دنياكم)).[3] وقال: ((اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة)).[4]

ولعل النبي صلى الله عليه وسلم قد ألمح إلى مثل هذا التنوع وتلك المسارعة حين سأل صحابته: ((من أصبح منكم اليوم صائما؟))، قال أبو بكر: أنا، قال: ((من اتبع منكم اليوم جنازة؟))، قال أبو بكر: أنا، قال: ((من أطعم اليوم منكم مسكينا؟))، قال أبو بكر: أنا، قال: ((من عاد منكم اليوم مريضًا؟))، قال أبو بكر: أنا. قال صلى الله عليه وسلم : ((ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة)).[5]

ونلحظ أن الطاعات التي سأل عنها النبي صلى الله عليه وسلم جمعت أنواعًا من العبادات فمنها عبادات بدنية: كالصيام، واتباع الجنائز، وعيادة المريض، وعبادات مالية: كإطعام المساكين، وعبادات ذات نفع متعد مثل: عيادة المريض، واتباع الجنائز، وإطعام المساكين، وعبادات ذات نفع قاصر: مثل الصيام.

وبمثل هذا التنوع وتلك المسارعة يثبت المسلم على الطاعة، ولا يقطع الملل طريق العبادة عليه، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ﴾.[6]لو ثبت أنهم فعلوا ما يكلفونه من تكليفات محتملة بينت لهم فيها نتائجها وثمراتها، لكان فيها الخير لهم في الدنيا والآخرة، ففي الآخرة يكون الثواب العظيم والنعيم المقيم، وفي الدنيا يكون العدل والفضيلة، والمصلحة الحقيقية، وهذه الأمور هي خير الدنيا. فالشرع الإسلامي بني على هذه الأمور الثلاثة: الأول الفضيلة المهذبة للنفس، الموجهة إلى توثيق العلاقة بين الإنسان وأخيه الإنسان، والعبد وربه، والسعي نحو الكمال الإنساني، والمنزلة الرفيعة. والثاني العدالة التي هي الميزان في العلائق الإنسانية التي ينتظم بها معاشهم ومعادهم، والثالث المصلحة الحقيقية، فما من مصلحة حقيقية ليست هوى

1سورة المطففين الآية: 26.

2 مسلم،الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب الطلاق، رقم الحديث (6857) ج4ص 262.

3 ابن أبي شيبة،كتاب الصلاة باب فضل الصلاة، رقم الحديث (7633) الدار السلفية الهندية القديمة، ج2ص158.

4 البخاري،الصحيح، كتاب الرقاق، باب علامة النبوة، رقم الحديث (3400) ج5ص 2395.

5مسلم، الصحيح، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل أبي بكر، رقم الحديث (6333) ج4ص 1857.

6سورة النساء الآية: 66.

ملحا ولا شهوة جامحة – إلا دعا إليها الإسلام، وما من حكم جاء به التكليف الإلهي إلا طويت فيه المصلحة، وكانت نتيجة وثمرة للأخذ به.

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾أي يكون في الأخذ بالتكليف الذي يطاق تثبيت على الحق، هو أشد تثبيت وأقواه. وكان في التكليف الذي يطاق تثبيت للحق، لأنه يمكن الاستمرار عليه، والاستمرار على فعل ما هو حق يثبته ويقرب الغاية منه، ولذلك كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يدعو إلى المداومة على الخير ولو كان قليلا، وقد قال – صلى الله عليه وسلم –: ((أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلَّ)).[1] وإن الاستمرار على طاعة الله يؤدي إلى مثلها، وإن الاستمرار على السهل يجعل المكلف قادرا على الصعب، ثم على الأصعب، وهكذا حتى يصل إلى أعلى درجات التكليف مشقة، فيكون بعد هذه الخطوات أمرا مستطاعًا.[2]

ومما يقرب العبد إلى الله تعالى التعلق بالمسجد وأهله: ففي التعلق بالمسجد وأهله ما يعين على الثبات على الطاعات، حيث المحافظة على صلاة الجماعة، والصحبة الصالحة ودعاء الملائكة، وحلق العلم، وتوفيق الله وحفظه ورعايته. قال تعالى في الملازمين للمساجد المنشغلين بها عن الدنيا: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[3]

لقد اختلف الناس في أول من بنى الكعبة، فقيل: الملائكة قبل آدم، وروي هذا عن أبي جعفر الباقر محمد بن علي بن الحسين، ذكره القرطبي وحكى لفظه، وفيه غرابة، وقيل: آدم عليه السلام رواه عبد الرزاق عن ابن جريج عن عطاء وسعيد بن المسيب وغيرهم: أن آدم بناه من خمسة أجبل: من حراء وطور سيناء وطور زيتا وجبل لبنان والجودي، وهذا غريب أيضًا. وروي نحوه عن ابن عباس وكعب الأحبار وقتادة وعن وهب بن منبه: أن أول من بناه شيث، عليه السلام، وغالب من يذكر هذا إنما يأخذه من كتب أهل الكتاب، وهي مما لا يصدق ولا يكذب ولا يعتمد عليها بمجردها، وأما إذا صح حديث في ذلك فعلى الرأس والعين.[4]

---

1 البخاري،الصحيح، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل، رقم الحديث (6464) ج 8 ص 98.

2 أبي زهرة، كتاب زهرة التفاسير، دار الفكر العربي ،ج4، ص1749.

3سورة النور الآية: 36-38.

4 ابن كثير،تفسير القرآن الكريم، مرجع سابق، ج1 ص421.

وفي الحث على حلق العلم والصحبة الصالحة يقول صلى الله عليه وسلم: ((ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده)).[1]

ويقول صلى الله عليه وسلم: ((هم القوم لا يشقى بهم جليسهم)).[2] فبين أن جليسهم يندرج معهم في جميع ما يتفضل الله تعالى به عليهم إكرامًا لهم، ولو لم يشاركهم في أصل الذكر.

ويبين صلى الله عليه وسلم أن الملائكة تدعو لمن جلس بعد الصلاة للذكر فيقول: ((الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه، ما لم يُحدِث فيه، تقول: اللهم أغفر له اللهم ارحمه)).[3]

أما من جلس ينتظر الصلاة، فهو في رباط كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: ((وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط، فذلكم الرباط)).[4]

فمن كان حاله كذلك فقد استغرق عمره في الطاعة، وكان ذلك بمنزلة الرباط.

ومطالعة قصص الأنبياء وحياة الصحابة والتابعين مما يساعد على دوام المرء على الطاعة، لقد قص الله علينا في كتابه قصصًا طيبة من أخبار الأنبياء والسابقين، ولم تذكر للتسلية والسمر ولكن لننتفع ونتعظ بها، ومن منافعها تثبيت قلوب المؤمنين والمؤمنات والطائعين والطائعات، كما قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾.[5]وقد اختار هذا القول ابن جرير، وأبو عبيدة والفراء.

وعن مالك فيما رويناه عنه في التفسير: ﴿ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾قال: للرحمة، وقال قوم: للاختلاف.

وقوله: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ يخبر تعالى أنه قد سبق في قضائه وقدره، لعلمه التام وحكمته النافذة، أن ممن خلقه من يستحق الجنة، ومنهم من يستحق النار، وأنه لا بد أن يملأ جهنم من هذين الثقلين الجن والإنس، وله الحجة البالغة والحكمة التامة. وفي الصحيحين عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

1 أبو داود،السجستاني،السنن، كتاب الوتر باب في ثواب القراءة، رقم الحديث (1457) بيروت، دار الكتاب العربي، ج1ص 544.

2 مسلم، الصحيح، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل مجالس الذكر، رقم الحديث (7015) ج4ص 2069.

3 أبو داود السجستاني، السنن، كتاب الصلاة باب فضل القعود، رقم الحديث (469) دار الفكر، ج2ص135.

4مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي، الموطأ للامام مالك، كتاب قصر الصلاة في السفر، باب انتظار الصلاة والمشي إليه، رقم الحديث (348) مصر، دار إحياء التراث العربي، ج1ص 161.

5سورة هود الآية:120.

University of Malaya

((اختصمت الجنة والنار، فقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضَعَفَةُ الناس وسَقطُهم؟ وقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين. فقال الله عز وجل للجنة، أنت رحمتي أرحم بك من أشاء. وقال للنار: أنت عذابي، أنتقم بك ممن أشاء، ولكل واحدة منكما ملؤها. فأما الجنة فلا يزال فيها فضل، حتى ينشئ الله لها خلقا يسكن فضل الجنة، وأما النار فلا تزال تقول: هل من مزيد؟ حتى يضع عليه ربّ العزة قَدمه، فتقول: قَطْ قط، وعزتك)).[1]وكل أخبار نقصها عليك، من أنباء الرسل المتقدمين قبلك مع أممهم، وكيف جرى لهم من المحاجات والخصومات، وما احتمله الأنبياء من التكذيب والأذى، وكيف نصر الله حزبه المؤمنين وخذل أعداءه الكافرين –كل هذا مما نثبت به فؤادك –يا محمد –أي: قلبك، ليكون لك بمن مضى من إخوانك من المرسلين أسْوةً.[2]

وكثير من الناس تتغير أحوالهم بالاطلاع على سير العظماء والأكابر، خاصة سير السلف الصالح الأوائل الذين ضربوا أعظم الأمثلة في التضحية والعبادة، والزهد والجهاد والإنفاق وغيرها. وكانوا بحق شامة الناس ومقدمي الأمم. والاطلاع على هذه السير يورث المرء حماسًا عظيمًا، محاولة منه للحاق بركب أولئك الأكابر الأعاظم.

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح.[3]

وعلى المرء أن يتطلع إلى ما عند الله من النعيم المقيم، لإن من شاهد الآخرة بقلبه مشاهدة يقين أصبح بالضرورة مريدًا لها ساعيًا إليها، فالحياة قصيرة، والجنة سلعة غالية، لذلك تحتاج إلى عمل دائب متواصل قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾.[4]

عن قتادة، في قوله:﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ ﴾قال: ((أذل الله ابن آدم بالموت، وجعل الدنيا دار حياة ودار فناء، وجعل الآخرة دار جزاء وبقاء)).[5]

فبين سبحانه أن مدة الحياة ابتلاء، وأنها منافسة على أحسن العمل، وأن الموت خلق مع الحياة، ويذكر لنا الرسول صلى الله عليه وسلم أدنى أهل الجنة منزلة في حديث ليُعلي الهمة ويحث على صالح العمل والثبات عليه حيث يقول: ((سأل موسى ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يجيء بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل الجنة فيقول: أي رب: كيف وقد نزل الناس

1 البخاري، صحيح، الحديث رقم (7449) ومسلم في صحيح، الحديث رقم (2846).

2 ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، مرجع سابق، ج4 ص363.

3 لعبد المجيد أبومريقة، "ديوان عبد الغني النابلسي، من دواوين العصر العثماني" ج1 ص 383.

4 سورة الملك الآية: 2.

5 الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ج23ص 505.

منازلهم، وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له أترضى أن يكون لك مثل مُلْك مَلِك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت ربي. فيقول: لك ذلك ومثله ومثله، فقال في الخامسة: رضيت ربي. قال: رب فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت. غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر)).[1] قال: ومصداقه في كتاب الله تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ استئناف ناشيء عن قوله: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾الآية،[2] تفرغ المقام له بعد أن أنحى بالتقريع والوعيد للكافرين على كفرهم بلقاء الله، بما أفادت اسمية جملة: ﴿ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴾[السجدة: 10] من أنهم ثابتون على الكفر بلقاء الله دائمون عليه، وهو مما أنذرتهم به آيات القرآن، فالتكذيب بلقاء الله تكذيب بما جاء به القرآن فهم لا يؤمنون، وإنما يؤمن بآيات الله الذين ذكرت أوصافهم هنا.

والمراد بالآيات هنا آيات القرآن بقرينة قوله الذين إذا ذكروا بها بتشديد الكاف، أي أعيد ذكرها عليهم وتكررت تلاوتها على مسامعهم.

ومفاد إنما قصر إضافي، أي يؤمن بآيات الله الذين إذا ذكروا بها تذكيرا بما سبق لهم سماعه لم يتريثوا عن إظهار الخضوع لله دون الذين قالوا:﴿ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾[السجدة: 10]، وهذا تأييس للنبيء صلى الله عليه وسلم من إيمانهم، وتعريض بهم بأنهم لا ينفعون المسلمين بإيمانهم ولا يغيظونهم بالتصلب في الكفر.

وأوثرت صيغة المضارع في إنما يؤمن لما تشعر به من أنهم يتجددون في الإيمان ويزدادون يقينا وقتا فوقتا، كما تقدم في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ ،[3] وإلا فإن المؤمنين قد حصل إيمانهم فيما مضى ففعل المضي آثر بحكاية حالهم في الكلام المتداول لولا هذه الخصوصية، ولهذا عرفوا بالموصولية والصلة الدال معناها على أنهم راسخون في الإيمان، فعبر عن إبلاغهم آيات القرآن وتلاوتها على أسماعهم بالتذكير المقتضي أن ما تتضمنه الآيات حقائق مقررة عندهم لا يفادون بها فائدة لم تكن حاصلة في نفوسهم ولكنها تكسبهم تذكيرا: ﴿ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.[4] وهذه الصفة التي تضمنتها الصلة هي حالهم التي عرفوا بها لقوة إيمانهم وتميزوا بها عن الذين كفروا، وليست تقتضي أن

---

1 مسلم،الصحيح، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم الحديث (276) بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج1ص437.

2السجدة: 3.

3فيسورة البقرة: 15.

4الذاريات: 55.

من لم يسجدوا عند سماع الآيات ولم يسبحوا بحمد ربهم من المؤمنين ليسوا ممن يؤمنون، ولكن هذه حالة أكمل الإيمان وهي حالة المؤمنين مع النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ عرفوا بها، وهذا كما تقول للسائل عن علماء البلد: هم الذين يلبسون عمائم صفتها كذا.[1]

المبحث الرابع: في الثبات على الالتزام بالأخلاق الإسلامية أمام ظاهرة العولمة.

ومن مخاطر العولمة في الجانب الأخلاقي والاجتماعي أنّها تركّز على حرية الإنسان الفردية إلى أن تصل للمدى الذي يتحرّر فيه من كل قيود الأخلاق والدين والأعراف المرعية، والوصول به إلى مرحلة العدمية، وفي النهاية يصبح الإنسان أسيراً لكل ما يعرض عليه من الشركات العالمية الكبرى التي تستغله أسوأ استغلال، وتلاحقه به بما تنتجه وتروج له من سلع استهلاكية أو ترفيهية، لا تدع للفرد مجالا للتفكير في شيء آخر وتصيبه بالخوف.

وأيضاً تكريس النزعة الأنانية لدى الفرد، وتعميق مفهوم الحرية الشخصية في العلاقة الاجتماعية، وفي علاقة الرجل بالمرأة، وهذا بدوره يؤدي إلى التساهل مع الميول والرغبات الجنسية، وتمرد الإنسان على النظم والأحكام الشرعية، التي تنظم وتضبط علاقة الرجل بالمرأة. وهذا يؤدي إلى انتشار الإباحية والرذائل والتحلل الخلقي وخدش الحياء والكرامة والفطرة الإنسانية.[2]

قال القرضاوي: "لقد اهتم الإسلام بالجانب الأخلاقي، واعتبره من ثمار الإيمان، بل من شعب الإيمان، وإذا كانت الأخلاق في الإسلام شاملة، فهي كذلك عامة، فلا تقتصر على المسلمين وحدهم، ولا على العرب وحدهم، بل هي تعم الناس جميعاً، المسلم وغير المسلم، فالعدل مطلوب ومفروض للمسلم وغير المسلم، فالرحمة مطلوبة بالمسلم وغير المسلم، فالوفاء مطلوب للمسلم وغير المسلم، وكل الفضائل يجب أن تكون مع الناس جميعاً، ومثلها الرذائل لا تتجزأ، فالكذب حرام مع الجميع، والخيانة محرمة مع الجميع، والغدر محرم مع الجميع، ولا يقبل الإسلام الفلسفة القائلة: الغاية تبرر الوسيلة، بل لا بد من شرف الغاية وطهر الوسيلة معاً، ولا يجيز الإسلام للمسلم أن يقبل الرشوة أو يأكل الربا، أو يغش تجارته، ثم يبنى مما كسب مسجداً، أو يقيم مشروعاً خيرياً، فإن الله طيب لا يقبل إلا طيب"[3]

1ابن عاشور،التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج21 ص 228.

[2] صالح الرقب،بين عالمية الإسلام والعولمة، مقدم لمؤتمر التربية الأول بعنوان "التربية في فلسطين ومتغيرات العصر" 1425هـ - 2004م

[3] القرضاوي،خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، ص 96 – 97

قول الشيخ أن الأخلاق لا تقتصر على المسلمين وحدهم هو أن الأخلاق نظير الإنسانية، والاحترام المتبادل، وروح مساعدة الآخرين، ومنع الأذى على الآخر، والكف عن الظلم والكبر والعنجهية، وهذا هو الأصل في الأخلاق الذي يشمل الجميع بين المسلم وغير المسلم.

إن الأخلاق في الإسلام لا تتغير ولا تتطور تبعًا للظروف الاجتماعية والأحوال الاقتصادية، بل هي حواجز متينة ضد الفوضى والظلم والشر، كما قال الله تعالى: ﴿ **فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ** ﴾.[1] والقوامة ليست استبدادا أو تعسفا أو تسلطا وترفعا، وإنما هي تكليف بالإدارة والرعاية والولاية والنفقة. وهذا التكليف عبء على الرجال أكثر من النساء[2]، قال اللّه تعالى:"﴿ **ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ** ﴾.[3]

ويقصد بثبات الأخلاق الإسلامية الفضائل الأساسية للمجتمع من صدق، ووفاء، وأمانة، وعفة، وإيثار، ومن الفضائل الاجتماعية المرتبطة بنظام الشريعة العامة، كالتسمية عند الطعام، وإفشاء السلام، وتحريم الخلوة بالأجنبية، كلها أمور لا يستغني عنها مجتمع كريم، مهما تطورت الحياة، وتقدم العلم بل تظل قيمًا فاضلة ثابتة، يترتب على خاصية الثبات في الأخلاق الإسلامية الآثار والمزايا التالية:

1- تخليص المجتمعات من ظاهرة القلق والإضرابات التي تسودها، وتمكين الأواصر الإنسانية بالود والرحمة بينهما، خلافًا للمجتمعات التي تتبدل فيها القيم الاجتماعية بحسب التغيرات الاقتصادية، حيث نجدها تعيش في قلق واضطراب.

2- التفريق بين الأخلاق والتقاليد، فالأخلاق ثابتة لأنها جزء من الدين الموصى به، وهي بذلك كيان متكامل رباني المصدر، إنساني الهدف.

أما التقاليد فمن طبيعتها أن تتغير كلما تغيرت مبررات وجودها، ولكن ليس بالإمكان تغير الأخلاق، لأنها تقوم على أسس ثابتة كالحق والعدل والخير.

1سورة البقرة الآية: 229.

2وهبة الزحيلي، كتاب الوسيط للزحيلي، دمشق، دار الفكر، ط:1، 1422هـ، ج1،ص125.

3سورة النساء: 4 و 34.

University of Malaya

3- إن عامل الثبات في الأخلاق يبعث الطمأنينة في حياة الفرد، وفي حياة المجتمع، والثبات على الأخلاق مطلوب لأن الأمور بخواتيمها وبدون الاستقامة والثبات على الحق تفوت الثمرة ، ولا يصل المسلم إلى الغاية.

ولثبات على التزام الأخلاق الإسلامية مبررات خاصية تتمثل في الأمور التالية:

1- إن الفطرة البشرية ثابتة في عمر الإنسانية يرثها الأحفاد عن الأجداد فالخلق فطرة وكذلك القيم الاجتماعية ثابتة، ((كل مولود يولد على الفطرة)).[1]

2- إن الأخلاق الاجتماعية نابعة عن الدين، وتصلح لجميع الناس، وتفترض الخير المطلق، لأن شارعها هو الله سبحانه وتعالى، الذي راعى فيها الخير العام قال تعالى:﴿ **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ** ﴾.[2]

3- إن المنهج الإسلامي يقوم أساسًا على عناصر ثابتة مرنة قادرة على استيعاب تغيرات الحياة بأزمانها المرتبطة بالإنسان نفسه، وبالحدود والضوابط التي لا سبيل إلى تجاوزها وفي مقدمتها قاعدة الالتزام الأساسية التي تقيم للإسلام أصوله الأخلاقية ومن هذه الأصول ثبات القيم الأخلاقية لارتباطها بالإنسان وفطرته البشرية.

والإسلام قد اشتمل على قيم خلقية ونذكر بعضاً لا على سبيل الحصر:

1- العدل: أقام الإسلام المجتمع على دعائم قوية ثابتة، ومنها: العدل بين الناس على اختلاف أجناسهم وطبقاتهم.

والعدل: صفة خلقية كريمة تعني التزام الحق والإنصاف في كل أمر من أمور الحياة، والبعد عن الظلم والبغي والعدوان.

والعدل في الإسلام: هو مما يكمل أخلاق المسلم لما فيه من اعتدال واستقامة وحب للحق، وهو كذلك صفة خلقية محمودة، تدل على شهامة ومروءة من يتحلى بها، وعلى كرامته واستقامته، ورحمته وصفاء قلبه، قال تعالى:﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ** ﴾،[3]للحق تبارك وتعالى في هذه الآية ثلاثة أوامر : العدل، والإحسان، وإيتاء ذي القُرْبى. وثلاثة نَواهٍ: عن الفحشاء والمنكر والبغي. ولما

1 البخاري، الصحيح، كتاب الجنائز، باب ما قيل في الصبي، رقم الحديث (2660) بيروت، دار ابن كثير، اليمامة، ج1ص465.

2 سورة الملك الآية: 14.

3سورة النحل الآية: 90.

University of Malaya

نزلت هذه الآية قال ابن مسعود : أجمعُ آيات القرآن للخير هذه الآية لأنها جمعتْ كل الفضائل التي يمكن أن تكون في القرآن الكريم.[1]

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:((إن أجمع آية في القرآن لخير أو لشر، آية في سورة النحل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾.[2]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾.[3]

وقد ورد في الحديث الشريف قوله صلى الله عليه وسلم: ((تعدل بين اثنين صدقة))،[4] والإسلام يربأ بالمسلم عن الوقوع في أي لون من ألوان الظلم، فالظالم مطرود من رحمة الله، ولقد أوعد الله سبحانه وتعالى الظالمين بأشد العقوبات، فقال تعالى: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾،[5] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾.[6]

كما تضمنت السنة النبوية الشريفة مجموعة من الأحاديث التي تقر العدل وتنفي وتحرم الظلم منها: قوله صلى الله عليه وسلم لأصحابه رضوان الله عليهم: ((اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة)).[7] وروى أبو ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: ((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا)).[8]

ومن أجل إزالة الظلم وتوطيد العدل الكامل بين الناس، قيد الله سبحانه وتعالى حرية بني البشر ببعض القيود وهي الحدود الشرعية التي جعلها واجبة التنفيذ قال تعالى: ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾..[9]

1متولي الشعراوي،تفسير الشعراوي – الخواطر، مطابع أخبار اليوم، (1998م) ج1 ص 500.

2 الطبري،جامع البيان، ج17ص280.

3 سورة النساء، الآية: 58.

4 البيهقي،السنن الكبرى، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط: 3، 1424 هـ - 2003 م، ج4ص315.

5 سورة هود الآية: 18.

6سورة إبراهيم الآية: 42.

7 مسلم،الصحيح، كتاب البر والصلة والآدب، باب تحريم الظالم، رقم الحديث (6741) ج16ص459.

8مرجع سابق، كتاب البر والصلة والآدب باب تحريم الظالم، رقم الحديث (6737) ج16ص455.

9سورة البقر الآية: 229.

University of Malaya

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: هو دلالة على عدد الطلاق الذي يكون للرجل فيه الرجعة على زوجته، والعدد الذي تبين به زوجته منه. ذكر من قال إن هذه الآية أنزلت لأن أهل الجاهلية وأهل الإسلام قبل نزولها لم يكن لطلاقهم نهاية تبين بالانتهاء إليها امرأته منه ما راجعها في عدتها منه، فجعل الله تعالى ذكره لذلك حدا حرم بانتهاء الطلاق إليه على الرجل امرأته المطلقة إلا بعد زوج، وجعلها حينئذ أملك بنفسها منه. ذكر الأخبار الواردة بما قلنا في ذلك.[1]

وقد طبق رسول الله صلى الله عليه وسلم مضمون هذه الآية، وذلك لاستتاب العدل، كما ثبت في المرأة المخزومية القرشية التي سرقت، وقرر رسول الله صلى الله عليه وسلم تنفيذ الحد عليها، فعظم ذلك على رجال من قريش، فطلبوا من أسامة بن زيد رضي الله عنه أن يشفع لها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما تحدث أسامة إليه صلى الله عليه وسلم في أمرها، غضب صلى الله عليه وسلم وقال لأسامة مستنكراً : ((أتشفع في حد من حدود الله؟ إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت، لقطع محمد يدها)).[2]

وقد أعلن الإسلام مبدأ العدل في العقيدة والشريعة والأسرة والعهود والقضاء، وكل شئون الحياة، ومن هنا صار العدل التزامًا للمسلم في كل ميادين حياته الروحية والمادية، ومناطًا للثواب على صالح الأعمال، فالعدل الحقيقي لا يكتمل بعيدا عن شريعة الله، لأن شريعة الله تعالى هي العدل، وبناء على هذا فقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم كل مسلم يحتكم إلى قاضي وهو يعلم أنه ظالم لا مظلوم فإن جزاءه النار.

ومن مجالات العدل في الإسلام، العدل مع الأهل، وهو أن يحسن المسلم معاملات زوجته وأولاده، ويساوى بينهم، في المعاملة والعطية، ولا يفضل بعضهم على بعض، فلقد جاء في الحديث أن صحابياً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشهد على إعطائه ابنه بستانا،فعن الشعبي، حدثني النعمان بن بشير، أن أمه بنت رواحة، سألت أباه بعض الموهبة من ماله لابنها، فالتوى بها سنة ثم بدا له، فقالت: لا أرضى حتى تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما وهبت لابني، فأخذ أبي بيدي وأنا يومئذ غلام، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، إن أم هذا بنت رواحة أعجبها أن أشهدك على الذي وهبت لابنها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

1 الطبري،جامع البيان، ج4، ص125.

2 الترمذي، السنن، كتاب الحدود، باب كراهية أن يشفع في الحدود، رقم الحديث (1430) ج4،ص34.

University of Malaya

((يا بشير ألك ولد سوى هذا؟))، قال: نعم، فقال: ((أكلهم وهبت له مثل هذا؟))، قال: لا، قال: ((فلا تشهدني إذا، فإني لا أشهد على جور)).[1]

وعليه فلنعلم أن في توطيد العدل ومحاربة الظلم والحيلولة دون وقوعه، إقرار للأمن وتحقيق للمساواة بين أفراد المجتمع، والأمر الذي يمكن لكل فرد الوصول إلى حقه دون مشقة وعناء، وإذا فقد العدل أكل الناس بعضهم حق بعض، وسادت الفتن، وكثرت الجرائم والمنكرات، وأصبح كل فرد من أفراد المجتمع عرضة لاعتداء الأشرار، وضعاف النفوس، فتفقد الحياة بهجتها وجمالها.

2– الحياء: الحياء خلق نبيل يحول بين من يتمتع به وبين فعل المحرمات وأتيان المنكرات، ويصونه من الوقوع في الأوزار والآثام، وهو كذلك الامتناع عن فعل كل ما يستقبحه العقل ولا يقبله الذوق السليم، والكف عن كل مالا يرضى به الخالق والمخلوق.

فإذا تحلى المسلم بهذا الخلق، صحت سريرته وعلانيته، وعامل الخلق بما يرضاه مولاه، وكذلك فإن هذا المسلم الحيي لا يقبل إلا الحلال من كل شيء في المطعم، والمشرب، والملبس وغير ذلك، كما يعد الحياء دليلا صادقًا على مقدار ما يتمتع به المرء من أدب وإيمان، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((الحياء من الإيمان)).[2]

ولقد حثت الشريعة الإسلامية المسلمين على التحلي بفضيلة الحياء، وبين النبي صلى الله عليه وسلم أن هذا الخلق الشريف هو أبرز ما يتميز به الإسلام من فضائل، فقال عليه الصلاة والسلام: ((إن لكل دين خلقًا، وخلق الإسلام الحياء)).[3]

وإذا استحكم خلُق الحياء في نفس المسلم، صده عن كل قبيح وقاده إلى كل أمر حسن طيب، والحياء لا يأتي إلا بخير، أما إذا ضعف هذا الخلق فلن يحل محله إلا السفه والوقاحة والفحش، ويجد الإنسان نفسه أمام أبواب مفتوحة من السوء والمنكر، فينزلق إليها لذا قال صلى الله عليه وسلم: ((إذا لم تستح فاصنع ما شئت)).[4]

1مسلم،الصحيح، كتاب الهبات، باب كراهية تفضيل بعض الأولاد في الهبة، ج3ص1243.

2الترمذي، السنن، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الحياء، بيروت دار إحياء التراث العربي، رقم الحديث (2140) ج8ص23.

3 ابن ماجةالقزويني،السنن، كتاب الزهد سنن ابن ماجه، باب الحياء، رقم الحديث (4181) بيروت، دار الفكر، ج2ص1399.

4 البخاري،الصحيح، كتاب الأدب، باب إذا لم تستح، رقم الحديث (5769) اليمامة، ج5ص 2268.

University of Malaya

ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة في التمسك بخلق الحياء، فقد قال الصحابي الجليل أبو سعيد الخدري رضي الله عنه واصفا رسول الله: ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها، وكان إذا كره شيئا عرفناه في وجهه)).[1]

وإذا كان الحياء من الناس حسنًا، فإن الأحسن منه كثيرًا أن يكون الحياء من الله تعالى لأنه يمنع الإنسان من العاصي دائما، وقد روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال لأصحابه: ((استحيوا من الله حق الحياء)). قال: قلنا: يا رسول الله إنا نستحيي والحمد لله، قال: ((ليس ذاك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، ولتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء)).[2]

وقد نقل عن أنس عن أبي موسى رضي الله عنهما قال: ((إني لاغتسل في البيت المظلم فأحني ظهري إذا أخذت ثوبي حياء من ربي)).[3]

3– الحلم: الحلم هو ضبط النفس عند الغضب، والصبر على الأذى من غير ضعف ولا عجز ابتغاء وجه الله تعالى وتتفاوت قدرات الناس في ضبط النفس، والصبر على الأذى، فمنهم من يكون سريع الانفعال ويقابل الأذى دون النظر في العواقب، ومنهم من يتمالك نفسه، ويكبح جماح غضبه، ويتحلى بالصبر والحلم ويتلمس الأعذار والمبررات لمن أساء إليه وهذا هو الرجل الحليم، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصي أصحابه رضوان الله عليهم بالتحلي بالحلم في تعاملهم، ويحثهم عليه بنفس القدر الذي يحثهم على طلب العلم، وكان مع ما أعطاه الله من خلق عظيم وصفات حميدة، يدعو الله بأن يجعل الحلم زينة له فيقول: ((اللهم أغنني بالعلم، وزيني بالحلم، وأكرمني بالتقوى، وجملني بالعافية)).[4]

كما يرفع الله تعالى منزلة الرجل الحليم، فإنه يناصره ويقف إلى جواره أمام من يعاديه، فقد روي أن رجلا جاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني،

1البيهقي،السسن الكبرى، باب في تعظيم القرآن، رقم الحديث (6119) بيروت، دار الكتب العلمية، ط:1، 1410هـ ج20ص281.

2 الترمذي، السنن، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه و سلم، ج4 ص 637. والبيهقي،السنن الكبرى، باب في الزهد وقصر الأمل، مرجع سابق، ج7ص 354.

3 ابن أبي شيبة،المصنف، كتاب الطهارة، باب من كره أن ترى عورته، رقم الحديث (1134) ج1ص106.

4 الديلمي، الفردوس بمأثور الخطاب، بيروت: دار الكتب العلمية، 1406هـ – 1986م، ج1ص469.

وأحسن إليهم ويسيئون إلي، ويجهلون علي، وأحلم عنهم، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: ((إن كان كما قلت فكأنما تسفهم الملّ،[1] ولا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك)).[2]

ويعد الحلم وسيلة إلى تبوء المراكز الهامة في المجتمع، وكانت العرب تقول في أمثالها: من حلم ساد. فقد أوصى عبد الملك بن صالح ابنا له فقال: ((أي بنيّ أحلم فإن من حلم ساد)).[3]

ومن هؤلاء الذين تزعموا أقوامهم بسبب حلمهم عرابة بن أوس، والأحنف بن قيس. وروي أن معاوية بن أبي سفيان قال لعرابة بن أوس: "بم سدت قومك يا عرابة"؟ فقال عرابة: "يا أمير المؤمنين كنت أحلم عند جاهلهم، وأعطي سائلهم، وأسعى في حوائجهم، فمن فعل منهم فعلي فهو مثلي، ومن جاوزني فهو أفضل مني، ومن قصر عني فأنا خير منه".[4]

وإن الحلم فضيلة تقع بين رذيلتين متباعدتين، فمن وراء يمين الحلم يأتي التباطؤ والكسل، والتواني والإهمال، وتتبدل الطبع عند مثيرات الغضب، ومن وراء يسار الحلم يأتي التسرع في الأمور، واستعجال الأشياء قبل أوانها، والذي جعل الحلم فضيلة خلقية هو اعتداله، ومسايرته لمقتضى العقل السليم، والآثار النافعة المفيدة الخيرة التي تترتب عليه، ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم أروع المثل للمسلمين في الحلم، فقد روى البخاري عن أبي هريرة قال: بال أعربي في المسجد، فقام الناس ليقعوا فيه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((دعوه وأريقوا على بوله سجلا من ماء، فإنما بعثتم مسيرين، ولم تبعثوا معسرين)).[5]

فقد علم الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا أصحابه، كيف يكون الحلم بالجاهلين وكيف يكون الرفق بهم.

ومن حلم الرسول صلى الله عليه وسلم عدم دعائه على الذين آذوه من قومه، وقد كان باستطاعته أن يدعو عليهم، فيهلكهم الله، ولحلمه بهم غاية يهدف إليها فهو يرحمهم، لعلهم بعد مدة يؤمنون، فينجون من عذاب النار، فيحلم بهم رجاء إصلاحهم.

---

1 أي تجعل وجوههم كلون الرماد. انظر: ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج2ص 375.

2 البيهقي، شعب الإيمان، باب تخصيص سورة الملك بالذكر، رقم الحديث (2507) ج6 ص221.

3 الجاحظ،البيان والتبيين، بيروت، دار ومكتبة الهلال، ج3ص306.

4 أبو حامد الغزالي،إحياء علوم الدين، بيروت، دار المعرفة – بيروت، ج3ص178.

5 ابن أبي شيبة، باب البول في المسجد" بيروت، المكتبة العلمية، الحديث رقم (1658) ج1ص 423.

University of Malaya

روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: كأني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي نبيًا من الأنبياء صلوات الله عليهم، ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: ((اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)).[1]

والغضب هو مفتاح الشر، فالشخص الذي يغضب سريعًا، كثيرًا ما تصدر عنه تصرفات خاطئة، لذا روي أن أبا الدرداء قال: يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة، قال رسول الله :صلى الله عليه وسلم: ((لا تغضب ولك الجنة)).[2] وقد مدح عليه الصلاة والسلام الأشج أشج عبد القيس فقال: ((إنك فيك خصلتين يحبهما الله ، الحلم والأناة)).[3]

ومنه أن عمر بن عبد العزيز دخل المسجد في أحد الليالي، وكان مظلمًا لا نور فيه فعثر برجل نائم، فرفع الرجل رأسه إليه وقال: أمجنون أنت؟ فقال عمر بن عبد العزيز: ((لا))، فهمَّ الشرطي الذي كان يصحبه بضرب الرجل، فقال له عمر: ((لا تفعل، إنما سألني: أمجنون أنا؟، فقلت: لا)).[4]

وكما رغب الإسلام بالحلم وحث عليه، حذر من الأخلاق المنافية له، وعمل على تربية المسلمين تربية عملية تأخذ بأيديهم حتى يكونوا حلماء.

وإن الحلم لفضيلة حيوية للمسلمين، فهو يصون علاقاته مع أهله، وجيرانه، وزملائه، وشركائه، وكل من يتعامل معه، وكلما زادت سلطاته وقدراته ونفوذه، كان حلمه أنفع له ولمن يحكم.

خلاصة الفصل الأول:

إن ثوابت الداعية تكمن في أن يسعى جاهدا الى تزكية نفوسه من كل رجس ونجس، وهذا سيعينه على الاستقامة، والثبات على الطاعات، فالداعية بحاجة إلى أن يهتم بجانب الروحي الذي هو الإيمان وتزكية النفوس، ثم بمبادئ الإسلام وثوابته ومنهجه، رغم أنه من الأمور الصعبة الاستقامة والثبات في عصر انتشار الشبهات، وانتشار الملاهي والزواهي، ومع ذلك على الداعية أن يسعى على قدر الطاقة من ابتعاد عن تلك الشبهات والملاهي التي تأتي بها رياح العولمة، عليه أن يأخذ ما هو صحيح ومعين مما جاء في هذا العصر المتمثل في عصر العولمة، فلا يعتبر كل ما جاء فيه رجس من عمل شيطان. الأصل في الداعية أن يدعو إلى الإيمان بالله تبارك وتعالى في عصر العولمة وغيره،

1 البخاري،صحيح، كتاب الأنبياء، باب حديث الغار، رقم الحديث (3290) ج3ص 1282.

2 الطبراني، المعجم الأوسط، باب من اسمه إبراهيم، رقم الحديث (2353) القاهرة، دار الحرمين، 1415هـ، ج3ص25.

3 أبو داود،السنن، باب قبلة الرجل، رقم الحدبث (5227) ج2ص 778.

4 الأخلاق في الإسلام،http://www.al-islam.com، تاريخ المشاهدة 3 مارس 2016م.

لكنه في عصر العولمة لا يتغافل كذلك عن الماديات التي وُجدت في العصر، والتي قد تعينه في نشر دعوته إلى الله. إن من أعظم عوامل الثبات على الدين اللجوء إلى الله تبارك وتعالى في كل صغير وكبير، وتكون قبله متعلق بالله تعالى في كل وقت وحين.

الأسرة لها تأثير فعَّال في سلوك المرء، لأنه يوجد في قلبه – في بداية عمره – غريزة في حب التشبه والتقليد للمحيط حوله، وإن كانت الأسرة صالحة عندئذ يكون المرأ صالحاً، وإن كانت الأسرة عكس ذلك فتكون النتيجة سيئة وغير محمودة.

العجب والكبر آلة فتاكة تدمر القيم والمبادئ، وكم من مستكبر ومعجب بنفسه لم يجتهد في تزكيتها، وأهمل تربيتها ومحاسبتها، ولم يتزود لوعورة، الطريق وآلامها، فانهار وضعف مع أول محنة.

University of Malaya

الفصل الثاني: نماذج من الدعاة الذين يقتدى بهم في الثبات.

لكل أمة من تقتدي به، وتحذوا حذوه لتتقدم وتحقق أحلامها وآمالها، ففي هذا الفصل سيتم الحديث- بمشيئة الله- عن نماذج التي تجسد معاني الثبات على أرض الواقع سلوكاً حياً، من الأمم الغابرة، ومروراً بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثم صحابته- رضوان الله عليهم- ثم الذين اقتفوا آثارمهم.

وتلك النماذج سيتم الحديث عنها من المجالات والزوايا الآتية: الشدائد والمحن ثم الفتن والطاعات، ثم دور الثبات في ازدهار الأمة ونهضتها على النحو التالي:

المبحث الأول: نماذج يقتدى على ثبات الأنبياء.

إذا كان الابتلاء سنة من سنن الدعوات التي قدرها الله سبحانه وتعالى على الدعاة والمصلحين والسائرين على دربهم، فإن الثبات على الابتلاء شيمة من شيم الدعاة المخلصين، ويمحص الله سبحانه وتعالى به بين المؤمنين الصابرين، وغيرهم من الأدعياء إلى الله تعالى، لا بد له من حال خاص مع الله تعالى في الرخاء ليعينه على الثبات في المحن والشدائد، فالإيمان نفسه بحاجة إلى المحنة لسبر غوره وإدراك مداه.

فالإيمان القوي الراسخ هو الذي يصمد في ساعة العسر، أما الإيمان السقيم العليل فسرعان ما تكشفه المحن وتصدعه، وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1].

الآية نزلت في المنافقين كانوا يقولون آمنا بالله ﴿ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ ﴾ أي أذاهم ﴿كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ في الآخرة فارتد عن إيمانه. وقيل: جزع من ذلك كما يجزع من عذاب الله ولا يصبر على الأذية في الله.[2]

1 سورة عنكبوت الآية: 10.

2 القرطبي،الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج13ص339.

University of Malaya

المبحث الأول: نماذج يقتدى بها على ثبات الأنبياء والرسل عليهم السلام.

وفي هذا المبحث يقوم الباحث باستعراض نماذج على ثبات الأنبياء يمكن الاقتداء بها للتعامل مع الفتن والمحن، وفي زمن الزواهي والملاهي وغيرها من الأوقات العصيبة التي يمر بها الإنسان بشكل عام، إذ أنها تساعد ذوي المقصدة الخاصة الثبات على الإيمان.

قال القرضاوي: "ولا عجب أن يخطئ ابن آدم ويعصي، فقد أخطأ أبونا آدم من قبل، فقد اسكنه الله وزوجته الجنة، وأمرهما أن يأكلا من ثمارها رغداً حيث شاءا، إلا شجرة واحدة نهاهما عن الأكل منها، فما زال الشيطان يدليهما بغرور، ويزنين لهما الأكل منها، حتى وقعا في المحظور، لكن الله لم يدع آدم سجين عثرته، ورهين معصيته، فقد أتاه سببا يمكنه به أن يغتسل من ذنبه، وأن يتطهر من آثامه وهي (التوبة) "[1]

وهكذا يبلي الله المؤمنين الصالحين الصادقين الذين حسن ؤلائك رفقياً، وعلى الداعية أن يتأسى بالأنبياء والمرسلين، والصالحين والصادقين، ليتجاوز محنته في هذا العصر.

أ– في المحن: معنى المحنة:

المحن مفردها محنة، وكلمة المحنة: واحدة المحن التي يمتحن بها الإنسان من بلية. ومحنته وامتحنته، أي اختبرته، والاسم المحنة.[2]

والمحنة: الخبرة، وامتحن الله القول: نظر فيه ودبره. ومحنت الفضة إذا صفيتها وخلصّتها بالنار من الشوائب. وامتحن الله قلوبهم للتقوى: خلّص الله قلوبهم وصفاها وهذبها. ومنه قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾،[3]أنبأ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، قَالَ: ثنا إِبْرَاهِيمُ، قَالَ: ثنا آدَمُ، قَالَ: ثنا وَرْقَاءُ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ يَقُولُ: «أَخْلَصَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ».[4]

---

[1] القرضاوي،خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، مرجع سابق، ص 110.

2 الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،بيروت، دار الملايين، ط:3، 1407هـ – 1987م، ج6ص 2201.

3سورة الحجرات: الآية: 4

4 مجاهد،المكي القرشي المخزومي، تفسير مجاهد، مصر، دار الفكر الإسلامي الحديثة، ط:1، 1410هـ – 1989م،ج1 ص610.

University of Malaya

ومحنته، وامتحنته خبرته واختبرته وبلوته وابتليته ومنه قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾.[1]

وأصل المحن: الضرب بالسوط، ومحنه عشرين سوطاً: أي ضربه، ومحن الثوب: لبسه حتى أخلقه، والمحن: اللين من كل شيء، والاسم المِحْنة، والمَحْنُ: العطية: واحدة المِحَن التي يُمتحن بها الإنسان من بليّة.[2]

نماذج من الابتلاء فى المحن:

1- ابتلاء موسى – عليه السلام:

كانت حياة موسى – عليه السلام– عبارة سلسلة مرتبطة الحلقات من الآلام والمحن والابتلاءات، وزاد حياته بلاءً تعرضه لنقمة فرعون وملئه من جهة، ولإيذاء قومه ومكائدهم من جهة أخرى.

فبعد مرور موسى بالوادي المقدس، أراه الله بعض معجزاته، فهذه عصاه يلقيها على الأرض فتنقلب حية تتلوى وتهتز وتتحرك، وتلقي الرعب في قلوب الناظرين، وهذه يده يضمها إلى جيبه ثم يخرجها فتظهر بيضاء متلألئة لها بياض حسن، وبهاء جميل، ثم طلب الله منه أن يذهب بهاتين المعجزتين إلى فرعون؛ لتبليغه الرسالة الإلهية فقد جاوز الحد في الطغيان، فطلب من ربه أن يشرح صدره ليتحمل ما يواجهه من صعاب، لهداية قومه إلى الصراط المستقيم، ويسهل عليه الأمر، ويعينه على البيان والإفصاح وأن يجعل أخاه هارون مساعدًا له في رسالته، ومهامه الشاقة، فأجاب الله دعاءه وأعطاه كل ما سأل، وأمره أن يذهب إلى فرعون مؤيّداً بالآيات والمعجزات.

وبيّن الله لموسى وهارون عليهما السلام الخطة التي ينبغي أن يسيرا عليها في مخاطبة فرعون وهي اتباع الرفق واللين، والأساليب الهادئة التي يمكن الوصول بها إلى الغاية والنجاح، فقال موسى وهارون: ﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ ،[3] أي: إنّا نخاف أن يبطش بنا عند مواجهته بالدعوة، هنالك ثبّتهما الله تبارك وتعالى بقوله: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا﴾،[4] وزادهما طمأنينة بقوله: ﴿أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾،[5] ثم أمرهما الله تعالى أن يقولا له: إنّا رسولا رب العالمين وما أنت

1-سورة الممتحنة: الآية: 10

2 ابن منظور، لسان العرب، مرجع سباق، ج1 ص401.

3سورة طه، الآية: 45.

4 سورة طه، الآية: 46.

5سورة طه، الآية: 46.

إلا عبد من عبيده، فامتثل موسى وهارون لأمر الله وذهبا إلى فرعون، وبلغا الرسالة، ثم أظهر موسى عليه السلام برهان رسالته وأراه آيتي العصا واليد البيضاء، فكذب فرعون بالدعوة، وأعرض عن اتباع الحق، واتهم موسى عليه السلام بالسحر والجنون. قال تعالى مخبرًا ما حدث بين موسى وفرعون: ﴿ ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ﴿٤٢﴾ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾[1].

يعني: بما أعطاهما من المعجزة ﴿ وَلَا تَنِيَا ﴾لا تفترا، ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا ﴾كنياه وعداه على الإيمان نعيما وعمرا طويلا في صحة ومصيرا إلى الجنة يخاف الله تعالى ومعنى (لعل) ها هنا يعود إلى حال موسى وهارون أي: اذهبا أنتما على رجائكما وطعمكما وقد علم الله تعالى ما يكون منه. ﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ ﴾ يجعل علينا بالقتل والعقوبة ﴿ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ﴾ يتكبر ويستعصي. ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ ﴾ بالعون والنصرة ﴿ وَأَرَىٰ ﴾ ما يفعل وقوله: ﴿ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ أي: خل عنهم ولا تستخرهم ﴿ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡ ﴾ ولا تتعبهم في العمل ﴿ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَ ﴾ يعني: اليد البيضاء والعصا ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴾ سلم من أسلم ﴿ إِنَّا قَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ ﴾ أنبياء الله ﴿ وَتَوَلَّىٰ ﴾ أعرض عن الإيمان وقوله: ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ﴾أي: أتقن كل شيء مما خلق وخلقه على الهيئة التي بها ينتفع والتي هي أصلح وأحكم لما يراد منه ﴿ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ أي: هداه لمعيشته.[2]

إن موسى عليه السلام قد دعا فرعون وملأه إلى الله تعالى ليعبدوه، ويرجعوا إليه، ولكنهم تمادوا في كفرهم وعنادهم ومخالفتهم لأمر بارئهم، ولم تنفعهم النذر، وأبت نفوسهم الموغلة في السوء الإذعان لآيات الله البينات، فاستكبروا عن اتباع الحق والانقياد له، وكانوا قوماً مجرمين، أما فرعون

---

1 سورة طه، الآية: 42 – 47 .

2 الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دمشق وبيروت، دار القلم والدار الشامية، ط:1، 1415هـ، ج1/ص 696.

فقد تمرّد واستكبر وأخذته الحمية الجاهلية، والنفس الخبيثة، فركب رأسه، وتولى كبره، وأدعى ما ليس له، وكفر بربه، وعتا، وبغى في الأرض بغير الحق، وصمم هو وملأه على العناد، والجحود والمكابرة والتكذيب بالدعوة، ولم يؤمن لموسى عليه السلام مع ما جاء به من الآيات البينات، والحجج القاطعات، والبراهين الساطعات.

هنالك دعا موسى ربه بأن يُهلك فرعون وجنوده، وطلب من بني إسرائيل المؤمنين أن يصبروا ويتوكلوا على الله، وذكرهم أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده الصالحين، وكانت النتيجة بأن أهلك الله فرعون وجنوده بالغرق في اليم كما أخبر الله تعالى بذلك.

قال تعالى

﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾،[1]

قال الطبري: "قول تعالى ذكره: ﴿وَٱسْتَكْبَرَ ﴾فرعون ﴿وَجُنُودُهُۥ ﴾ في أرض مصر عن تصديق موسى واتباعه على ما دعاهم إليه من توحيد الله، والإقرار بالعبودية له بغير الحق، يعني تعديًا وعتوًا على ربهم ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴾ ،[2] يقول: وحسبوا أنهم بعد مماتهم لا يبعثون، ولا ثواب، ولا عقاب، فركبوا أهواءهم، ولم يعلموا أن الله لهم بالمرصاد، وأنه لهم مجاز على أعمالهم الخبيثة.[3]

وقال تعالى: ﴿ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴾.[4]قَالَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ: عَاقَبَهُ اللَّهُ فَجَعَلَهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى، أَيْ فِي الدُّنْيَا بِالْغَرَقِ وَفِي الْآخِرَةِ بِالنَّارِ.[5]

2- موقف بني إسرائيل من دعوة عيسى عليه السلام

لقي المسيح عليه السلام من بني إسرائيل تعنتاً واستكباراً، ولاقى أثناء دعوته أهوالاً وشدائد، وخاصة من الكهنة ورؤساء الدين، فاصطدم معهم بجدال عنيف حول مفاهيم الدين وأصول الشريعة الربانية، التي جاء بها من قبله موسى عليه السلام التي حرفها أولئك الظالمون المجرمون، فكان يحاجّ

1 سورة القصص الآية: 40.

2 سورة القصص: 39.

3 الطبري،جامع البيان، مرجع سابق، ج18ص256.

4 سورة النازعات الآية: 26-25

5 البغوي،معالم التنزيل في تفسير القرآن، بيروت، دار طيبة للنشر، ج8 ص329.

University of Malaya

"الفريسيين"،[1] "والكتبة"،[2] "والكهنة"،[3] فيدحضهم بالحجج الدامغة والبراهين القاطعة... ولبث عيسى عليه السلام يجاهر بدعوته، ويجادل المنحرفين، من كهنة وكتبه وفريسيين، ويدلهم على الله، ويأمرهم بالاستقامة، ويبين فساد طريقتهم، ويفضح رياءهم وخبثهم حتى ضاقوا به ذرعاً، ققرروا التخلص منه، فبادروا بتكذيب دعوته، والكفر به، وجحود نبوته، واتهموه بالكذب والشعوذة، وزعموا أن ما جاء به من المعجزات ما هو إلا سحر، وبعد ذلك اجتمع عظماء اليهود وأحبارهم وتشاوروا في أمر المسيح فقالوا: إنا نخاف أن يفسد علينا ديننا ويتبعه الناس فقال لهم رئيس الكهنة: "لئن يموت رجل واحد خير من أن يذهب الشعب بأسره.

فأجمع قومه على قتله فسعوا به لدى حاكم الرومان والذي في ذلك الزمان كان حاكماً على اليهود باسم الملك ((قيصر)) وزينوا له دعواهم بأنه يريد أن يكون ملكاً على اليهود، وأنه يسعى لتفويض دعائم الحكم القائم، وأوغروا صدره حتى قرر أن يتخلص من عيسى عليه السلام بالقتل والصلب.

فلمّا أحس عيسى عليه السلام منهم إصرار قومه على الكفر، وأدرك منهم الغدر والتدبير لقتله، دعا دعوته من أنصاري إلى الله؟ من أنصاري إلى دين الله، ودعوته، ونظامه، وتبليغ شريعته؟ هنالك بادر الحواريون[4] وهم أصحاب عيسى عليه السلام الذين آمنوا به ولازموه فقالوا: نحن أنصار الله، ننصر دين الله، وننهض معك، ونحمل الدعوة، ونفديها دونك، ونبلغها للناس كما ينبغي علينا أن نفعل ونقوم بعدك عليها، ثم أشهدوه على إسلامهم وانتدابهم لنصرة دين الله ورسوله، كما أشهدوا ربهم على ما هم عليه من تصديقهم بالدعوة واتباع الرسول، وتوجهوا إليه سبحانه أن يجعلهم مع الذين يشهدون له تعالى بالوحدانية، والرسالة والصدق والتبليغ.

---

1 الفريسيين: هم الزهاد المنقطعون للعبادة، وهم الماهرون في معرفة بواطن الأمور من طواهرها. "المعجم الوسيط" إبراهيم مصطفى أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار، دار الدعوة، 668/2.

2 الكتبة: هم كتاب الشريعة والوعاظ الذين يعملون الكتابة. انظر:المعجم الوسيط، مرجع سابق، 780/2.

3 هم الذين يتولون الشعائر الدينية ويقومون على خدمة الهيكل والمعبد. انظر: المعجم الوسيط، مرجع سابق، 809/2.

4 الحواريون: كلمة الحواري مأخوذة من الحور وهو البياض، حواري: الناصر أو ناصر الأنبياء. انظر: الفيروزآباد، القاموس المحيط، مرجع سابق،ج2ص 68.

University of Malaya

ب–في الفتن: معنى الفتنة

"أصل الفتن: إدخال الذهب بالنار لتظهر جودته من رداءته".[1]

جاء في لسان العرب: "جماع معنى الفتنة: الابتلاء والامتحان والاختبار وأصلها مأخوذ من قولك: فتنت الفضة والذهب: إذا أذبتهما بالنار لتمييز الرديء من الجيد".[2]

وفي المعجم الوسيط: وفتن فلاناً: عَذّبه ليحوله عن رأيه أو دينه. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴾.[3]﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ﴾ عَذَّبوا وأَحْرقوا ﴿ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم، بكفرهم، ولهم عذاب الحريق، بما أحرقوا المؤمنين. وقيل: ولهم عذاب الحريق في الدنيا، وذلك أن الله أحرقهم بالنار التي أحرقوا بها المؤمنين، ارتفعت إليهم من الأخدود، قاله الربيع بن أنس والكلبي ثم ذكر ما أعد للمؤمنين فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ ، واختلفوا في جواب القسم فقال بعضهم: جوابه: ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴾، يعني لقد قتل.[4]

هذا البلاء اختبار من الله جل وعلا، وامتحان لجوهر عقيدته، ودرجة تغلغلها في نفسه، ونتيجة لهذا الاختبار والامتحان، وجد الله تعالى عبده أيوب صابراً، ثابتا، منيباً، متواضعاً، مستكينا، لم يزده البلاء والشدة إلا إيماناً واحتساباً وحمداً، فكان عليه السلام أن رحمه الله تعالى، وأنعم عليه، وأحسن عاقبته، وخلد ذكره في القرآن الكريم، وجعله موضع اقتداء وتأس للمؤمنين، فيما اختص به من فضيلة الصبر الجميل.

ابتلاء أصحاب الأخدود:

من السنن الجارية أن يتعرض المؤمنون للأذى والمحن والمكائد، لامتحان إيمانهم وتحقيقه، ولكشف الصادقين والكاذبين بالفتنة وصنفا من هذا البلاء، فهم قد تعرضوا للأذى والموت حرقًا بأيدي أعدائهم البغاة الطغاة المفسدين، الذين أرادوهم أن يرجعوا عن دينهم ويتركوا عقيدتهم، ولكن المؤمنين وقفوا بإيمانهم كالجبال الشمّ، متحدين الطغاة القساة الأشرار، مستعدين لكل شر يصيبهم

1الراغب، الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، دمشق، دار القلم ، ص623.

2 ابن منظور،لسان العرب، ج13 ص317.

3 سورة البروج الآية: 10

4 البغوي،معالم التنزيل في تفسير القرآن، مرجع سابق، ج8 ص388.

University of Malaya

في سبيل الله، على الرغم من أنهم لم يجدوا النصير الذي يساندهم ويدفع عنهم، ولم يملكوا النصر والمنعة لأنفسهم، ولم يجدوا القوة التي يواجهون بها الطغاة، فضحوا بحياتهم راضين، واحتملوا العذاب والألم ثابتين صابرين، مطمئنين؛ من أجل انتصار عقيدتهم، ولإيثارهم رضوان الله تبارك وتعالى على متاع الحياة الفانية في ظل العبودية، وعدم الارتداد عن الدين. قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝١٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴾.[1]

وَالسَّماءِ ذاتِ الْبُرُوجِ أي أقسم بالسماء وبروجها وهي النجوم العظام، وأشهر الأقوال أنها منازل الكواكب، وهي اثنا عشر برجا لاثني عشر كوكبًا. وهي التي تقطعها الشمس في سنة، والقمر في ثمانية وعشرين يوما. أقسم اللَّه بها تنويها بها وتعظيما وتشريفا لها، حيث نيط بها تغيرات في الأرض بحلول الكواكب فيها، فينشأ عنها الفصول الأربعة، وما فيها من حرارة وبرودة، وينشأ عنها عدد السنين والحساب.

وجاء ذكر البروج في آيتين أخريين هما:﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴾،[2]

وقال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾.[3]

وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ، وَشاهِدٍ وَمَشْهُودٍ أي وأقسم بيوم القيامة الموعود به، وبمن يشهد في ذلك اليوم، ومن يشهد عليه. وهذا إن كان ذلك مأخوذا من الشهادة. فإن كان مأخوذا من الحضور بمعنى أن الشاهد هو الحاضر، كقوله: "عالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ "[4]، فالشاهد: الخلائق الحاضرون للحساب، والمشهود عليه: اليوم، كما قال تعالى: "ذلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ" [5]فاللَّه يقسم بالخلائق والعوالم الشاهد منها والمشهود، لما في التأمل بها من تقدير عظمة تدل على الموجد.

---

1 سورة البروج الآية: 1-11

2الحجر الآية: 16

3الفرقان الآية: 61

4 الزمر الآية: 46

5 هود الآية: 103

والخلاصة: أن الشاهد والمشهود إما من الشهود: الحضور، وإما من الشهادة، والصلة محذوفة، أي مشهود عليه أو به.[1]

وقد اختلف المفسرون في أهل هذه القصة، من هم؟ ولعل أصح الأقوال هو ما رواه مسلم بسنده عن صهيب[2] رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت فابعث إلي غلامًا أعلمه السحر، فبعث إليه غلامًا يعلمه، فكان في طريقه إذا سلك راهب، فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه، فكان إذا أتى الساحر ضربه، فشكى ذلك إلى الراهب، فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر، فبينما هو كذلك إذا أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل، فأخذ حجرًا فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة، حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها، ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أي بُنَيَّ، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلى، فإن ابتليت فلا تدل عليّ.

وكان الغلام يبرئ الأكمه،[3] والأبرص، ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك كان قد عمى، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: ما ههنا لك أجمع إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أشفي أحدًا إنما يشفي الله، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك، فآمن بالله فشفاه الله. فأتي الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من رد عليك بصرك؟ قال: ربي، قال: أولك رب غيري؟ قال: ربي وربك الله. فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام، فجيء بالغلام، فقال له الملك: أي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل، فقال: إني لا أشفي أحدًا إنما يشفي الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب، فجيء بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه، ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به عن جبل، فإذا بلغتم ذروته، فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه، فذهبوه به فصعدوا به الجبل، فقال: اللهم أكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي إلى الملك، فقال له

---

1 وهبة الزحيلي، التفسير المنير، دمشق، دار الفكر المعاصر، ط:2، 1418هـ، ج30 ص158.

2 هو صهيب بن سنان بن مالك بن عبد عمرو بن عقيل بن عامر بن جندله، لقب بالرومي، لأن الروم سبوه وهو صغير ونشأ عندهم، توفي في المدينة 38هـ. انظر: ابن الأثير الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج 3 ص 38-39.

3 الأكمحه: الذي خلق أعمى.

University of Malaya

الملك: ما فعل أصحابك؟ قال كفانيهم الله، فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال: اذهبوا به فاحملوه فوق قُرقور[1]، فتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه، فذهبوا به، فقال: اللهم أكفينيهم بما شئت، فانكفأت[2] بهم السفينة فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال كفانيهم الله، فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع، ثم تأخذ سهما من كنانتي[3]، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل: باسم الله رب الغلام، ثم رماه فوقع السهم في صدغيه، فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات، فقال الناس: آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، فأتى الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك، قد آمن الناس، فأمر بالأخدود في أفواه السك فخدت وأضرم النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فحموه فيها، أو قيل له: اقتحم، ففعلوا، حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها، فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أمه اصبري فإنك على الحق)).[4]

فقد بطش هؤلاء الطغاة المتجبرون بالمؤمنين والمؤمنات، واشتدوا في إيذائهم حتى شقوا لهم في الأرض شقًا عظيمًا كالخندق وملأوه بالحطب، ثم أشعلوا فيه النار وقذفوهم فيها، ولم تأخذهم بهم رأفة، بل أحدقوا بالنار قاعدين على حافة الأخدود، يتشفون برؤية ما يحل بالمؤمنين من فتنة النار والحريق، ومع هذا فقد صبر المؤمنون على الأذى، ورضوا بعذاب الدنيا عن العودة إلى ملة الكفر والضلال.

وهذه فعلة أليمة فظيعة، تقشعر لبشاعتها الجلود والأبدان، وتنفر منها المشاعر والضمائر، وذلك هو دين الأشقياء الكفرة، من أعداء الله في كل زمان ومكان، أولئك الذين يعذبون المؤمنين من عباد الله من أجل استمساكهم بعقيدة الحق، عقيدة التوحيد الخالص والإذعان الكامل لله وحده، ومن أجل استمساكهم بعقيدة الحق، عقيدة التوحيد الخالص والإذعان الكامل لله وحده، ومن أجل هذه الفعلة الأثيمة المنكره أقسم الله الكريم العظيم ليبطشنّ بالقتلة المجرمين الذين عذبوا المؤمنين، متوعداً متهدداً هؤلاء الطغاة المجرمين ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ۝١ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ

1 قرقور: سفينة صغيرة، وقيل هي السفينة أو الطويلة وجمعه قراقير. انظر: لسان العرب، مرجع سابق، ج ، 5ص90.

2 انكفأت: انقلبت أو مالت ورجعت. انظر: لسان العرب، مرجع سابق،ج1ص12..

3 كنانتي: جعبة من جلد أو خشب تجعل فيها السهم ومنها كنائن وكنانات. انظر: لسان العرب، مرجع سابق،ج13ص361.

4 مسلم النيسابوري، الصحيح، كتاب الزهد والرقائق، باب أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام،حديث رقم 7436 ج4 ص 2299 .

﴿ ۝٣ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ۝٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ۝٦ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ ﴾. جواب القسم، وتقديره: لقد قتل أصحاب الأخدود، وهو يتضمن معنى الدعاء، أي: لُعِن أصحاب الأخدود. فكأنه أقسم بذلك على أن أصحاب الأخدود ملعونون بفعلتهم النكراء، وهي حرقهم المؤمنين بسبب إيمانهم.[1]

قال القرطبي: "أعلم الله عز وجل المؤمنين من هذه الأمة في هذه الآية ما كان يلقاه من وحد قبلهم من الشدائد؛ يؤنسهم بذلك. وذكر لهم النبي صلى الله عليه وسلم قصة الغلام؛ ليصبروا على ما يلاقون من الأذى والآلام والمشقات التي كانوا عليها؛ ليتأسوا بمثل هذا الغلام في صبره وتصلبه في الحق وتمسكه به، وبذله نفسه في حق إظهار دعوته ودخول الناس في الدين مع صغر سنه، وعظم صبره، وكذلك الراهب صبر على التمسك بالحق حتى نشر بالمنشار، وكذلك كثير من الناس لما آمنوا بالله تعالى، ورسخ الإيمان في قلوبهم صبروا على الطرح في النار ولم يرجعوا عن دينهم".[2]

إن الله قادر على أن يقضي على الذين كفروا قبل ارتكاب هذه الجريمة البشعة، ولكنه أراد أن يبتلي الفئة المؤمنة بهؤلاء الطغاة المتجبرين ابتلاء تقدر به منازلهم قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾،[3]وصريح الآية يوجب القتل فقط قبل الإثخان، والتخيير بعد الأسر بين المن والفداء. وجاءت السنة مبينة جواز القتل بعد الأسر للمصلحة، كما جاء فيها إباحة الاسترقاق جريا على العادة السائدة في الماضي ومعاملة بالمثل. والظاهر أن الآية نزلت بعد وقعة بدر، فإن اللَّه تعالى عاتب المؤمنين على الاستكثار من الأسارى يومئذ، ليأخذوا منهم الفداء.

ثم بيّن اللَّه تعالى الحكمة في شرع القتال، فقال: ذلِكَ، وَلَوْ يَشاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ، وَلكِنْ لِيَبْلُوَا بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ أي ذلك هو الحكم في قتال الكفار، واللَّه قادر على الانتصار من أعدائه بالانتقام منهم، وإهلاكهم وتعذيبهم بما شاء من أنواع العذاب كالخسف والرجفة والغرق، دون قتال منكم أيها المؤمنون، ولكن اللَّه أمركم بحربهم ليختبر بعضكم ببعض، فيعلم المجاهدين في سبيله، والصابرين على ابتلائه، ويجزل ثوابهم، ويعذب الكفار بأيديهم، أو يحملهم الخوف على الإيمان باللّه تعالى قبل نزول العذاب بهم، ومشاهدة قتل أمثالهم، فالحكمة من القتال: هي امتحان الناس واختبار

1 أمير، عبد العزيز، التفسير الشامل للقرآن الكريم، القاهرة، دار السلام، ط1، 2000م ج6 ص3536 .

2 الجامع لأحكام القرآن، الرياض، المملكة العربية السعودية، دار عالم الكتب، 1423 هـ/ 2003م، ج/19، ص/193.

3 سورة محمد الآية: 4.

University of Malaya

صبرهم على المكاره: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾.[1]

ثم ذكر اللَّه تعالى ثواب الشهداء المجاهدين في سبيله قائلا:

1- وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمالَهُمْ أي إن المقتولين في سبيل اللَّه لا يضيع اللَّه سبحانه أجرهم، ولن يجعل أعمالهم ضائعة كما تضيع أعمال الكفار.

2- سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بالَهُمْ، وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَها لَهُمْ أي سيوفقهم اللَّه تعالى للعمل بما يحبه ويرضاه، ويرشدهم إلى طريق الجنة، ويصلح حالهم وأمرهم وشأنهم في الآخرة، أي تحفظ أعمالهم وتخلد لهم، ويدخلهم روضات الجنات يحبرون فيها، وقد عرّفهم بها، وأعلمهم وبيّنها لهم من غير استدلال، حتى إن أهلها يهتدون إلى بيوتهم ومساكنهم من غير مرشد ولا دليل.

جاء في الحديث الصحيح عند البخاري: ((والذي نفسي بيده إن أحدهم بمنزله في الجنة أهدى منه بمنزله الذي كان في الدنيا)).[2]

وقال مجاهد: يهتدي أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم، وحيث قسم اللَّه لهم منها، لا يخطئون، كأنهم ساكنوها منذ خلقوا، لا يستدلون عليها أحدا.

والتكرار بين سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بالَهُمْ لأن الأول سبب النعيم، والثاني نفس النعيم.[3]

أي: ولو شاء لانتصر من أصحاب الأخدود قبل تعذيب المؤمنين، كما انتصر من بعض الكافرين بالطوفان والغرق والحية والريح العقيم والخسف، بل لو شاء لانتصر منهم بغير هذه الأسباب، ولكنه سبحانه إنما يريد أن يبتلي المؤمنين بالشدة والخوف والقتل والتعذيب؛ ليسير لهم أبواب الثواب العظيم، وليعلم الذين آمنوا فيختار منهم شهداء، يستخلصهم لنفسه سبحانه ويحانه ويخصهم بقربه.

---

1 سورة آل عمران، الآية: 214.

2 البخاري، "الصحيح" باب وجوب صلاة الجماعة، ج1، ص230.

3 الزحيلي، " التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج" دمشق، دار الفكر المعاصر، ط:2، (1418 ه)،ج26، ص87.

University of Malaya

ج- في الطاعات

ابتلاء إبراهيم عليه السلام بتكاليف خاصة:

أن الله تعالى ابتلى إبراهيم عليه السلام بأنواع من الابتلاء، وامتحنه بضروب من الامتحان فصبر؛ وكان في إيمانه قويا ثابتًا، لم يتزعزع ولم يضطرب، ولم يدخل إليه وهن أو ضعف، ولعل أشد هذه المحن عليه كان حين أمر بذبح ابنه، ولكنه كان عبدًا شكورا، طائعًا لله تعالى مذعنًا لأوامر ربه، ومن ثم جعله الله عز وجل أمة بمفرده، قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةًۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾،[1] وفي هذا المبحث نتحدث عن لونين من ابتلاءاته.

1- وفاء إبراهيم عليه السلام لله سبحانه وتعالى:

من الاختبارات التى تعرض لها خليل الرحمن أن اختبره الله تعالى، وابتلاه بتكاليف شرعيه، وأوامر ونواه، فأتمها وقام بواجبها حق القيام، قال تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِىۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.[2]

يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿ٱبْتَلَىٰٓ﴾ وإذا اختبر، يقال منه: ابتليت فلانا أبتليه ابتلاء. ومنه قول الله عز وجل بلوناهم يعني به: اختبروهم. وكان اختبار الله تعالى ذكره إبراهيم اختبارا بفرائض فرضها عليه، وأمر أمره به، وذلك هو الكلمات التي أوحاهن إليه وكلفه العمل بهن امتحانا منه له واختبارا. ثم اختلف أهل التأويل في صفة الكلمات التي ابتلى الله بها إبراهيم نبيه وخليله صلوات الله عليه، فقال بعضهم: هي شرائع الإسلام، وهي ثلاثون سهما

حدثنا إسحاق بن شاهين، قال: ثنا خالد الطحان، عن داود، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: " ما ابتلي أحد بهذا الدين فقام به كله غير إبراهيم؛ ابتلي بالإسلام فأتمه، فكتب الله له البراءة، فقال: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ فذكرعشرا في براءة، فقال: ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ﴾ إلى آخر الآيات، وعشرا في الأحزاب﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ ﴾، وعشرا في سورة المؤمنين، إلى قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾، وعشرا في سأل سائل: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ حدثنا عبيد الله بن أحمد بن شبرمة، قال: ثنا علي بن الحسن، قال: ثنا خارجة بن

---

1 سورة النحل: الآية: 120-122.

2 سورة البقرة: الآية: 124.

مصعب، عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: " الإسلام ثلاثون سهما، وما ابتلي بهذا الدين أحد فأقامه إلا إبراهيم قال الله ﴿ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴾ فكتب الله له براءة من النار" وقال آخرون: هي خصال عشر من سنن الإسلام.

ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن ابن طاووس، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ ﴾ قال: ابتلاه الله بالطهارة: خمس في الرأس، وخمس في الجسد. في الرأس: قص الشارب، والمضمضة، والاستنشاق، والسواك، وفرق الرأس. وفي الجسد: تقليم الأظفار، وحلق العانة، والختان، ونتف الإبط، وغسل أثر الغائط والبول بالماء"[1].

قال الرازي: "حكى الله سبحانه وتعالى عن إبراهيم عليه السلام أموراً توجب على المشركين. وعلى اليهود والنصارى قبول محمد –صلى الله عليه وسل–، والاعتراف بدينه والانقياد لشرعه، وبيانه من وجوه:

أولاً: أن الله تعالى أمره ببعض التكاليف، فلما وفى بها، وخرج عن عهدتها، لا جرم أن نال النبوة والإمامة، وهذا مما ينبه اليهود والنصارى والمشركين، على أن الخير لا يحصل في الدنيا والآخرة إلا بترك التمرد والعناد، والانقياد لحكم الله تعالى وتكاليفه.

ثانيًا: أنه تعالى قال له بعد أن طلب الإمامة لأولاده: ﴿ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ فدل ذلك على أن منصب الإمامة والرياسة في الدين لا يصل إلى الظالمين، فهؤلاء متى أرادوا وجدان هذا المنصب، وجب عليهم ترك اللجاج والتعصب للباطل.

ثالثًا: أن من المفسرين من فسر الكلمات التي ابتلى الله تعالى إبراهيم بها بأمور ترجع حاصلها إلى تنظيف البدن، وذلك مما يوجب على المشركين اختبار هذه الطريقة؛ لأنهم كانوا معترفين بفضل إبراهيم عليه السلام ويوجب عليهم ذلك ترك ما كانوا عليه من التلطخ بالدماء وترك النطافة".[2]

وقال ابن كثير: "لما وفى إبراهيم عليه السلام ما أمره ربه به من التكاليف العظيمة، جعله للناس إمامًا يقتدون به ويأتمون بهديه، وسأل الله أن تكون هذه الإمامة متصلة بسببه، وباقية في نسبه وخالدة في عقبه، فأجيب إلى ما سأل وسلمت إليه الإمامة بزمام، واستثنى من نيلها الظالمين، واختص بها من

---

1 ابن حجر،العسقلاني، "فتح الباري شرح صحيح البخاري" باب قص الشارب، تحقيق أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، بيروت، دار المعرفة، (1379) ج10، ص334.

2فخر الدين الرازي،"التفسير الكبير" بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط:3، (1420ه) ج/4، ص/31.

University of Malaya

ذريته العلماء العاملون، كما قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾""[1].

ويقول الشعراوي:[2] "أي أن الله تعالى اختبره بتشريعات فأتمها على وجهها الصحيح، فكان جزاؤه أن الله جعله للناس إمامًا، قد ائتمنه على الدين فجعله إماما للناس"[3].

وقد اختلف العلماء في المراد بالكلمات التي ابتلى الله بها إبراهيم عليه السلام على أقوال، حصرها ابن العربي[4] في قولين:

"أحدهما: أنها شريعة الإسلام، فأكملها إبراهيم عليه السلام، وثانيهما: أنها الفطرة التي أوعز الله تعالى بها إليه ورتبها عليه"[5].

قال الطبري: "هي خصال عشر من سنن الإسلام، وعن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾، قال: ((ابتلاه الله بالطهارة، خمس في الرأس، وخمس في الجسد، في الرأس قص الشارب، والمضمضة، والاستنشاق، والسواك، وفرق الرأس، وفي الجسد تقليم الأظافر وحلق العانة، والختان، ونتف الإبط، وغسل أثر الغائط والبول بالماء))"[6].

وبعد دراسة أقوال العلماء السابقين يتبين لنا: أن المراد بالكلمات التي ابتلي بها إبراهيم عليه السلام أنها شريعة الإسلام، وما جاء فيها من تشريعات وتكاليف، وقد أتمها إبراهيم عليه السلام على وجهها الصحيح، والذي نال بها شرف التكليف، فكان جزاءه أن جعله الله للناس إمامًا يقتدون به ويأتمون بهديه.

---

1 سورة العنكبوت: الآية 27.

2 هو محمد متولي الشعراوي، ولد بقرية دقادوس، محافظة الدقهلية بالقاهرة، سنة 1911م، توفي في القاهرة سنة 1999م. انظر: المتولي الشعراوي، "قصص الأنبياء" مصر – القاهرة، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، 12/1-14.

3 الشعراوي، "قصص الأنبياء" مرجع سابق، 485/1.

4 هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المعافري الأندلسي الاشبيلي المالكي المعروف بابن العربي. ولد في اشبيليه 468هـ، وتوفي 543هـ، ودفن بفاس. انظر: عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، مرجع سابق، 232/2.

5 ابن العربي، "أحكام القرآن" تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر، د.ط، د.ت، 36/1.

6 الطبري،"جامع البيان" مرجع سابق، 572/1. أخرجه الحاكم في "المستدرك على الصحيحين" أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، وقال حديث صحيح على شرط الشخين ولم يخرجاه، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ط، 266/2. وابن كثير، "قصص القرآن" مرجع سابق، ص 118.

University of Malaya

2– ابتلاء إبراهيم بذبح ابنه إسماعيل –عليه السلام:

من نماذج الابتلاء بالطاعة، والصبر على تكميل النفس، وعلى طاعة الله تعالى فيما أمر مهما يكن وراء أمره سبحانه من مخاطر وتضحيات – من هذا اللون–، ابتلاء إبراهيم بذبح ابنه إسماعيل، حيث كان ولده البكر وابنه الوحيد.

فلما شب إسماعيل عليه السلام وأطاق السعي والعمل، رأى والده الخليل عليه السلام في المنام أنه يذبحه، فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((رؤيا الأنبياء وحي)).[1] ففهم الإشارة، وعرف المراد، فعزم على تنفيذ أمر الله تعالى، ولم يثنه عن عزمه أنه ابنه الذي لا ابن له سواه في ذلك الحين.

فتنة إثر فتنة، ومحنة تتلوها محنة: شيخ هرم، جالد الأيام، وعرك الدهر، واحنته السنون، قد كان طول حياته يأمل الولد، حتى إذا بلغ من الكبر عتيا، رزقه الله بغلام وحيد: قرت به عينيه، وأشرقت له نفسه، ثم أمر بأن يسكنه بواد غير ذي زرع، ويتركه وأمه في مكان قفر، ليس به حشيش ولا أنيس، وامتثل لأمر الله، وتركهما هناك ثقة بالله، وإيمانا به، وإطاعة لأمره، يجعل الله لهما من ضيقهما فرجاً ومخرجاً، ورزقهما من حيث لم يحتسبا، ثم يؤمر بذبح الولد العزيز، الذي هو بكره ووحيده !

إن هذه المحنة تنوء بها الجبال الراسيات، ولكن العظائم كفوها العظماء فعلا قدر إبراهيم،وعلت منزلته، وعلى مقدار ثبات يقينه، وكمال إيمانه يكون ابتلاؤه واختباره"[2]، قال تعالى:

﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾

---

1 ابن رجب، "فتح الباري" رواه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة: باب وضوء الصبيان ومتى يجب عليه الغسل... حديث رقم 859. المدينة المنورة، مكتبة الغرباء الأثرية، (1417 هـ - 1996م) ج2 ص/411.

2 محمد أحمد جاد المولى،"قصص الأنبياء" مصر – القاهرة، مكتبة المدينة، ص 52.

University of Malaya

وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1].

الفاء في فبشرناه للتعقيب، والبشارة: الإخبار بخير وارد عن قرب أو على بعد فإن كان الله بشر إبراهيم بأنه يولد له ولد أو يوجد له نسل عقب دعائه كما هو الظاهر وهو صريح في سفر التكوين في الإصحاح الخامس عشر فقد أخبره بأنه استجاب له وأنه يهبه ولدا بعد زمان، فالتعقيب على ظاهره وإن كان الله بشره بغلام بعد ذلك حين حملت منه هاجر جاريته بعد خروجه بمدة طويلة، فالتعقيب نسبي، أي بشرناه حين قدرنا ذلك أول بشارة بغلام فصار التعقيب آيلاً إلى المبادرة كما يقال: تزوج فولد له وعلى الاحتمالين فالغلام الذي بشر به هو الولد الأول الذي ولد له وهو إسماعيل لا محالة.

والحليم: الموصوف بالحلم وهو اسم يجمع أصالة الرأي ومكارم الأخلاق والرحمة بالمخلوق. قيل: ما نعت الله الأنبياء بأقل مما نعتهم بالحلم.

وأمر الله إبراهيم بذبح ولده أمر ابتلاء.

وليس المقصود به التشريع إذ لو كان تشريعًا لما نسخ قبل العمل به لأن ذلك يفوّت الحكمة من التشريع بخلاف أمر الابتلاء.

والمقصود من هذا الابتلاء إظهار عزمه وإثبات علو مرتبته في طاعة ربه فإن الولد عزيز على نفس الوالد، والولد الوحيد الذي هو أمل الوالد في مستقبله أشد عزة على نفسه لا محالة، وقد علمت أنه سأل ولدا ليرثه نسله ولا يرثه مواليه، فبعد أن أقر الله عينه بإجابة سؤله وترعرع ولده أمره بأن يذبحه فينعدم نسله ويخيب أمله ويزول أنسه ويتولى بيده إعدام أحب النفوس إليه وذلك أعظم الابتلاء.فقابل أمر ربه بالامتثال وحصلت حكمة الله من ابتلائه، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴾ ﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾أسلما استسلما. يقال: سلم واستسلم وأسلم بمعنى: انقاد وخضع، وحذف المتعلق لظهوره من السياق، أي أسلما لأمر الله فاستسلام إبراهيم بالتهيؤ لذبح ابنه، واستسلام الغلام بطاعة أبيه فيما بلغه عن ربه.

1 سورة الصافات: الآيتان 101 – 111.

وتله: صرعه على الأرض، وهو فعل مشتق من اسم التل وهو الصبرة من التراب كالكدية، وأما قوله في حديث الشرب «فتله في يده»أي القدح، فذلك على تشبيه شدة التمكين كأنه ألقاه في يده.

واللام في للجبين بمعنى (على) كقوله: ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ ، وقوله تعالى: ﴿دَعَانَا لِجَنْۢبِهِۦٓ﴾، ومعناها أن مدخولها هو أسفل جزء من صاحبه.

والجبين: أحد جانبي الجبهة، وللجبهة جبينان، وليس الجبين هو الجبهة ولهذا خطأوا المتنبي في قوله: وخل زيا لمن يحققه ... ما كل دام جبينه عابد وتبع المتنبي إطلاق العامة وهو خطأ، وقد نبه على ذلك ابن قتيبة في «أدب الكتاب» ولم يتعقبه ابن السيد البطليوسي في «الاقتضاب» ولكن الحريري لم يعده في «أوهام الخواص» فلعله أن يكون غفل عنه، وذكر مرتضى في «تاج العروس» عن شيخه تصحيح إطلاق الجبين على الجبهة مجازا بعلاقة المجاورة، وأنشد قول زهير:

يقيني بالجبين ومنكبيه ... وأدفعه بمطرد الكعوب

وزعم أن شارح ديوان زهير ذكر ذلك. وهذا لا يصح استعماله إلا عند قيام القرينة لأن المجاز إذا لم يكثر لا يستحق أن يعد في معاني الكلمة على أنا لا نسلم أن زهيرا أراد من الجبين الجبهة. ولم يذكر هذا في الأساس.

والمعنى: أنه ألقاه على الأرض على جانب بحيث يباشر جبينه الأرض من شدة الاتصال. ومناداة الله إبراهيم بطريق الوحي بإرسال الملك، أسندت المناداة إلى الله تعالى لأنه الآمر بها.[1]

قال ابن كثير: "وإنما أعلم ابنه بذلك، ليكون أهون عليه، وليختبر صبره وجلده، وعزمه في صبره على طاعة الله تعالى وطاعة أبيه، قال: ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾. أي: أمض لما أمرك الله فى ذبحي ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾. أي: سأصبر وأحتسب ذلك عبد الله عز وجل، وصدق عليه السلام فيما وعد، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾.[2]

قال الألوسي: "وإنما شاوره في ذلك وهو حتم، ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله عز وجل، فيثبت قدمه إن جزع، ويأمن عليه، فيهون عليه ويكتسب المثوبة بالانقياد لأمر الله تعالى، قبل نزوله، وليكون سنة في المشاورة".

---

1 ابن عاشور، "التحرير والتنوير" مرجع سابق، ج23، ص 153.

2 سورة مريم الآية: 54.

وفي قوله: ﴿ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾.[1] توقير وبر عظيم بوالده، وتوفيق من الله كبير، وإيمان وثيق، ونفس راضية بما قضى الله وقدر. وهنا تبدو عظمة التضحية والطاعة والإستسلام لله والرضا واليقين.

إنها العبودية لله تعالى على أكمل صورها من الأب والابن معاً، الأب يصمم على تنفيذ أمر ربه، والابن يبادر بالطاعة، ويكون عونا على تنفيذ أمر الله، ويحض والده على تنفيذ الأمر بقوله: ﴿ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُ ﴾ ناسيًا لذاته، كأن الأمر لا علاقة له برقبته وإنهاء حياته، ويظهر ذلك في قوله: ﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾، إنه لا يدعى بطولة ولا شجاعة بل يوكل الأمر إلى الله تعالى، ويستند في صبره إلى إذنه ومشيئته.

هذا استسلم لقضاء الله عز وجل، أسلم الوالد وولده، أسلم الولد عنقه، وصرعه أبوه للجبين، وتهيأ للذبح بالسكين، وهكذا كان الابتلاء قد وصل غايته وحقق ثمرته، لقد نجح إبراهيم عليه السلام في الامتحان، ونفذ أمر الله تعالى دون تردد أو ارتياب، عندئذ جاء النداء الإلهي: يا إبراهيم، كف عن ذبح ابنك، فقد حصل المقصود من اختبارك، وقمت بالواجب، ولم تخالف أمر ربك، فكنت من الفائزين، فخذ هذا الكبش واذبحه فداء لابنك.

فعند ذلك نودي من الله عز وجل: ﴿ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[2]، أي: قد حصل المقصود من اختبارك وطاعتك، ومبادرته إلى أمر ربك، وبذلت ولدك للقربان كما سمحت ببدنك للنيران، وكما مالك مبذول للضيفان، ولهذا قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴾، أي: لاختبار الظاهر البين، وقوله: ﴿ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٍ ﴾، أي: جعلنا فداء ذبح ولده ما يسره الله تعالى له من العوض والمشهور عن الجمهور أنه كبش أبيض أعين أملح أقرن.

وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٍ ﴾.[3]

---

1 سورة الكهف، الآية: 102.

2 سورة الصافات، الآية :105.

3 سورة الصافات الآية: 103-107.

إن استسلام إبراهيم وإسماعيل لأمر الله تعالى والرضا يأمره بقضائه، من أرفع صور الإيمان وأجلها في تاريخ الإنسانية، فليس الإيمان إدّعاءات تلوكها الألسن، وليس الإيمان تسلية للأحزان لفترة ما، وليس الإيمان نظرية من النظريات يغوص العقل في كشف خفاياها بل الإيمان هو الاندماج الكلي في إرادة الله التي تذكره في العمل بوصاياه وأوامره، والتضحية بكل غال ونفيس فى سبيله.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾،[1] أي: إنا كما عفونا عن ذبحه لولده بعد استبانة إخلاصه في عمله، حين أعد العدة، ولم تتغلب عليه عاطفة البنوة، فرضي بتنفيذ القضاء كذلك نجري كل محسن على طاعته، ونوفيه من الجزاء ما هو له أهل، وبمثله جدير.

University of Malaya

1 سورة الصافات، الآية:105.

المبحث الثاني: نماذج يقتدى بها من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم:

وفي هذا المبحث يقوم الباحث باستعراض نماذج من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم يمكن الاقتداء بها للتعامل مع الفتن والمحن في زمن الملاهي والزواهي وغيرها من الأوقات العصيبة التي يمر بها الإنسان بشكل عام، إذ أنها تساعد ذوي المقصدة الخاصة الثبات على الإيمان.

أ – في المحن: ابتلاء المؤمنين في غزوة أحد.

لقد كانت غزوة أحد[1] بحق سلسلة من الامتحانات القاسية، مفاجآت كثيرة وتحولات ومباغتات مذهلة غير متنظرة، امتحن الله بها صفوة هذه الأمة في مختبر المصائب والنكبات، فابتلاها الله تعالى بأنواع القتل والجرح والاندحار؛ لبختبرها، قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾[2].

إن المقصود من قوله: كان الناس أمة واحدة تشجيع الرسول عليه السلام والمؤمنين على الثبات والصبر على أذى المشركين بذكر ما قابلت به الأمم السالفة أنبياءها وما لقوا فيها من الشدائد اه فالمناسبة على هذا في مدلول قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ ﴾[3] إلخ، وتكون الجملة مستأنفة استئنافا ابتدائيا للمناسبة.

والظاهر عندي أن موقع هذه الآية هنا جامع لموقع تذييل لما قبلها ومقدمة لما بعدها.

فأما الأول فلأنها أفادت بيان حالة الأمم الماضية كيف نشأ الخلاف بينهم في الحق مما لأجله تداركهم الله ببعثات الرسل في العصور والأجيال التي اقتضتها حكمة الله ولطفه مما يماثل الحالة التي نشأت فيها البعثة المحمدية وما لقيه الرسول والمسلمون من المشركين.

وأما الثاني فلأنها مقدمة لما يرد بعدها من ذكر اختصاص الإسلام بالهداية إلى الحق الذي اختلفت فيه الأمم وهو مضمون قوله تعالى: فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه إلى قوله: إلى صراط مستقيم وذلك من خصائص كون الإسلام مهيمنا على ما سبقه من الشرائع الإلهية وتفضيله على جميع الأديان وأن هذه المزية العظمى يجب الاعتراف بها وألا تكون مثار حسد للنبيء وأمته،

---

1 غزوة أحد وقعت في شوال السنة الثالثة للهجرة "وأحد" اسم الجبل الذي وقعت عنده غزوة أحد، ويقع شمال المدينة المنورة علي بعد ميلين، وسمي أحد لتوحده وانقطاعه عن جبال أخرى هناك. انظر: ياقوت، معجم البلدان، بيروت: دار الفكر، ج1، ص 133.

2 سورة آل عمران، الآية: 142

3 البقرة الآية: 212.

ردًا على حسد المشركين، إذ يسخرون من الذين آمنوا وعلى حسد أهل الكتاب الذي سبق التنبيه عليه في قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾[1].

وحصل من عموم ذلك تعليم المسلمين تاريخ أطوار الدين بين عصور البشر بكلمات جامعة ختمت بقوله: فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه فإن كان المراد من كونهم أمة واحدة الوحدة في الخير والحق وهو المختار كما سيأتي فقد نبه الله أن الناس اختلفوا فبعث لهم أنبياء متفرقين لقصد تهيئة الناس للدخول في دين واحد عام، فالمناسبة حاصلة مع جملة ادخلوا في السلم كافة [البقرة: 208] بناء على أنها خطاب لأهل الكتاب أي ادخلوا في دين الإسلام الذي هدى الله به المسلمين.[2]

قال الطبري: "أم حسبتم أن تدخلوا الجنة، وتصيبوا من ثوابي الكرامة ولم اختبركم بالشدة، وأبتليكم بالمكاره؛ حتى أعلم صدق ذلك منكم، بالإيمان بي، والصبر علي ما أصابكم في"[3].

القرآن الكريم يتحدث عن الغزوة

تحدث القرآن الكريم عن غزوة أحد، فقد أنزل الله تعالى فيها ستين آية من آل عمران، تناول مجمل الأحداث، والتطورات والتحولات والمفاجآت والانتكاسات التي أصابت المسلمين في هذه الغزوة، حيث كانت يوم بلاء وتمحيص، اختبر الله به المؤمنين ومحق به الكافرين، وأكرم الله فيها من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.[4] يعنى الغالبين على الأعداء بعد أحد وفي كل عسكر في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي أي عسكر كان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أي: لا تضعفوا ولا تجبنوا يا أصحاب محمد عن جهاد أعدائكم لما أصابكم، ولا تحزنوا على

---

[1] سورة البقرة، الآية: 208

2 ابن عاشور، "التحرير والتنوير" مرجع سابق، ج2، ص299.

3 الطبري، "جامع البيان" دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط: 1، (1422 هـ - 2001 م) ج3، ص: 455.

4 سورة آل عمران، الآية: 139-140

ما أصابكم من الهزيمة والمصيبة في أحد، ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ﴾، أي: فلكم النصر في العاقبة، فإن الإيمان يوجب قوة القلب ومزيد الثقة بالله وعدم المبالاة بأعدائه[1].

فقد طالب الله المؤمنين أن يدعوا الحزن والوهن، فهم الأعلون طالما أنهم مؤمنون، ومن جهة ثانية استنهاض للهمم التي فترت، والنفوس التي حزنت لتتجاوز حزنها، وتتعالى على مصيبتها، وتمضي قدمًا في تحقيق الهدف، وأن من حكمة الله تعالى أنه قد قضى أن تكون الحرب سجالا بين الناس وأن المسلمين لا يمكن أن يكونوا دائما منتصرين، بل لا بد أن تدور الدائرة عليهم في بعض حروبهم مع العدو؛ ليتخذ الله منهم شهداء، ليبتلي إيمانهم كي يعلم الصادقين الثابتين.

والحكمة من قرح المؤمنين وتداول الأيام بين المؤمنين والكافرين، ليس هوان المؤمنين على الله بل تمحيصهم ليعرف الصادق من المنافق، والهدف الآخر "ويتخذ منكم شهداء" فهو يصطفيهم لأنه يحبهم، وقد صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وأن الله تعالى اطلع على المؤمنين، فأحب أن يتخذ ويختار ويصطفي منهم هؤلاء السبعين.[2]

يقول الرازي: "واعلم أنه ليس المراد من هذه المداولة أن الله تعالى تارة ينصر المؤمنين وأخرى ينصر الكافرين وذلك لأن نصرة الله منصب شريف وإعزاز عظيم، فلا يليق بالكافر، بل المراد من هذه المداولة أنه تارة يشدد المحنة على الكفار وأخرى على المؤمنين والحكمة من ذلك، أنه تعالى لو شدد المحنة على الكفار في جميع الأوقات وأزالها عن المؤمنين في جميع الأوقات لحصل العلم الاضطراري بأن الإيمان حق وما سواه باطل، ولو كان كذلك لبطل التكليف والثواب والعقاب فلهذا تارة يسلط الله المحنة على أهل الإيمان، وأخرى على أهل الكفر، وأن المؤمن قد يقدم على بعض المعاصي، فيكون عند الله تشديد المحنة عليه في الدنيا أدباً له.[3]

ثم لفت نظرهم إلى أنهم ليسوا أول عسكر مؤمن تعرضوا للبلايا والمحن، مع أن نبيهم بينهم، فإن كثيرًا من النبيين الذين خلوا قد تعرضوا مع جندهم لكثير من النكبات والمصائب في المعارك التي خاضوها، ولكنهم لم يضعفوا بل ثبتوا وقاتلوا مع أنبيائهم، ولم يستكينوا ولم يهنوا لما أصاب مجموعهم

---

1 القرطبي، "الجامع الأحكام القرآن" دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، (1423 هـ/ 2003م) ج4، ص 139-140 انظر: ابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"دار طيبة للنشر والتوزيع، ط:2، (1420هـ - 1999م) ، ج2، ص 120. انظر: أبو السعود العمادي، "إرشاد العقل السليم" بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج2، ص: 38.

2باشميل، عزوة أحد، مرجع سابق، ص 186. وانظر: الغضبان منير محمد، "المنهج التربوي للسيرة النبوية"، الأردن، مكتبة المنار، الزرقاء، ط:1، (1991)، ج1، ص 127-130

3 فخر الدين الرازي، "التفسير الكبير" بيروت – لبنان، دار إحياء التراث العربي، ط:3، (1420هـ)، ج9، ص: 13-14.

University of Malaya

من الجرح والقتل، قال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾.[1]

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لقي العدو يقول في القتال: "اللهم بك أصول وأجول" وكان صلى الله عليه وسلم يقول إذا لقي العدو: " اللهم إني أعوذ بك من شرورهم وأجعلك في نحورهم" ودعا يوم بدر حتى سقط رداؤه عن منكبيه يستنجز الله وعده على ما يأتي بيانه في "آل عمران" إن شاء الله تعالى.[2]

ثم عقب القرآن على ما أصاب المسلمين في معركة أحد من بلاء و مصائب، وأشار إلى أن ذلك إنما كان بمثابة اختبار وامتحان تميز به الخبيث من الطيب، والمؤمن من المنافق، وتبين به المؤمن القوي من المؤمن الضعيف، قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾.[3]

فالإيمان الصادق يحمل صاحبه على الخوف من اللّه وحده، وقد مدح اللّه المؤمنين بالخوف، فقال: "يَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ".[4] وفي سنن ابن ماجه عن أبي ذرّ قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم: «إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطّت السماء، وحقّ لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا للّه، واللّه لو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلا، ولبكيتم كثيرا، وما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصّعدات تجأرون إلى اللّه» قال أبو ذر: «واللّه لوددت أني كنت شجرة تعضد.[5]

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: أي لا بد أن يعقد شيئًا من المحنة ويظهر فيه وليه، ويفضح به عدوه، يعرف به المؤمن الصابر، والمنافق الفاجر، يعني بذلك: يوم أحد الذي امتحن الله به المؤمنين، فظهر به إيمانهم وصبرهم وجلدهم وثباتهم وطاعتهم لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم

---

1 سورة آل عمران، الآية: 146

2القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن" مرجع سابق، ج3، ص256.

3 سورة آل عمران، الآية: 179

4 النحل، الآية: 50.

5 وهبة الزحيلي، "التفسير المنير" مرجع سابق، ج4، ص173.

University of Malaya

وهتك به أستار المنافقين، فظهرت مخالفتهم ونكولهم عن الجهاد وخيانتهم لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم.[1]

ثم أشار القرآن الكريم إلى الطمأنينة والهدوء الذي أنزل الله تعالى عليهم وملأ به قلوبهم، فثبتهم بعد عاصفة الغم والارتباك التي أصابت نفوسهم، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.[2]

روى أحمد ومسلم عن أنس أن النبي صلّى اللّه عليه وسلّم يوم أحد كسرت رباعيته، وشج رأسه، حتى سال الدم على وجهه، فقال: كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم، وهو يدعوهم إلى ربهم؟ فأنزل اللّه: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ.

وروى أحمد والبخاري عن ابن عمر قال: سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم يقول: اللهم العن فلانا، اللهم العن الحارث بن هشام، اللهم العن سهيل بن عمرو، اللهم العن صفوان بن أمية، فنزلت الآية: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ إلى آخرها، فتيب عليهم كلهم. وروى البخاري عن أبي هريرة نحوه[3].

قال الحافظ ابن حجر: طريق الجمع بين الحديثين: أنه صلّى اللّه عليه وسلّم دعا على المذكورين في صلاته بعد ما وقع له من الأمر المذكور يوم أحد، فنزلت الآية في الأمرين معا فيما وقع له، وفيما نشأ عنه في الدعاء عليهم.

الخلاصة: إن الآية نزلت في قصة أحد، ويمكن أن تشمل حوادث أخرى وقعت بعدها. وأما ما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة من الكف عن الدعاء على رعل وذكوان بعد نزول هذه الآية، ففي الخبر علة وهي الإدراج من قول الزهري عمن بلغه: وهو قوله «حتى أنزل اللّه» لأن هذه القصة حدثت بعد قصة أحد.

---

1 ابن كثير،"تفسير القرآن الكريم" مرجع سابق، ج2، ص:165

2 سورة آل عمران، الآية: 154.

3 البخاري، "الصحيح" مرجع سابق، ج4، ص1493.

University of Malaya

رواية مسلم: ((أنه صلّى اللّه عليه وسلّم كان يقول في الفجر: اللهم العن رعلا وذكوانا وعصية، حتى أنزل اللّه لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ)).[1]

ما لحق النبي صلى الله عليه وسلم من الأذى والابتلاء في غزوة أحد: عن أنس رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته يوم أحد، وشج في رأسه، فجعل يسلت الدم عنه ويقول: ((كيف يفلح قوم شجوا نبيهم، وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى الله)). فأنزل الله عز وجل: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾[2]

وعن سهل بن سعد قال: جُرح وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكُسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه، فكانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تغسل الدم وكان علي بن أبي طالب يسكب عليها الماء بالمجن، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعت حصير فأحرقته حتى صار رمادًا، ثم ألصقته بالجرح فاستمسك الدم.[3]

أما ما لحق بالصحابة رضوان الله عنهم أجمعين، بعدما اشتد الكرب بالمؤمنين، وتداعت الصفوف حكمة من الله عز وجل، استشهد أكثر من سبعين من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وقام صلى الله عليه وسلم على الشهداء وقال: ((أنا شهيد عليكم عند الله سبحانه وتعالى يوم القيامة)). وصفهم ودعا لهم صلى الله عليه وسلم وأمر أن يدفن الثلاثة والأربعة في قبر وقال: ((أيهما أكثر أخذًا للقرآن فقدموه إلى القبلة))[4]

ب – في الفتن:

لما تعرض المنافقين لنساء المسلمين بالأذى قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ لَّئِن لَّمْ

1 مسلم، "الصحيح" شرح فؤاد عبدالباقي، ج1، ص 466.

2 سورة آل عمران، الآية: 128.

3 مسلم، "الصحيح" ج/3، ص/ 1416.

4 عائض بن عبد الله القرني، "قصة الرسول وروائع السيرة" بدون الطبعة والنشر، ص/178

University of Malaya

يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٦٠﴾ مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴾[1]

يقول تعالى ذكره: ومن هؤلاء المنافقين جماعة يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعيبونه ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞ﴾، سامعة، يسمع من كل أحد ما يقول فيقبله ويصدقه.

وهو من قولهم: "رجل أذنة"، مثل: "فعلة" إذا كان يسرع الاستماع والقبول، كما يقال: "هو يقن، ويقن" إذا كان ذا يقين بكل ما حدث. وأصله من "أذن له يأذن"، إذا استمع له. ومنه الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((ما أذن الله لشيء كأذنه لنبي يتغنى بالقرآن)).[32]

لقد تضمنت فواتح هذه الآيات الكريمة إشارات إلى مواقف كيدية من الأشرار المنحرفين والمنافقين والذين في قلوبهم مرض، فيها أذى وسوء أدب إزاء النبي صلى الله عليه وسلم وأهله والمؤمنين والمؤمنات عامة، وإلى ما كانوا يسعون فيه من نشر مقالة السوء عنهم، وتدبير المؤامرات لهم، وإشاعة النقائص والعيوب ضدهم كذبا وزورًا وبهتانًا، وبما هم برآء منه، قال أبو السعود عند تفسير هذه هذه الآية: "﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا﴾ إنها كانت نزلت على المنافقين كانوا يؤذون عليّا رضي الله عنه ويسمعونه ما لا خير فيه. وقيل: في أهل الإفك، ولكن ربما كان يقع منهم التعرض للحرائر أيضًا جهلاً أو تجاهلاً للاتحاد الكلي في الزي واللبس، والظاهر عمومه لكل ما ذكر، ولما سيأتي من أراجيف المرجفين".[4]

وبعد أن مضى السياق في تحذير الذين يؤذون النبي صلى الله عليه وسلم أو في أهله، وفي تفظيع الفعلة التى يقدمون عليها وبشاعتها وقبحها وشناعتها، وبعد ما بين الله تعالى سوء حال المؤذين للمؤمنين والمؤمنات، ووصفهم بالإثم والبهتان، زجرًا وردعًا لهم عن الإيذاء، أمر الله سبحانه وتعالى النبي صلى الله عليه وسلم أن يأمر نساءه وبناته ونساء المؤمنات عامة بإرخاء جلابيبهن عند

1 سورة الأحزاب، الآية: 57-62

2 الطبري، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" مرجع سابق، ج11، ص534.

3 مسلم،"الصحيح" ج1، ص545.

4 أبو السعود، "إرشاد العقل السليم" مرجع سابق، ج5، ص: 238.

University of Malaya

الخروج لقضاء الحاجة؛ حتى يتميزن بهذا الزي السابغ الساتر؛ فيعلم أنهن حرائر، فلا يتعرض لهن ذوو السيرة السيئة، والنية الخبيثة من المنافقين والمرجفين والفساد باذى ولا ريبة.

زعيم المنافقين يدعو إلى مواقف كيدية للمسلمين:

قال تعالى: ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ ٧ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾.[1]

أنبأ عبد الرحمن، قال: ثنا إبراهيم، قال: ثنا آدم، قال: ثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق الهمداني، عن زيد بن أرقم، قال: كنت مع عمي فسمعت عبد الله بن أبي يقول لأصحابه: ﴿لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ ﴾ من حوله، وقال: ﴿لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّ ﴾، قال: فذكرت ذلك لعمي، فذكر عمي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عبد الله بن أبي وأصحابه، فحلفوا بالله ما قالوا، فصدقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبني، فأصابني غم لم يصبني مثله قط، وجلست في بيتي، فأنزل الله عز وجل ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ ﴾ إلى قوله ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ ﴾ إلى قوله: ﴿لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّ ﴾فأرسل إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقرأها علي وقال: «إن الله عز وجل صدقك».[2]

قال الطبري: يقول تعالى ذكره: ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ ﴾ يعني المنافقين الذين يقولون لأصحابهم: ﴿لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾ من أصحابه المهاجرين ﴿حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ ﴾ يقول: حتى يتفرّقوا عنه. وقيل: نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول[3] حينما قال لأصحابه: "لا تنفقوا على من عند رسول الله فإنكم لو لم تنفقوا عليهم قد انفضوا"،[4] لما سمع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بأن

---

1 سورة المنافقين، الآية: 7-8

2 مجاهد المكي القرشي، "تفسير مجاهد" مرجع سابق، ص 661.

3 هو عبد الله بن أبي بن سلول الأنصاري من بني عوف بن الخزج وسلول: امرأة من خزاعة وهي أم أبي بن مالك بن الحارث، رأس المنافقين، شديد العداء للرسول –صلى الله عليه وسلم– مات على النفاق، انظر:الصفدي ، "الوافي بالوفيات" بيروت، دار إحياء التراث، (1420هـ-2000م)رقم:9 12-11/17

4 الطبري، "جامع البيان"، مرجع سابق، ج12ص/104-105

بني المطلق[1] يجمعون له، خرج إليهم حتى لقيهم على ماء لهم يقال لها "المريسيع"[2] فتزاحم الناس عليه واقتتلوا، ومع عمر بن الخطاب رضي الله عنه أجير له اختصم مع حليف للخزرج فضرب الأجير الحليف، حتى سال دمه، فاستصرخ بقومه الخزرج، واستصرخ الأجير بالمهاجرين، فأقبل الذعر من الفريقين وكادوا يقتلون لولا أن خرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ((ما بال دعوى الجاهلية؟)). فأخبر الخبر، فقال: ((دعوا هذه الكلمة فإنها منتة)).[3]

فلما بلغ عبد الله بن أبي هذا الخصام غضب، وكان عنده رهط من الخزرج فقال: "ما رأيت كاليوم مذلة أوَ قد فعلوها" نافرونا في ديارنا والله ما عندنا وجلابيب قريش إلا كما قال الأول: "سمن كلبك يأكلك، أما والله" ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾[4]

ثم ألتفت إلى من معه وقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلي غير داركم، ثم لم ترضوا بما فعلتم حتى جعلتم أنفسكم أغراضًا للمنايا فقتلتم دون محمد فأيتمتم أولادكم، وقللتم وكثروا فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من عنده، وكان في مجلسه شاب حديث السن قوي الإسلام اسمه زيد بن أرقم[5] فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر فتغير وجهه وقال: لعله أخطأ سمعك، فاستأذن عمر الرسول في قتل ابن أبي أو أن يأمر أحدًا غيره بقتله، فنهاه عن ذلك، وقال: ((كيف يا عمر إذًا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه)).[6]ثم أذن بالرحيل في وقت لم يكن يرتحل فيه حين اشتد الحر يقصد

---

1 قال الحافظ في "فتح الباري" 487/7 المطلق فهو بضم الميم وسكون المهملة وفتح الطاء وكسر اللام بعدها قاف: وهو لقب، واسمه جذيمة بن سعد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بطن من بني خزاعة، كانوا يسكنون قديرا وعسفان على طريق المدينة إلى مكة تبعد 12 كم من المدينة، وكانت خزاعة يسودها الشرك إلا أنهم كانوا مسالمين للمسلمين.

2 المريسيع: هو اسم نبع ماء لبني خزيمة في ناحية قديد إلى ساحل البحر، معجم البلدان، مرجع سابق، 139/5. وقديد: اسم موقع قرب مكة (الماء الذي بين قديد وعسفان). انظر: ياقوت، معجم البلدان، مرجع سابق، ج/4 ص/357.

3 البخاري، "الصحيح" كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾رقم الحديث 4905، ج 6، ص 154.

4 سورة المنافقون، الآية: 8

5 هو زيد بن أرقم بن قيس بن النعمان بن مالك الأنصاري الخزرجي، شهد مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم- 17 غزوة، سكن الكوفة، وتوفي سنة 68هـ. انظر: "أسد الغابة في معرفة الصحابة" مرجع سابق، 342/2-344.

6 البخاري دون قوله: "ما بال دعوى الجاهلية"، "الصحيح" كتاب المغازي، باب يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، حديث رقم (4907) عن جابر بن عبد الله، باب المنافقون إذا جاءك المنافقون ص 742. وكتاب التفسيرن 734/8، باب المنافقون حديث رقم (4900) عن زيد بن أرقم.

University of Malaya

بذلك عليه الصلاة والسلام شغل الناس عن التكلم في هذا الموضوع، فجاء أسيد بن حضير[1]، وسأله عن سبب الارتحال في هذا الوقت؟ فقال: ((أما بلغك ما قال صاحبكم؟ زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل))، قال: أنت والله يا رسول الله تخرجه إن شئت، هو الذليل وأنت العزيز".

ثم سار عليه والصلاة والسلام بالناس سيرًا حثيثًا حتى آذتهم الشمس فنزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مسّ الأرض؛ حتى وقعوا نيامًا وكلم رجال من الأنصار عبد الله بن أبي في أن يطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم الاستغفار، فلوى رأسه واستكبر وهنا نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة المنافقين التي فضحت عبد الله بن أبي وإخوانه، وصدقت زيد بن أرقم، ولما بلغ ذلك عبد الله بن أبي،[2] استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل أبيه حذرًا من أن يكلف بذلك غيره، فيكون عنده من ذلك أضغان وأحقاد، فأمره عليه الصلاة والسلام بالرفق به والإحسان إليه[3].

قال ابن كثير: "لما وقفوا راجعين إلى المدينة، وقف عبد الله بن أبي على باب المدينة واستل سيفه، فجعل الناس يمرون عليه، فلما جاء أبوه عبد الله بن أبي قال له ابنه: وراءك، فقال: مالك؟ ويلك! فقال: والله لاتجوز من ههنا حتى يأذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان إنما يسير في ساقه فشكا إليه عبد الله بن أبي ابنه، فقال: ابنه عبد الله: والله يا رسول الله لا يدخلها حتى تأذن له، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أما إذ أذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فجز الآن".[4]

ومن هذه الأحداث يتبين لنا: أن زعيم المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول هو الذي كان يدعو إلى مواقف كيدية للمسلمين، ولعل مما كان يدفعه إلى ذلك ما في نفسه من البغض والمكر للمسلمين، ومن اللؤم والخبث والجبن، وانطماس القلب والبصيرة، فقد كان يرى ما بين الأنصار

---

1 هو أسيد بن الحضير بن سماك بن عتيك بن نافع الأنصاري الأوسي الأشهلي، أحد النقباء، كان من أصحاب الأشراف والعقلاء وذوي الراي، مات سنة 20هـ ودفن في البقيع. انظر: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، المتوفى (748هـ)، انظر: الذهبي "سير أعلام النبلاء" مؤسسة الرسالة، ط: 3، (1405 هـ / 1985م)، 340/1-343. و "أسد الغابة في معرفة الصحابة" مرجع سابق، 111/1-113

2 هو عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول بن مالك بن الحارث الأنصاري الخزرجي من فضلاء الصحابة كان أمسه الحباب فسماه الرسول –صلى الله علي،هـ وسلم– عبد الله شهد بدرًا وأحد استشهد يوم اليمامة في عهد أبي بكر سنة 12هـ. انظر: مرجع سابق، 297/3-298

3 ابن هشام، "السيرة النبوية" بيروت دار الجيل، (1411) 185/3.

4ابن كثير، "تفسير القرآن العظيم" مرجع سابق، 23/7

University of Malaya

والمهاجرين من مودة وإخاء فيكره ذلك ويتمنى زوالهما، ومن ثم يطلق بينهم الفتن لتحرق تلك العلاقات الطيبة الحميدة، وقد ذكر الله تعالى طرفًا من فسقه وقبائحه كما ذكرت سابقًا.

ج – في الطاعات:

ابتلاء المؤمنين في غزوة الخندق:

إن الصراع بين أهل الحق والباطل دائم ما دامت الحياة، وهذا الصراع متعدد الأساليب والصور، يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة، وقد يوجد ظرف تكون الجولة فيه لأهل الباطل، فإن ذلك لا يزعج المسلمين؛ لأن العاقبة لهم، حيث النصر والتمكين، وما غزوة الأحزاب[1]، أو غزوة الخندق،[2] إلا حلقة من حلقات سلسلة الصراع الطويل بين معسكر الإيمان ومعسكر الكفر.

وتعتبر هذه الغزوة من تاريخ الحروب العسكرية النبوية فاصلة بين مرحلتين: مرحلة الدفاع، ومرحلة الهجوم. فقد كانت هذه الغزوة آخر وقعة تشن فيها قريش حربًا هجومية على أرض المسلمين، ويقف فيها النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون موقف المدافع عن المدينة وأهلها.

لقد وقعت هذه الغزوة في ظروف قاسية: البرد الشديد، والريح الشديدة، والأعداء المهاجمون كثيرون لا يقوى المسلمون عن مواجهتهم والاشتباك معهم مباشرة، فحفروا الخندق؛ ليعوّضوا هذا الفارق في العدد بين المشركين والمسلمين، وكانت خطة قريش والأحزاب تقضي أن تجتاح المدينة بعد القضاء على القلة المؤمنة، إلا أنها فوجئت بالخندق حين رأته فباءت خطتها بالفشل وأوقعتها في حيرة وإرباك.

---

1 سميت غزوة الأحزاب بهذا الاسم؛ لأن قبائل العرب من المشركين مع اليهود تحزبوا ذد الرسول – صلى الله عليه وسلم– فاجتمعوا يدا واحدة، وتألبوا وتحزبوا حبكوا جبكة لإنهاء الإسلام نهاية مميتة في نظرهم. انظر: القرني، "قصة الرسالة روائع من السيرة" مرجع سابق، ص190

2 الخدق: هو المحفور حول المدينة من الجهة الشمالية للمدينة من الحرة الغربية، الذي حفره الرسول –صلى الله عليه وسلم– وأصحابه عندما علم بتحزب الأحزاب، وقت الغزوة سنة 5ه "معجم البلدان" 448/2. وهذه الجهة الشمالية من المدينة هي التي كانت عورة تؤتى المدينة من قبلها، أما بقية حدودها فمشتبكة بالبيوت والنخيل حتى لا يتمكن العدو من الحرب جهتها. انظر: الخضري "نور اليقين" دار الفيحاء – دمشق، ط: 2، (1425ه) ص: 122.

University of Malaya

القرآن الكريم يتحدث عن غزوة الخندق:

تذكير المؤمنين بنعم الله عليهم كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٩ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ١٠ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ١١ وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا ١٢ وَإِذۡ قَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْۚ وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارٗا ١٣ وَلَوۡ دُخِلَتۡ عَلَيۡهِم مِّنۡ أَقۡطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلۡفِتۡنَةَ لَأٓتَوۡهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرٗا ١٤ وَلَقَدۡ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلۡأَدۡبَٰرَۚ وَكَانَ عَهۡدُ ٱللَّهِ مَسۡـُٔولٗا ﴾.[1]

كان علاج ذلك هو ما ذكرنا، فانظر شدة هذا الحصار العسكري وقوة أثره في المسلمين، مع أن جميع أهل الأرض في ذلك الوقت مقاطعوهم سياسة واقتصادا، فإذا عرفت ذلك فاعلم أن العلاج الذي قابلوا به هذا الأمر العظيم، وحلوا به هذه المشكلة العظمى، هو ما بينه جل وعلا (في سورة الأحزاب) بقوله: ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما.

فهذا الإيمان الكامل، وهذا التسليم العظيم لله جل وعلا، ثقة به، وتوكلا عليه، هو سبب حل هذه المشكلة العظمى.

وقد صرح الله تعالى بنتيجة هذا العلاج بقوله تعالى: ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطئوها وكان الله على كل شيء قديرا.

وهذا الذي نصرهم الله به على عدوهم ما كانوا يظنونه، ولا يحسبون أنهم ينصرون به وهو الملائكة والريح، قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها، ولما علم جل وعلا من أهل بيعة الرضوان الإخلاص الكامل، ونوه عن إخلاصهم بالاسم المبهم الذي هو الموصول في قوله: لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم

1سورة الأحزاب، الآية: 9-15.

ما في قلوبهم: أي من الإيمان والإخلاص، كان من نتائج ذلك ما ذكره الله جل وعلا في قوله: وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديرا، فصرح جل وعلا في هذه الآية بأنهم لم يقدروا عليها، وأن الله جل وعلا أحاط بها فأقدرهم عليها، وذلك من نتائج قوة إيمانهم وشدة إخلاصهم.

فدلت الآية على أن الإخلاص لله وقوة الإيمان به، هو السبب لقدرة الضعيف على القوي وغلبته له.[1]

نجد الهدف الرئيس منها ربط هذه القلوب المؤمنة بالله عز وجل، الذي أرسل الريح والجنود، فهزم الأحزاب وحده، وبذلك تنقطع القلوب من الاعتماد على الأسباب وتتصل برب الأرباب، وحده لا شريك له. "﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا ﴾ قال: ريح الصبا أرسلت على الأحزاب يوم الخندق حتى كفأت قدورهم على أفواهها، ونزعت فساطيطهم حتى أظعنتهم[2]، وقوله: "وجنودا لم تروها قال: يعنى الملائكة ولم تقاتل يومئذ".[3]

التصرير البديع لما أصاب المسليمن من هم بسبب إحاطة الأحزاب بالمدينة قال تعالى: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴾[4]. ﴿ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ أي: شخصت، وقيل: مالت، فلم تلتفت إلى عدوها دهشًا من فرط الهول، ﴿ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ ﴾ أي: زالت عن أماكنها فزعها، والأظهر أنه أراد اضطراب القلب وضرباته، أي لشدة اضطرابه بلغ الحنجرة...[5]، ﴿ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴾ قال: ظنون مختلفة، ظن المنافقون أن محمدًا وأصحابه يستأصلون، وأيقن المؤمنون أن ما وعدهم الله ورسوله حق أنه يظهر على الدين كله[6].

---

1 الشنقيطي،"أضواء البيان" لبنان،دار الفكر للطباعة والنشر، (1415 هـ - 1995م)، ج3 ص51.

2 الظعن: السفر والارتحال، ظعن، يظعن ظعنا سافر وارتحل، ظعن القوم قاصدين ديارهم بعد أن هجروها زمنا. ظعن به: سيّره للارتحال. الظعان: الحبل يشد به الهودج. انظر: "المحيط مجمع اللغة العربية" مرجع سابق، 830/2.

3الطبري، "جامع البيان" مرجع سابق، 264/10. السيوطي، جلال الدين، مرجع سابق، والسيوطي، "الدرر المنثور في التفسير بالمأثور" بيروت، - لبنان، دار المعرفة بيروت د.ت. 185/5.

4سورة الأحزاب، الآية:10

5 القرطبي، "جامع لأحكام القرآن" مرجع سابق، 95/14.

6 الطبري، "جامع البيان" مرجع سابق، 267/10. السيوطي، "الدرر المنثور في التفسير بالمأثور" مرجع سابق، 87/5.

University of Malaya

وقوله تعالى: ﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾،[1] قال سيد قطب: "إنها صورة الهول الذي روّع المدينة، والكرب الذي شملها، والذي لم ينج منه أحد من أهلها وقد أطبق عليها المشركون من قريش وأعوانهم من يهود بني قريظة[2] من كل جانب، من أعلاها وأسفلها، فلم يختلف الشعور بالكرب والهول من قلب إلى قلب، وإنما الذي اختلف هو استجابة تلك القلوب وظنها بالله، وسلوكها في الشدة، وتصوراتها للقيم والأسباب والنتائج، ومن ثم كان الابتلاء كاملاً والامتحان دقيقًا والتمييز بين المؤمنين حاسمًا لا تردد فيه".[3]

الكشف عن نوايا المنافين السيئة، وأخلاقهم الذميمة، وجبنهم الخالع، ومعاذيرهم الباطلة ونقضهم للعهود قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾.[4]

حض المؤمنين في كل زمان ومكان على التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وجهاده وكل أحواله استجابة لقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾.[5]

وقد تقرر في الأصول أن الخطاب الخاص به صلى الله عليه وسلم يعم حكمه جميع الأمة إلا بدليل على الخصوص كما عقده في مراقي السعود بقوله:

وما به قد خوطب النبي ... تعميمه في المذهب السني

وهو مذهب الأئمة الثلاثة، خلافا للشافعي القائل بخصوصه به صلى الله عليه وسلم إلا بدليل على العموم، كما بيناه في غير هذا الموضع.

وإذا عرفت ذلك فاعلم: أن أزواج النبي مفروض لهن ومدخول بهن، وقد يفهم من موضع آخر أن المتعة لخصوص المطلقة قبل الدخول، وفرض الصداق معا؛ لأن المطلقة بعد الدخول تستحق الصداق، والمطلقة قبل الدخول وبعد فرض الصداق تستحق نصف الصداق. والمطلقة قبلهما لا

---

1 سورة الأحزاب، الآية:11.

2 بني قريظة: أحد القبائل اليهودية الثلاث الكبرى في المدينة المنورة (يثرب) تقع إلى الجنوب الغربي من الواحة، وأصل تلك القبيلة أن قريظة وهذيلا وعمرا كانوا أولاد الخزرج بن الصريح مارست زراعة النخيل والحبوب في المدينة. انظر: الشيخ، محمد عناني، "دائرة المعارف الإسلامية، مركز الشارقة" ط1، (1998) 26/8292-8294

3 السيد قطب، "في الظلال" مرجع سابق، 2937/5

4 سورة الأحزاب، الآية:12

5 سورة الأحزاب، الآية: 21.

University of Malaya

تستحق شيئا، فالمتعة لها خاصة لجبر كسرها وذلك في قوله تعالى: لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن، ثم قال: وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم، فهذه الآية ظاهرة في هذا التفصيل، ووجهه ظاهر معقول.

وقد ذكر تعالى في موضع آخر ما يدل على الأمر بالمتعة للمطلقة قبل الدخول وإن كان مفروضا لها، وذلك في قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا؛ لأن ظاهر عمومها يشمل المفروض لها الصداق وغيرها، وبكل واحدة من الآيات الثلاث أخذ جماعة من العلماء، والأحوط الأخذ بالعموم، وقد تقرر في الأصول أن النص الدال على الأمر مقدم على الدال على الإباحة.[1]

مدح المؤمنين على مواقفهم النبيلة وهم يواجهون جيوش الأحزاب بإيمان صادق، وفاء بعهد الله تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾[2].

بيان سنة من سنن الله التي لا تتخلف وهي جعل العاقبة للمؤمنين والهزيمة لأعدائهم، قال تعالى: ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾[3]. امتنانه سبحانه على عباده المرمنين حيث نصرهم على بني قريظة، وهم في حصونهم المنيعة بدون قتال يذكر حيث ألقى الله سبحانه الرعب في قلوبهم، فنزلوا على حكم الله ورسوله"[4].

قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾[5].

---

1 الشنقيطي،"أضواء البيان" مرجع سابق، ج1، ص151.

2 سورة الأحزاب، الآية: 23.

3سورة الأحزاب، الآية: 25

4 آل عابد، أبوبكر محمد بن بكر، "حديث القرآن الكريم عن غزوة الرسول – صلى الله عليه وسلم" بيروت – لبنان، دار الغرب الإسلامي،ط1، 1/490-491.

5 سورة الأحزاب، الآية: 26- 27

University of Malaya

وتركنا بسط قصة الذين سلطوا عليهم في المرتين، لأنها أخبار إسرائيلية، وهي مشهورة في كتب التفسير والتاريخ. والعلم عند الله تعالى. قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴾. في قوله: ﴿ حَصِيرًا ﴾ في هذه الآية الكريمة وجهان من التفسير معروفان عند العلماء، كل منهما يشهد لمعناه قرآن. وقد قدمنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك: أن الآية قد يكون فيها وجهان أو أوجه، وكلها صحيح ويشهد له قرآن ؛ فنورد جميع ذلك لأنه كله حق:

الأول: أن الحصير: المحبس والسجن، من الحصر وهو الحبس. قال الجوهري: يقال حصره يحصره حصرا: ضيق عليه، وأحاط به. وهذا الوجه يدل له قوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾، ونحو ذلك من الآيات.

الوجه الثاني: أن معنى حصيرا: أي: فراشًا ومهادًا، من الحصير الذي يفرش: لأن العرب تسمي البساط الصغير حصيرا. قال الثعلبي: وهو وجه حسن. ويدل لهذا الوجه قوله تعالى: لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش الآية، ونحو ذلك من الآيات. والمهاد: الفراش.[1]

واشتدت الحال بالمسلمين واستمر الحصار مدة شهر وصاحب هذا الحصار ضيق على فقراء المدينة، والذي زاد الشدة عليهم ما بلغهم من أن يهود بني قريظة الذين يسكنونهم في المدينة قد انتهزوا الفرصة لنقض العهود، والانقضاض على المدينة ونهب ما فيها.[2]

1 الشنقيطي، :"أضواء البيان" مرجع سابق، ج3، ص17.

2 الخضري، "نور اليقين" مرجع سابق، ص 123.

University of Malaya

المبحث الثالث: نماذج يقتدى بها فى حياة سلف الصالح رحمهم الله

تكاد تكون المحنة والفتنة والطاعة من الظواهر الملازمة للحركة الإسلامية قديمًا وحديثًا؛ فالإسلام دعوة على تلك المظاهر بكل صورها وأشكالها.

وهذه الخاصية التي يمتاز بها الإسلام، جعلت الحركة الإسلامية أكثر تعرضًا للمحن، وبالتالي جعلت المحنة لديها ذات مفهوم خاص لا يشاركها فيه سواها من الحركات الحزبية والسياسية.

وفي هذا المبحث يقوم الباحث باستعراض نماذج من حياة السلف الصالح يمكن الاقتداء بها للتعامل مع الفتن والمحن في زمن الملاهي والزواهي وغيرها من الأوقات العصيبة التي يمر بها الإنسان بشكل عام، إذ أنها تساعد ذوي المقصدة الخاصة الثبات على الإيمان.

أ – في المحن:

محنة سعيد بن الجبير:

المحنة في عصر التابعين: ويأتي عصر التابعين ويطالعنا التاريخ بألوان شتى من أنواء محن... ففي عام 75 هـ يتولى الحجاج بن يوسف الحكم في العراق، ويشهد هذا البلد الإسلامي في عهده أيامًا سوداء. ومن سنة الله في خلقه أنه يهيء للطغاة رجالاً لا يهابون الطغيان، يصنعهم على عينه، ويهبهم الجرأة فيه، وكان سعيد بن جبير أحد هؤلاء الذين خلصوا من حظ أنفسهم، "حدثني إسماعيل بن واسط قال دعاني خالد بن عبد الله القسري، وهو يومئذ أمير على مكة، فقال يا ابن واسط، انطلق بهذا الرجل إلى الحجاج بن يوسف فإن عبد الملك بن مروان بعث إلي أن أبعث به إليه، قال: خرج إلي سعيد بن جبير، وهو أحسن الناس وجهًا، وأفصحهم لسانًا وفرة وطي شحمة أذنيه، لم أر في مثل هيئته وتشميره أحدًا من أهل زماننا، قال: فأخذته ووثقته في الحديد، قال: وانطلقت به حتى نزلت ماء لبني أسد، فقال: يا ابن واسط، بهذا الماء جماعة من قومي، فإن رأيت أن تطلق عني هذا الحديد فعلت، فأخذته فأطلقت عنه حديده، فانطلق، فقال: لك الله علي أن أرجع إليك، فانطلق فجعلت أدعو الله، أقول: اللهم لا يرجع إلي، ويحك يا نفس تذهبين بخير الناس إلى أشر الناس، فوالله ما لبث إلا قليلاً حتى عاد فتركته مطلقًا من حديده حتى دنونا قريبًا من واسط، فلما نظر إلى الخضراء، قال: يا ابن واسط ما هذه الخضراء؟ قال: قلت: قبة الحجاج، فاسترجع، وقال: ما أظن الموت إلا قد أتى، قلت: أو يدفع الله، قال: فأدخلته على الحجاج، وقد أوثقته قبل ذلك بالحديد، فلما نظر إليه الحجاج استوى جالسًا، وكان متكئًا، وقال: أي عدو الله! خرجت علينا مع عبد

الرحمن بن الأشعث؟ قال سعيد: ما فعلت، ولكن أتيت بيت الله الحرام الذي من دخله كان آمنًا، فأخذت وأنا متعلق بأستار الكعبة.

قال الحجاج: ما اسمك؟ قال: اسمي سعيد بن جبير. قال: الشقي بن كسير؟ قال سعيد: أمي أعلم باسمي. قال الحجاج: شقيت وشقيت أمك، قال سعيد: الغيب يعلمه غيرك، قال الحجاج: لأوردنك حياض الموت، قال سعيد: أصابت أمي اسمي حقًا، قال الحجاج: لأبدلنك بالدنيا نارًا تلظَّى، قال سعيد: لو علمتُ أن ذلك بيدك لاتخذتك إلهًا لا إله إلا الله.

قال الحجاج: يا سعيد ما علمك بمحمد صلى الله عليه وسلم؟ قال: نبي ختم الله به الرسل، وصدق به الوحي، إمام الهدى، ونبي الرحمة، صلى الله عليه وسلم وعلى أهل بيته.

قال الحجاج: يا سعيد ما قولك في الخلفاء؟ قال سعيد إنما استحفظت أمر بني وخيرهم أرضاهم لخالقه، قال الحجاج: يا سعيد أي رجل أنا؟ قال: سعيد يا حجاج يوم القيامة يختبر أي رجل أنت، إذا وقفت بين يديه تبارك وتعالى، ثم سئلت عن عملك. قال الحجاج: فأي رجل أنت؟ قال سعيد: فأنا أهون على الله من أن أطلع على غيبه، قال الحجاج: يا سعيد مالك لم تضحك قط؟ قال: وكيف يضحك رجل مخلوق من طين، والطين تأكله النار، ولا يدري إلى ما يصير إلى جنة أو إلى نار؟ فإن كان مصيره إلى الجنة فقد فاز، وإن كان مصيره إلى النار فقد خسر خسرانًا مبينًا، ثم هو يوم القيامة يحاسب.

قال الحجاج: يا سعيد أما رأيت لهوًا قط؟ قال سعيد: ما أعلمه، فدعا الحجاج بالعود والناي فضرب بين يديه بهما، فلما سمع الناي بكى بكاء شديدًا، ثم قال: يا حجاج، والله لا شبع بطني أبدًا ما بقيت، ولا أزال هكذا لما رأيت في مجلسك هذا، أما هذه النافخة فذكرتني قول الله عز وجل: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴾، وأما هذه الأوتار فقطعت من نفس، ثم هي يوم القيامة تبعث معك، وأما هذه الخشبة فنبات أرض قطعت من غير الحق، ذكرتني يا حجاج بكاء طويلاً.

قال الحجاج: يا سعيد ما قولك في علي بن أبي طالب، أفي الجنة هو أم في النار، قال سعيد: لو أدخلت الجنة وفيها أهلها، والنار وفيها أهلها، لعلمت يا حجاج فما سؤالك عن علم الغيب، يا حجاج وقد حجب عنك، وقد امتحن الله قلبه بالإيمان، قال الحجاج: الويل لك مني يا سعيد، قال سعيد: الويل لمن أبعد عن الجنة وأدخل النار، قال الحجاج: إني قاتلك، قال سعيد: إذًا أخاصمك، قال الحجاج: أخصمك، قال سعيد: هيهات يا حجاج القضاء يومئذ إلى غيرك، قد فرغ الله من وكتب أجلي ومنقطع أمري، قال: فأمر به للقتل، فقال سعيد: أستودعك هذه الشهادة

يا حجاج، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، أستودعك هذه الشهادة حتى ألقاك فأخاصمك بين يدي الله، فأمر به الحجاج إلى القتل، فجعل يضحك، قالوا: أصلح الله الأمير قد ضحك، قال: ردوه ما أضحكك يا سعيد؟ قال: يا حجاج ضحكت من العجب، قال: وما ذلك العجب؟ قال: عجبت من تجرئك على الله وحلمه عنك، فإن تكن عافية فمن الله وإياه أسأل تمام العافية، وأما أنت يا حجاج فلا براءة لك، ولا عذر لو طالت حياتي لكان مصيري يومًا إلى الفناء، فاذكر يا حجاج يوم الأبد والدهر الفاني الذي لا ينجو منه أحد سالما، قال: فأمر به ليقتل قال سعيد: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، قال الحجاج: حولوا وجهه عن القبلة، قال سعيد: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾، قال الحجاج: يا غلام قم إليه فاضرب به الأرض ضربة، ثم اعل على صدره لتذبحه، فلما وضع السيف على حلقه، قال سعيد: بسم الله وبالله وعلى ملة الله وملة رسوله".[1] وعاش الحجاج بعده خمس عشرة ليلة ثم مات.

وهذا يدل على أن الفتن والبلاء نهلت على الدعاة والصالحين قبل عصرنا هذا، ومع ذلك لم ينحرفوا عن الله عز وجل، وعن المهمة التي خُلقوا من أجلها، وما زادهم إلا إيمانا وتسليماً.

محنة سعيد بن المسيب:

حدثنا داود بن يحيى عن عبد العزيز بن يحيى عن طالب بن عبيد الله قال: حضرت سعيد بن المسيب في خلافة عبد الملك بن مروان، وقد كتب إليه: من عبد الملك أمير المؤمنين إلى سعيد بن المسيب أخي الخاص دون الناس، إن الناس قد دعوا إلى بيعة ابن أخيك، فإن رأيت أن تدخل فيما دخل الناس فيه فيما يرجو فيه الاستقامة وإصلاح ذات البين أو حدث بأمير المؤمنين حدث أن يكون على الناس خلفًا مكانه، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((من مات في عنقه بيعة فميتته ميتة جاهلية)).[2]

قال غالب: فدفع الكتاب منه في المسجد وبعث إليه به صاحب المدينة، فلما قرأه قال: كذب والله الذي لا إله إلا هو، ما هو بأخي الخاص دون الناس، وإنه اليوم لعدوي دون البشر،

---

1 أبو العرب، محمد بن أحمد بن تميم التميمي المغربي الإفريقي، "المحن" الرياض – المملكة العربية السعودية، دار العلوم، ط:1، (1404هـ - 1984م)، ص 232- 135.

2 مسلم بن الحجاج، "الصحيح"كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر، رقم الحديث: رقم (1851) ج 3، 1478.

أليس هو الذي بعث الحجاج إلى البيت فنصب عليه المنجنيق وأحرقه بالنار؟ ولم تحل مكة لأحد من الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعاني إلى أن أبايع ابنه يريد أن يجعلها هرقلية إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن نبايع لخليفتين، وإنما السنة في هذه الأمة أن تختار أرضى من نقدر عليه في هذه الأمة، فنبايع على الكتاب والسنة، فإن كنت تريد أن نبايع ابنك فاخلعها من عنقك، واعتزل هذا الأمر، فإن ههنا والله من هو أولى بها منك ومن ابنك، ههنا عبد الله بن عمر، وعبد الله بن جعفر ذو الجناحين، وأبناء المهاجرين، قال: فلما قدم الكتاب على عبد الملك، وقرأه اشتد عليه، وقال: هذا يفسد علي أهل الحجاز والناس، فكتب إليه كتابًا آخر، يقول فيه: أن معاوية بن أبي سفيان قدوة لأنه ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكاتبه، وهو من الصحابة، قد بايع لابنه، فلما قرأ سعيد الكتاب، قال: كذب والله ما معاوية بقدوة في هذا، وكفى بمعاوية ابنه، وما أحدث في الإسلام قتلة أهل الحرة، وأباح المدينة ثمانية أيام، لا أبايعه والله، قال: فكتب به صاحب المدينة، قال: فاشتد على عبد الملك، فكتب إلى صاحب المدينة: أن اجمع أبناء المهاجرين والأنصار على بابك فارض منه أن يسلم عليك، ولا تحبسه فإن الناس إذا نظروا إليك وقد دخل قالوا: قد بايع سعيد بن المسيب فسارعوا إلى البيعة، وإن هو أبى فأخرجه إلى باب المسجد فألبسه ثيابًا من شعر واضربه مائة سوط، واحلق رأسه ولحيته، فبعث إليه الوالي رسولاً وهو في المسجد، قال غالب: وأنا عنده قد لزمته سنين، وقد كان آخر زمانه كف عن الحديث، فقال له الرسول: أجب الأمير فإنه أراد أن يسألك عن مسألة، فقال: فبعث ابن عم له فقال: اذهب إلى دار الإمارة وانظر ما حال الناس، قال: فجاء ابن عمه فوقف على الباب، فإذا أبناء المهاجرين والأنصار قد وقفوا على الباب، فأعلمه بجماعتهم، فقال: كذب والله ابن مروان أيريد أن أدخل فيبتدئ بي من بالباب، فأعلم الرسول الوالي فبسط على باب المسجد، وأمر بسعيد بن المسيب فجرده وألبسه ثيابًا من الشعر، فقال له: ويحك إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إن ظهر المؤمن حمى لا يحل أن يجرد إلا في أربعة أشياء: أما في زنا، أو قذف، أو خمر، أو دم)). فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا، فيقتص منك بكل سوط سوطًا من نار لو أن سوطًا منها وضع على الدنيا لذابت، فضربه يومئذ مائة سوط، ثم حلق رأسه ولحيته، ثم أوقفه على كر من تلك الكرار التي يباع فيها القمح بالمدينة من بكرة إلى الليل".[1]

1 أبو العرب، الإفريقي، "المحن" مرجع سابق، ج/1، ص 107-310.

University of Malaya

محنة طَاوُوس بْنُ كَيْسَانَ الْيَمَانِيُّ:

قال أبو العرب حدثني عبد الله بن الوليد قال حدثني رجل من أهل العلم عن سعيد بن السري عن أبي البختري عن عبد الملك بن جريح قال لما ولي محمد بن يوسف اليمن قال من أفضل من بها عندكم قالوا طاووس بن كيسان فأرسل إليه فقال إني أريد أن أستعملك على هذه الصدقات التي تجبى قال ما أدخل في شيء من أمور الناس قال فأخرجوا عهده إلى صاحب الشرطة فإن قبله وإلا فليجلده مائة سوط ويحلق رأسه ولحيته ويحمله في محمل ليس تحته وطاء حتى يجاوز به العمل كله قال إفعل ما بدى لك فلما أخرج إلى صاحب الشرطة أتى زيد بن أسلم ومحمد بن المنكدر في جماعة من إخوانه فقالوا له ما الذي تصنع فوالله لئن ضربك فمت من الضرب لا يصلي عليك منا أحد وما دعاك إلا إلى خير فقال أما إذ رأيتم لي في ذلك فقد قبلت فقبض على عهده وخرج فكان فيما كان فيه ثم قدم فقال ابن يوسف أين جبايتك فقد بلغني أنه وصل إليك مال عظيم قال ذهب في وجوهه قال ومن أمرك بذلك قال الله ورسوله قال كم بقي معك قال ثلاثين دينارا لم أجد لها موضعا أرضاه فقال ابن يوسف لئن لم تحضرني بالمال كله غدوة لأرفعن خشبتك فخرج فلما كان من الغد دخل عليه فقال ماذا أحضرت من المال قال قد أخبرتك أن المال ذهب في وجوهه قال وكم ذكرت أنه بقي معك قال ثلاثون دينارا لم أجد لها موضعا أرضاه فأنفذها فيه فأمر به فأخرج ثم عاوده وكان من آثر الناس عنده، وبلغني عن زكريا بن عدي عن عبد الرزاق عن النعمان بن المنذر قال كان محمد بن يوسف بعث طاووس على الصدقة قال وكان طاووس يأتي إلى أهل الأموال فيقول لهم تصدقوا مما آتاكم الله فإذا أخذ الصدقة قال هل فيكم فقير فإذا قالوا نعم قسمها بينهم قال فرجع ولم يأت بشيء فقيل لمحمد بن يوسف أن طاووس لم يورد من الصدقة شيئا فأرسل إليه فسأله فقال أخذتها من الأغنياء ووضعتها في الفقراء فحبسه في الحبس وكتب إلى الحجاج بخبره فكتب إليه الحجاج أخرجه من السجن وارجع إلى أهل الصدقة فخذها منهم ".[1]

كل ما صبر الإنسان بالبلاء والمحن يأتيه الفرج والنصر من الله تبارك وتعالى من حيث لا يحتسب، لذلك على الداعية الصبر، والثبات على الحق، والاستمرار في مهمته الدعوية.

1 أبو العرب، "المحن" مرجع سابق، ج/1ص365.

University of Malaya

محنة الإمام مالك بن أنس:

حدثنا عبيد الله بن عبد الملك عن أبيه وبعضهما يزيد على بعض عن مطرف بن عبد الله وغيره من أصحاب مالك أن هيجاء هاجت بالمدينة في زمان أبي جعفر فبعث إليها أبو جعفر ابن عمه جعفر ابن سليمان العباسي ليسكن هيجاءها ويجدد بيعة أهلها فقدمها وهو يتوقد على أهل الخلاف لأبي جعفر فأظهر الغلظة والشدة وسطا على كل من ألحد في سلطانهم وأخذ الناس بالبيعة ومالك بن أنس بالبيعة ومالك بن أنس يومئذ سيد أهل زمانه ولم يزل صغيرا وكبيرا محسودا وكذلك من عظمت نعمة الله عليه في علمه أو عقله أونبله أو ورعه فكيف بمن جمع الله تبارك وتعالى ذلك له فيه ولم يزل مالك منذ نشأ يسلب النباهة والرئاسة من كان قد سبقه إليها بظهور نعمة الله عليه وسموها به على كل سام قبله من أهل بلده فاشتد لذلك الحسد له وألجأهم ذلك في البغي فدسوا إلى جعفر من قال له إن مالكا يفتي الناس أن أيمان البيعة لا تلزمهم لمخالفتك واستكراهك إياهم عليها فدس عليه جعفر بعض من لم يكن مالك أن يخشى أن يؤتى من قبله ومن مأمنه يؤتى الحذر فسأله عن ذلك سرا فأفتاه بذلك طمأنينة إليه وحسبة منه فلم ينشب مالك أن جاء فيه رسول جعفر بن سليمان فأتي به منتهك الحرمة مذال الهيبة فأمر به جعفر بن سليمان فضربه سبعين سوطا فلما سكن الهيج وتمت البيعة بلغ أبا جعفر ضرب مالك فكره ذلك ولم يرضه فبعث إلى مالك يستقدمه على نفسه بالعراق فأبى من ذلك وكتب إليه يستعفيه ويعتذر ببعض العذر ثم كتب إليه أبو جعفر أن وافني بالموسم فإني حاج العام إن شاء الله فحج مالك ثم وافاه بمنى أيام منى....

قال فأخبرني مطرف وغيره قال قال لي مالك لما وقفت بسرادقاته أذنت بنفسي فأذن لي ثم خرج إلي آذنه فأدخلني فقلت للآذن إذا انتهيت إلى القبة التي هو فيها فأعلمني فمر بي من سرادق إلى سرادق ومن قبة تفضي إلى أخرى في كلها أصناف من الرجال حتى قال لي هو في تلك القبة فانتهيت إليه فإذا هو قد نزل عن مجلسه الذي يكون فيه إلى البساط الذي دونه وإذا هو في ثياب حصرة لا تشبه ثياب مثله تواضعا لدخولي عليه وليس معه إلا قائم بسيف صلت فقرب ورحب وقال لي ههنا حتى أجلسني إليه ولصقت ركبتي ركبته ثم قال أول ما تكلم به أن قال ما أمرت بالذي كان ولا رضيته وإنه بلغني يعني الضرب قال مالك فحمدت الله تعالى على كل حال ونزهته من ذلك والرضى به ثم فاتحني فيمن مضى من العلماء والسلف فوجدته من أعلم الناس بالناس ثم فاتحني في العلم فوجدته عالما بما اجتمع عليه وما اختلف فيه ثم قال لي ضع هذا العلم ودون به كتبا وتجنب شدائد عبد الله بن عمرو ورخص عبد الله بن عباس وشواذ ابن مسعود واقصد إلى أوسط الأمور لتحمل الناس على كتبك وعلمك قال مالك فقلت له إن أهل العراق لا يرضون علمنا ولا يحتملون

رأينا قال يحملون عليه ويضرب هامهم فيه عرض الحائط فعجل بذلك فسيأتيك ابني المهدي لقابل إن شاء الله فليجدك وقد فرغت من ذلك.

قال محمد بن أحمد بن تميم بقية هذا الحديث في الجزء الثاني من فضائل مالك التي ألفتها تركت ذلك لأنه يخرج من المعنى الذي ألفنا له هذا الكتاب.[1]

وحدثني يحيى بن حمود أن سحنونا أخبرهم أن كتفي مالك انخلعتا من الضرب الذي كان ضرب.

وحدثني عمر بن يوسف قال أخبرنا محمد بن وضاح قال ضرب مالك فكان يتكئ على معن بن عيسى لأنه انخلعت كتفاه إذ ضرب وكان يقال لمعن عصية مالك لطول مكثه معه.

وحدثني فرات بن محمد قال حدثنا موسى بن معاوية والحارث بن مسكين عن ابن القاسم قال سئل مالك عن أيمان البيعة فقال إذا أكرهت عليها وتخوفت إن لم تحلف بها أن تقتل أو تعاقب فحلفت فلا شيء عليك فيها قال ابن القاسم ولقد ضرب مالك في هذه المسألة مائة سوط دس إليه من سأله فضرب مائة سوط.

وحدثني محمد بن عمرو عن الربيع بن سليمان الجندي عن الحارث بن مسكين وحدثنا أيضا محمد بن بسطام عن الربيع بن سليمان الجندي عن أصبغ وأبي زيد والحارث بن مسكين عن ابن القاسم مثله وربما كان في حديث أحدهما زيادة الكلمة أو تبديلها والمعنى واحد.

حدثنا أحمد بن يزيد عن داود يعني ابن يحيى عن أبي عثمان قال سألت ابن كنانة في أي شيء ضرب مالك قال في أيمان السلطان أنها لا تلزم في دفع الأعمال على الصدقات.

وحدثني سعيد بن شعبان قال حدثنا أبو خالد مالك بن علي القرشي قال أخبرني حاتم بن سليمان عن ابن كنانة قال لما قدم أبو جعفر المدينة فأرسل فيه فاغتسل مالك وظن أنه القتل وأسلمه يومئذ جميع أصحابه غيري فإني صبرت معه فقال لي يا ابن كنانة انصرف عني إلى بيتك فاربح العافية قال فقلت له يا أبا عبد الله ما كنت لأوثر نفسي عليك ولا أرغب بها عنك أرضى أن يصيبني ما أصابك قال فشكر ثم اتبعته فدخلنا على أبي جعفر فاعتذر إلى مالك مما كان ولم يراه خيرا قال فما نسي لي ذلك حتى فارق الدنيا.

وحدثني يحيى بن عبد العزيز قال حدثني بقي بن مخلد عن أبي بكر عبد الله بن جعفر قال لما ضرب مالك بن أنس ضربه وال كان بالمدينة لجعفر بن سليمان الهاشمي فعتب جعفر بن سليمان على واليه الذي ضرب مالكا في بعض أموره فضربه وحلق رأسه ولحيته فقيل لمالك بن أنس إن جعفر

1أبو العرب، "المحن" مرجع سابق، ج/1 ص334.

University of Malaya

بن سليمان قد ضرب فلانا وحلق رأسه ولحيته وأقامه للناس فقال مالك وما تريدون به أترون أن حظنا مما نزل به النظر إليه والشماتة به إنا نؤمل من ثواب الله ما هو أعظم من ذلك ونؤمل له من عذاب الله ما هو أشد من ذلك.[1]

وحدثني يحيى أيضا عن نقي بن دينار وذكره أبو عبد الله الشافعي ولم أحفظه قال ولما ولي فلان المدينة أتاه قوم لهم أنساب وشرف فقالوا له إن مالكا يقع في أئمتنا ويضع منا ويميل إلى عمر بن الخطاب وإلى ابنه ولا يرى أن يحدث عن جعفر بن محمد حديثا قال فقال لهم ما تريدون قالوا نريد أن نضربه بالسياط قال إن مالك بن أنس لا يقدم على مثله فهل عندكم شهادة عليه بشيء نضربه عليه فلم يجدوا ذلك قال فأتي بالموطإ فرأى في الموطإ حديثا كثيرا عن جعفر بن محمد فقال ألم تحدثوني أنه لا يحدث عن جعفر بن محمد حديثا هذا موطأه يكثر فيه الحديث عن جعفر بن محمد قالوا والله ما نرضى منك إلا بضربه قال فعندكم شيء مما يكون للسلطان منه سبب فنظروا إلى حديث ثابت الأحنف أنه تزوج أم ولد عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وابنه غائب قال فقدم فأخبر بذلك فأعد له سياطا وعبدين وقيد من حديد وقال لا أبرح أضربك حتى تطلقها فقال هي الطلاق ألفا قال فتركني قال فأحضر مالك فقيل له هذا حديثك قال نعم وتفتي به قال نعم قال وأنت لا ترى بيعة أمير المؤمنين بيعة قال له مالك أفتقول إن أمير المؤمنين يكره الناس على بيعته قال فضربه ضربا شديدا أذهب ضبعه عن يمينه وفتقه فكانت تخرج منه الريح فلم يشهد جمعة ولا جماعة سبع سنين

قال وقال مالك ما كان يوم ضربت أشد علي من شعر في صدري وكان إزاري مخرقا قد بدى منه فخذي قال فجعلت على نفسي أن استجد الإزار ولا أدع على شعره.

قال ابن دينار ومصعب كان بالمدينة رجل مسن وكان يقدم على العمري في فضله وصدقه قال فقيل له ألا تعظ مالكا في تركه الجمعة والجماعة قال فأتاه فقال له يا أبا عبد الله نصيحة قال ماهي وما نصيحتك قال هي لله تبارك وتعالى ولا تغضب قال فقال يا ابن أخي وما دعاك إلى أن تغضبني قال هي نصيحة لله قال هلمها قال فقال له يا أبا عبد الله مالك لا تشهد جمعة ولا جماعة وقد عرفت فضل الجماعة والصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وما بالك لا تعود مرضى إخوانك ولا تشهد جنائزهم وما بالك إذا دعاك السلطان أسرعت إليه قال فقال لي مالك كان عندي فيك نقص وقد تبين لي ذلك أما قولك لا أشهد جمعة ولا جماعة فوالله ما على الأرض موضع أحب إلي من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن بلغني أن الناس يتأذون بي وأما

1 أبو العرب، "المحن" ج/1 ص336

University of Malaya

قولك إني لا أعود مرضى إخواني فقد علم الثقات من إخواني ما لهم عندي وقد علموا أزماتي وضعفي وعذري فعذروني وأما سواهم من الناس فلا أبالي وأما قولك إذا دعاني السلطان أسرعت فهذا ما نزل بظهري وايم الله لولا أني أجيئهم إذا دعيت ما رأيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا البلد سنة تذكر".[1]

وهذا مالك بن أنس، إمام جبل حجة ثقة المسلمين، عابد حافظ الناجح. مع ذلك ابتلاه الله تبارك وتعالى، وثبت على الحق، وصبر، ولم يتخلى عن أداء مهمته الدعوية.

محنة الإمام أحمد بن حنبل:

فإن أبا عمران موسى بن الحسن البغدادي حدثني قال حضرت أمر أحمد بن حنبل وقد حمل إليه وكان ببلاد الروم فقدم طرسوس فكتب المأمون إلى عامله بطرسوس ووجه إليه بكتاب فقال اقرأه عليه فإن أقر بما فيه وإلا اقطع يديه ورجليه فقرأ عليه الكتاب فقال له أحمد القرآن كلام الله وكلام الله غير مخلوق فأراد العامل إنفاذ أمر المأمون فقام رجلان من أهل الدين والفضل دون أحمد يقال لهما محمد وإسحاق ابنا الطباع وقام معهما عالم من الناس فمنعوه منه وسلم أحمد إلى أيام المعتصم.

قال أبو عمران: وأنا حاضر بباب الخلافة إذ حضر أحمد وأمر الجلادين فعلقوه بين السماء والأرض ووقف له ستين جلادا ثلاثين ناحية وثلاثين ناحية فقام إليه المعتصم فقال ويحك يا أحمد إني أسأل الله أن لا يبتليني بك ما تقول في القرآن فقال له يا أمير المؤمنين ما أعرف الكلام إنما طلبت أمر ديني وصلاتي وأعلم الناس فقال له ما تقول في القرآن قال القرآن كلام الله وكلام الله غير مخلوق فأمر به فضرب ثم سأله فأعاد قوله الأول كلام الله فأمر فأعادوا عليه الضرب ثم قام إليه فناشده الله في نفسه وأمر بمسورتين فوضعتا تحت رجليه فكان معلقا بين السماء والأرض ثم سأله المعتصم عن القرآن فقال له كلام الله وكلام الله غير مخلوق فقال له رجل من الجلادين يا أمير المؤمنين إن أردت ضربته سوطين أقتله فيهما فضربه سوطين شق منهما خصريه وسالت أمعاؤه فأمر به فأخرج من الحديد وشد بثوب تام وصاح الناس والعامة وخرج الجلادون فقالوا مات أحمد وذكروا للعامة أنهم أخرجوا من رجليه الحديد وهو على وجهه ثم خرج أبو إسحاق عدو الله من القصر وابن أبي دؤاد الزنديق في موكب عظيم فحالت العامة بين أبي إسحاق وبين الجسر حتى خاف على نفسه وأسمعوه ما يكره وقالوا له قتلتم أحمد فقال لهم هذا أحمد في الحياة.

1مرجع سابق، ج/1، ص338.

University of Malaya

قال أبو عمران فأتت رسل أهل خراسان بريشة سوداء وريشة حمراء وريشة بيضاء وكتب عامل خراسان يا أمير المؤمنين الريشة الحمراء دم والريشة البيضاء يخرجوا عليك والريشة السوداء الطاعة وكتب عامل اليمن الله الله يا أمير المؤمنين في أحمد بن حنبل فإن البلاد قد خرجت عن يديك فخلى عنه.

قال أبو عمران فأخبرت أن بعض الناس رأى كأن جبريل عليه السلام وكان الناس يقولون يقتل أحمد بن حنبل فقال جبريل فإن يكفر بها هؤلاء وأشار إلى ابن أبي دؤاد وأصحابه ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ وأشار إلى أحمد وأصحابه.

قال أبو عمران وأرسل محمد بن سليمان ألف دينار فأبى أن يقبلها، وأرسل إليه من خراسان بجوهر فمضى إليه به محمد بن سليمان فأبى أن يقبله.

وحدثني بكر بن أحمد بن عبيديس قال: كنت مع أحمد بن حنبل في سجن بغداد.[1]

وحدثني أبو بكر بن محمد بن الفرج البغدادي قال: رأيت أحمد بن حنبل وقد حمل في محمل أحسبه قال إلى المعتصم.

وحدثني عبد الله بن الوليد قال حدثني محمد بن الحسن قال: لما ضرب ابن حنبل في الامتحان سئل وأنا أسمع فقيل له كيف كان صبرك قال لما قدمت إلى الضرب تهيبته ثم ذكرت بلية أيوب عليه السلام فسهل علي ولم أجد له ما كنت أتخوفه والحمد لله.[2]

وهذا أحمد بن حنبل، الإمام الحجة، ركن الإسلام، ثقة المسلمين، حيث صبر في المحن والابلاء، ولم ينحرف إطلاقا عن الحق والثبات وأداء مهمته الدعوية.

ب– في الفتن

نبذة من فتن سفيان الثوري:

قال أبو العرب: حدثني عبد الله بن الوليد قال: حدثني إبراهيم عن أبيه عن سليمان قال: كان أبو جعفر لما اختفى سفيان إذ بلغه أنه عند رجل فبعث إليه فضربه وحلق رأسه ولحيته، فاجتمعت أنا وأصحابي ثم أتيناه فقلنا له يا أبا عبد الله إن هؤلاء الأشقياء الذين صارت أمور أمة محمد إليهم، فقال: يا سليمان لقد وقع بقلبي أن آتيه وتحرجت أن لا آتيه ثم رأيت أن آتيه قال ثم قام فاغتسل ثم لبس ثوبين غسيلين ثم تناول من طيب له وقال اتبعني يا سليمان واجعل بيني وبينك

1أبو العرب، "المحن" مرجع سابق، ج/1 ص448.

2 المرجع السابق: ج/1 ص452.

University of Malaya

ربوة فإن يكن من الفاسق شيء توليتني وإن يعافني الله فتسأل عن ذلك قال فخرج وخرجت أتلوه حتى انتهى إلى باب السدة وجلست متباعدا أنتظر ما يكون من أمره قال فقال لحجابه يا هؤلاء قوموا فقولوا لهذا هذا سفيان بالباب فابتدروا فما لبث أن أدخلوه ثم خرج على سفيان الثوري وهو مبتسم فأتيت إليه فقال أخبرك لما دخلت عليه ضربت البساط برجلي حتى غبر علي فجلست فقال حاجبه لم تجلس وما أمرك أمير المؤمنين قال فقلت له اسكت يا هامان والبيت ممتليء فقال أشيروا فيه برأيكم فقالوا ترك مثل هذه جرأة اقتله يا أمير المؤمنين قال فتبسمت فقال لهم أبو جعفر: والله ليقولن لكم ما يسؤكم يا أبا عبد الله ما الذي أضحكك فقلت: يا أبا جعفر كان وزراء فرعون لفرعون أنصح من وزرائك لك قال لهم فرعون في أمر موسى عليه السلام ماذا تأمرون ﴿ **قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ** ﴾ وهؤلاء قالوا لك اقتل قال: صدقت يا أبا عبد الله هل من حاجة قلت: ما لي ولك ما تريد مني أتريد أن أجيبك إلى ما تريد والله لا يكون ذلك أبدا فرقت بيني وبين إخواني ومنعتني مسجدي والله حسيبك ومسائلك عما تصنع قال انطلق يا أبا عبد الله في حفظ الله قال محمد ثم إني حسبت أن سفيان الثوري توارى بعد ذلك.

وقد حدثني أحمد بن يزيد عن عبد الله بن محمد العنبري البغدادي قال: قال بعضهم مات سفيان الثوري عند محمد بن القاسم وقال بعضهم: عند حماد بن زيد فغسله ليلا ثم أتى به المقبرة وكتب بطاقة وجعلها على النعش".[1]

هكذا الصالحون عند الفتن، حيث يزداون إيماناً وتسليماً عند الفتن، ويستمرون على الحق والثبات.

1أبو العرب، "المحن" مرجع سابق، ج/1ص 400.

University of Malaya

نبذة من فتن مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي ذِئْبٍ:

قال أبو العرب: "بلغني أن سليمان بن يسار أتي به إلى بعض الخلفاء فأمر بقطع لسانه حتى تكلم فيه عمر بن عبد العزيز.

قال أبو العرب بلغني عن سعيد بن داود قال حدثنا الدراوردي قال: قدم أهل المدينة على أبي جعفر فقال لهم: من بالمدينة اليوم فقيل له: محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب أبو الحارث قال: وما بلغ من أمره؟ قالوا: لا يخاف في الله لومة لائم، أزهد الناس في الدنيا، وأصدقهم لهجة، فكتب أبو جعفر إلى والي المدينة أن يقدمه عليه في رجال من أهل العلم يسألهم عن رجل قد سماه، قال: فأقدم ابن أبي ذئب فلما اجتمعوا عند أبي جعفر قالوا له: يا أمير المؤمنين هذا أبو الحارث بن أبي ذئب فقال له: ما تقول في بني مخزوم يريد قومًا من آل أبي ذئب؟ قال: وما أقول في فراش نار وذبان طمع لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر؟ قال: فما تقول في قومي من قريش؟ قال: أشره الخلق إن أعطوا رضوا وإن منعوا سخطوا. قال: فما تقول في من يريد نفسه؟ قال: تعفني من ذلك، قال: لا أفعل، قال ابن أبي ذئب: إن قلت فيك قولا تعرفه من نفسك أترجع عنه؟ قال: فسكت، ثم قال له: لتقولن في قال ابن أبي ذئب إن قلت فيك ما ليس فيك أتقبله؟ قال: فقال أبو جعفر: لتقولن قال له ابن أبي ذئب ما عرفتك مذ عرفتك على شيء من الحق، قال له أبو جعفر: أحسبك خارجيا، قال: لا بل أنا خير لك من ابنك المهدي، إن أطعتني في وصيتي، قال: فحدثوني أصحابنا قالوا: اتقينا على ثيابنا من دمه ما لم نتوق من قتله، قال: فقال: أخرجوا هذا عني فلما قدم المدينة كتب إلى والي المدينة أحضر علماء المدينة وفاة فلان.

قال أبو العرب يعني الحسن بن زيد: وليكن فيهم ابن أبي ذئب قال: فلما أحضرهم أخرجه إليهم، وقال: لهم هذا فلان بن فلان يعني الحسن بن زيد ليس فيه ضرب ولا أثر فإن مات فموته نفسه، فاشهدوا قال: وأخذ القوم الكتاب ليشهدوا، فقال ابن أبي ذئب: أمسكوا الكتاب ثم كتب هذا ما شهد عليه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب شهد أنه صح عنده أن والي المدينة، أخذ فلانا الفلاني صحيحا فأدخله بيتا وأغلق عليه بابا ولم يطعمه ولم يسقه، فإن مات فهو يقتله قال فكتب بذلك والي المدينة إلى أبي جعفر، فكتب إليه أبو جعفر: إذا أتاك كتابي هذا فاضرب ابن أبي ذئب مائة سوط، فإن مات فاصلبه وإن عاش فانفه من المسجد قال: فجاء الكتاب وندم الوالي فأرسل إلى قومه أن يأمروا ابن أبي ذئب أن يخرج من المدينة وأخبرهم الخبر فأتوه فقالوا له ذلك، فقال: والله لا أفعل ولا أترك حظي من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون، ماذا هل هو إلا أن أقتل قد تمنى عمر بن الخطاب الشهادة وهو بالمدينة، وقال: التمسوا إلي سراويل أو ثيابا، قال: فما أعطاه

أحد سراويل فثبت في المسجد، قال: ودخل بربري يصحب الوالي، فقال له: أي شيء يقول الناس في؟ قال: يزعمون أنك شر خلق الله لا تحسن تحسب ولا تفرق بين عشرة ومائة، قال: وكيف ذلك؟ قال: تضرب خير المسلمين وأرهبهم مائة سوط، فأنت شر خلق الله، قال: فاستضحك من قوله فالتوى عرق في بطنه واشتكى الوالي ومات أبو جعفر قبل أن يبرأ الوالي".[1]

وعلى الداعية الاقتداء بهؤلاء الأئمة الأجلاء في الثبات عند الفتن، فقصصهم هي بمثابة مفتاح الخير لكل داعية ناجح.

نبذة من فتن به عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عمر بن حَفْص بن عَاصِم ابْن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

قال أبو العرب: "حدثني يحيى بن عبد العزيز عن بقي بن مخلد عن أبي حصين وحسن بن يونس عن حجاج بن محمد الأعور وكان مؤدبا لآل سليمان بن مجالد قال: قدم علينا عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب، وكان أمير المؤمنين أقدمه، فلقيه سليمان بن مجالد وهو قد دخل القصر، قال: فسلم، قال: فقال له: ما لي غير هذا الرجل، قال: فقال: ما أرى لك عنده خيرا، فإنه أبلغ ما أبلغ، قال: فما عندك فأشر به علي، قال: ما أرى لك شيئا إلا أن تذكره إدناء عمر بن الخطاب عبد الله بن عباس وتقديمه على غيره قال فدخل فلما رآه عبد الله بن عمر قال نعم يا أمير المؤمنين قال يا عدو الله فعلت ما فعلت قال يا أمير المؤمنين لست بعدو الله ولكني عدو من عادى الله ورسوله يا أمير المؤمنين ليس كما بلغك عني فاذكر إدناء أبي أباك وتقديمه إياه على بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما كان لأبي على أبيك فهو لي عندك من الحق قال فأمر به فضرب له في وسط المطبق خيمة وترك فيها قال فكان يدخل إلى المطبق بعض أولئك التابعين فربما ذكروا الصحابة قال فلما طال ذلك عمد إلى عمود الخباء فأخذه ثم وثب عليهم فكسر أيديهم وأرجلهم قال فحملوا فأدخلوا على أمير المؤمنين فقال من فعل بهم هذا قال مديني في المطبق فقال علي به فأتي به فاستقبله سليمان بن مجالد فسلم عليه وقال له إن كنت نجوت من الأولى فما أحسبك تنجو من هذه قال فقال والله لأصدقنه ثم ليفعل ما شاء قال فلما دخل عليه قال له عبد الله بن عمر قال نعم قال يا عدو الله ما نهتك الأولى عن أخراك قال يا أمير المؤمنين لست بعدو الله ولكني عدو من عادى الله ورسوله اسمع مني يا أمير المؤمنين ما أقول ثم أنتهي إلى ما أحببت من أمري قال تكلم قال يا أمير المؤمنين إني كنت بموضع لوكنت به يا أمير المؤمنين كنت

1أبو العرب "المحن" مرجع سابق، ج/1 ص 407.

University of Malaya

أشد نكرة عليهم مني وأشد تغييرا لما كان منهم إني رأيت هؤلاء يشتمون عمومتك من المهاجرين قال فقال أخرجوه إلى المدينة فأخرجوه إلى المدينة ".[1]

فالسلف الصالح هم أعظم الناس ثباتاً في الفتن، ولا يخشون أحداً إلا الله، ولا ينحرفون عن أصولهم وفروعهم الدينية بسبب الفتن، بل إن تلك الفتن تزيدهم قوة وإيماناً.

نبذة من فتن به الْبُهْلُولِ بْنِ رَاشِدٍ:

وأما سبب ضرب البهلول بن راشد قال عبد الله بن الوليد حدثني جزيري أن البهلول بن راشد كان في زمان محمد بن مقاتل العكي وكان العكي أميرا على إفريقية وكان يلاطفه الطاغية بالألطاف ويكافئه على ذلك فكتب الطاغية إلى العكي أن يبعث إليه قال فاختلف علينا فيما كتب أن يبعث إليه فقال قائل جارية ضاربة مغنية وقال قائل كتب إليه في النحاس والحديد والسلاح فلما عزم العكي على أن يبعث إلى الطاغية لم يسع البهلول السكوت فتكلم وعارض العكي في ذلك ووعظه لتزول عنه الحجة من الله تبارك وتعالى فلما ألح عليه في ذلك بعث في طلب البهلول فضربه بالسياط البهلول السُّكُوت فَتكلم وعارض العكي قال أبو العرب ثم ولي افريقية جدي تمام بن تميمي التميمي فعزل العكي بأسوأ عزلة وهم بقتله حتى هرب منه وذلك يحدث أن ضرب البهلول في رمضان سنة ثلاث وثمانين ومائة ".[2]

وحدثني بعض المشائخ أن العكي قيد البهلول فلما مدت رجلاه للقيد قال البهلول هذا الضرب من البلاء ما سألت الله عز وجل العافية منه قط قال وإن البهلول بقي من أثر ضربه قرحة أصابه طرف السوط لما ضرب فمنها كانت ميتته رحمه الله".[3]

وحدثني سعيد بن محمد بن الحداد أبو عثمان قال حدثني بعض أصحاب البهلول قال لما ضرب البهلول أتاه السجان ليعالج ضربه فوهب له دينارا وأعطى لمن معه دراهما وقال لهم استنفقوها وفعل ذلك ثلاثة أيام كلما دخل عليه أعطاه دينارا فخاف أصحاب بهلول أن يستنفد ما في ملكه قبل أن يبرأ ضربه فلقوا السجان وقالوا قد برئ فلا ترجع إليه ففعل ذلك السجان فلما استبطأه البهلول سأل عنه وقال لأصحابه ما أراكم إلا وقد صرفتموه عني كأنه اتهمهم فقالوا له يا أبا عمر تعطيه كل يوم دينارا قال لهم وما في ذلك كأنه أعلمهم أن ذلك سهلا عليه فقال له حفص بن

---

1 المرجع السابق: ج/1، ص 420.

2أبو العرب، "المحن" مرجع سابق، ج/1، ص 444.

3 المرجع السابق: ج/1، ص 445.

University of Malaya

عمارة سمعت سفيان الثوري يقول إذا كمل صدق الصادق لم يهلك المحن ما في يديه فأقبل البهلول على يد حفص يقبلها وجعل يقول سألتك بالله أنت سمعته يقول هذا فقال له والله لقد سمعت سفيان يقول هذا

قال أبو عثمان حدثني أبو سنان يزيد بن سنان أن محمد بن مقاتل العكي بعد أن ضرب حاجبه بهلولا وأوهم العكي أنه ليس بكبير قال وإنه يقع في سلطانك فبعد أن ضربه عرف بفضله اغتم

قال محمد بن أحمد فسمعت أبي أحمد بن تميم رحمه الله يحدث عن بعض مشائخ افريقية أن العكي وجه إليه يسأله أن يحلله من ضربه فوجه البهلول إليه والله ما ضربتني سوطا فارتفع عني حتى استغفرت لك يا أبا بشر أو كما قال

وقال أبو عثمان سعيد بن محمد حدثني أحمد بن بهلول عن أبي جعفر الكوفي الذي كان يسكن المنستير قال كنا مع بعض الخلفاء في غزاة له وكنا معه من أهل الثغور اثنا عشر ألف فارس وكان يقضي لنا كل يوم حاجتين نكتب بهما إليه في بطاقة يوصلها إليه الحاجب فلما بلغنا أن البهلول بن راشد ضرب بإفريقية أتينا بأسرنا باب الخليفة فقال لنا الحاجب ما لكم فقلنا له قد جعلنا حوائجنا كلها في نصرة البهلول بلغنا أن العكي ضربه بالسياط فقال لنا الحاجب اتقوا الله في دم العكي قَالَ وَإِنَّهُ يَقَعُ فِي سلطانك فَبعد أَن ضربه عرف بفضله اغْتَمَّ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ فَسَمِعْتُ أَبِي أَحْمَدَ بْنَ تَمِيمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ يُحَدِّثُ عَنْ بعض مشائخ افريقية أَن العكي لئن بلغ الخليفة أن العكي ضرب البهلول ليقتله وكيف وكيف يضرب البهلول بإفريقية إلا أن يكون أهل إفريقية قد ارتدوا عن الإسلام ولكن اصبروا فإن صح الخبر رفعتم أمره قال فرجعنا ".[1]

لذلك على الداعية قراءة قصص السلف الصالح، لأن فيها عبر للصالحين، درس للمربين والمعليمن والدعاة فى الثبات على الحق.

1 المرجع السابق: ج/1، ص446.

University of Malaya

ج–فى الطاعات:

نماذج من السلف الصالح في الطاعات[1]:

خبيب بن عدي وثباته في الطاعات أمام فتنة قريش حتى قتل:

جيء بخبيب بن عدي، وصلب على خشبة، وجعلت سهام قريش تخطيه يمنة ويسره، يريدون أن يخاف،

جيء بخبيب بن عدي وصلب على خشبة، وجاءت قريش برجالها ونسائها وسفهائها، وجعلت السهام تتخطاه يمنة ويسره، فقيل له: أيسرك أن محمداً مكانك؟ معناها: دع محمد ينفعك، انظر ما أنت الآن فيه، وهكذا يأتي المرجفون المثبطون إذا وقع أحد الصالحين في نوع من البلاء أو الفتنة، إنسان قد يكون عنده أسهم ربوية، إنسان قد يكون عنده تجاره محرمة، ثم يأتي من ينصحه يقول له: يا أخي! اتق الله! فتنة المال لا تغويك، فتجد هذا الشاب أو هذا الرجل يبرأ إلى الله من الحرام، ويقنع بالحلال فيفاجأ بنوع ابتلاء وامتحان، فتصيبه فاقة وفقر، وقلة ذات اليد، فيأتي المرجفون الذين يتحدثون، دع دينك ينفعك، لو عندك أسهم في البنك، وأنت كل سنة تأخذ أرباحها، وتصرف على نفسك، وتسدد الكهرباء والماء والهاتف، وتصلح جميع هذه الأمور من هذه الأسهم، لكن دع هذا الذي ينصحك ينفعك الآن.[2]

جاءت قريش تقول لخبيب: هل يسرك أن محمداً مكانك؟ يختبرونه وفي نفس الوقت يعرضون بالنبي أمامه، فأخذ يضطرب ويبكي ويقول: لا، لا. ولا أن يشاك بشوكة في بدنه صلى الله عليه وسلم، لا أرضى أن يكون محمد مكاني، ليس في القتل بل في شوكة يشاكها في بدنه لا أرضى، وكان أول من سَنَّ سُنة ركعتي الشهادة؛ لأنه لما أرادوا أن يصلبوه، قال: اتركوني، ثم صلى ركعتين، تجوز فيهما، أي: أسرع، فقال: لولا أن تقول قريش: خاف من الموت، لأطلت في ركعتي هاتين، ثم قال أبياتاً:

لقد جمع الأعداء حولي وألبوا قبائلهم واستجمعوا كل مجمعِ
ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع

1 نصر، محمد موسي، "دور العلماء"، http://www.almanhaj.com/vb/ تاريخ المشاهدة 4 أكتوبر 2016م.

2 نصر، محمد موسي، "دور العلماء"، http://www.almanhaj.com/vb/ تاريخ المشاهدة 4 أكتوبر 2016م.

University of Malaya

نعم يا عباد الله! ثبت ذلك الصحابي حتى تخطفته الرماح والسهام، وأفضت روحه إلى بارئها، ثبت إيمانه، دعوى الإيمان خرج صدقها، وظهر برهانها، وهكذا ربى النبي صلى الله عليه وسلم صحابته على إيمان يقاوم الفتن، أما إيماننا –أيها الإخوان– نسأل الله ألا يفتننا في ديننا.[1]

يا إخوان! مثلما يقول العوام: "الإيمان في القلوب" والله إن فُتِن لرأيت العجائب والمصائب ولا حول ولا قوة إلا بالله، ولكن لا تتمنوا لقاء العدو، وإذا بليتم فاصبروا، لا تتمنوا الفتنة واسألوا الله العافية، لا ينبغي لأحد أن يعرض نفسه للفتنة ليقول: أنا أريد أن أعرف درجة نجاحي في الإيمان، لا، لكن الإنسان يصدق في دعواه مع الله جل وعلا، وينتبه لنفسه فذلك خير له.

المبحث الرابع: ثبات الداعية ودوره في نهضة الأمم، قراءة واستنباط.

في الأصل أن يكون الإنسان ثابت على دينه، وهذا الثبات من شأنه أن يعزز نهوض الأمة، إذ أن الله تبارك وتعالى تكفل بحماية الأمة المهتمة بثوابت الدين، وتوعد بالدفاع عنها، ويرزقها من حيث لا تحتسب، الأمة التي تتمتع بالثبات على الدين ستكون صاحبة النفوذ الأول، وإعلاء هيبتها على المجتمع البشري فتصبح أمة رائدة؛

قال القرضاوي: "يحرص على المعاصرة ويتمسك بالأصالة: أنه يحرص على المعاصرة، ويشرب روح العصر، وخصوصاً في وسائله وآلياته. ولا يُتجاهل في دعوته إذا دعا، ولا في تعليمه إذا علّم، ولا في فتواه إذا أفتى: تيارات العصر ومذاهبه الفلسفية، ومدارسه الفكرية، واتجاهاته الأدبية، وانحرافاته السلوكية، ومشكلاته الواقعية"[2]

ثم قال: "لقد تطور العلم، وتطورت الصناعة، وتطورت معهما الأفكار والتقاليد، لقد تطورت وسائل النقل من الحمار والجمل إلى الطائرات والصواريخ، وتطورت وسائل الكتابة من القلم في اليد إلى المطبعة المتطورة، وتطوّرت وسائل الحرب من السيف والنبل إلى القنبلة النووية، فلا ينبغي أن يظل الإنسان كما هو، وكل شيء حوله تغير، ولا أن يظل الفكر كما هو، والدنيا كلها تبدلت"[3]

---

[1] المرجع السابق.

[2] القرضاوي، "خطابنا الإسلامي في عصر العولمة" مرجع سابق، ص 128 و 130.

[3] المرجع السابق، ص 128 و 130.

University of Malaya

وهذا التطور التكنولوجي والصناعي هو إيجابيات العولمة. [1]فالعولمة لها إيجابيات وسلبيات، ومن إيجابياتها حيث مجال الصناعة، وقد تستفيد الدول النامية من مهارات الصناعة التي جاءت بها العولمة. فالداعية الثابت الرامي إلى نهوض الأمة عليه عدم إغفال الوقائع التاريخية في سير الدعوة إلى الإسلام، وربطها بالواقع الحالي الحاضر، وأن ثباته على الحق والدعوة هو الذي يصلح الأمة، مرشداً إياها للتقدم والنهوض، لذلك لزاماً على الداعية الانخراط في جميع الأمور في الدولة والمجتمع، كالممارسة في الجانب السياسي الوطني الذي يشمل الحياة الاقتصادية، والتعليمية، والاستراتيجية، وفي الجانب الاجتماعي الذي يشمل التكافل الاجتماعي، ومنظمات المجتمع المدني وغيرها. وإعادة هذه الثقافة من شأنها تنهض الأمة جماعة، وأفراد.

مع ازدياد الأزمات والمحن في العالم الإسلامي يزداد احتياج المسلمين إلى عوامل الثبات على الأزمات وقت المحن والشدائد، والصبر لا يأتي سدى إلا إذا توفرت عوامل الثبات على الحق، إضافة إلى دور القيادة الرشيدة في التعامل مع الجد والشدة في وقت الأزمات.[2]

وفي هذه الحالة يبرز دور الدعاة في توعية الناس وإرشادهم وتعريفهم بعوامل الثبات على الحق وتعريفهم أن الله ناصر الفئة المؤمنة.

"إن من عوامل الثبات على الحق وقت الأزمات ونجاح الفكرة يحتاج للعديد من مقومات الثبات على الحق، فيجب الإيمان بالفكرة وهو من أهم عوامل الانتصار للفكرة وللحق الذي يدافع عنه الإنسان؛ فلا يمكن أن تنتصر فكرة عند إنسان هو غير مؤمن بها، والإخلاص هو الذي يحمل الإنسان على أن يبذل الجهد وأن يبذل أغلى ما يملك من وقت ومال من أجل هذه الفكرة، وإذا ما توفر ذلك الشيء في الإنسان وتوفر الصبر على المحن والأزمات توفرت الحماسة للفكرة والقابلية للعمل والتعامل مع الفكرة".[3] وأضاف فرحات: "إن الكثير من الناس من ينتمي لهذا الدين، وما أكثرهم، ولكنهم يعانون من البلادة وعدم الحماسة، وهذه البلادة تكون سبباً في تأخير النصر، لذلك لا بد للإنسان أن يكون متحمساً ومتفاعلاً مع الحق الذي يحمله، وإذا توفرت في الإنسان

---

[1]Adriana Manolică, România, GLOBALISATION – *ADVANTAGES AND DISADVANTAGES FROM THE PERSPECTIVE OF THE MANUFACTURER*. P. 4.

2 خلف، طلالناهض صبحي، "دور العلماء في الدفاع عن القدس وفلسطين"، غزة، ط1.(2011).

3 ظهير، تميم (2005): "سبل النهوض بالدعوة الإسلامية"، مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر، الجامعة الإسلامية، – غزة، ص 87. وموقع وكالة فلسطين اليوم الإخبارية (عينك على فلسطين)، http://paltoday.ps/ar/post/46887تاريخ الزيارة 4 أبريل 2015م

University of Malaya

هذه الخصال الثلاث وجد العامل الأهم والرابع هو التضحية لهذا الدين أو القضية أو الفكرة التي يحملها الإنسان، وإذا كان مؤمناً بتلك الفكرة يضحي بكل ما يملك من أجلها"[1].

وأن وعد الله تعالى والنبي المصطفى للمؤمنين بالنصر والتمكين من الله تعالي للصابرين على المحن والأزمات والقابضين على الحق في أشد الأوقات محقق، وأن الله يقذف الباطل ويمحقه، ويتجسد ذلك في قوله تعالى "ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون"[2].

إن هذا وعد الله تعالى في الآيات القرآنية وكذلك وعد النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الحق بأنهم سينتصرون، وخاصة أن انتصار الحق على الباطل سنة كونية لا تتبدل ولا تتغير، وأن الحق ينتصر على الباطل بعد جولة أو جولات من الصراع.

فالنصر يأتي لسبب واحد هو أن السموات والأرض قامت من أجل الحق وقامت بالحق وعلى أساس متين، وأن الحق له حبل متين متصل بالحق المطلق وهو الله والذي من أسمائه "الحق"، فهذه العوامل كلها إذا اجتمعت في النفس البشرية تحمله على الثبات والصبر وإلى أن يكون مطمئناً من ناحية نفسية أن العاقبة للمتقين مهما اشتدت المحن والأزمات والشدائد.

فالرسول الله صلي الله عليه وسلم في أي محنة يكون في قلبها وكان يشاركهم معنوياً وعملياً وهذا دور القائد الناجح والحكيم في تعامله مع الشعب، وأن القيادة المؤمنة الراسخة هي التي تثبت الأفراد والجند والشعوب وقت الأزمات[3].

"وعندما جاء خباب بن الأرتّ للنبي وقد تعرض للأذى على يد المشركين في مكة وكان الرسول يبشر صحابته ويبث في قلوبهم الأمل ويقول لهم "والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون"، ويوم الأحزاب عندما التف المشركون حول المدينة وقال تعالى، "وإذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنون" في ذلك الموقف العصيب وفي تلك المحنة الشديدة كان النبي في قلب المحنة يبشر بفتح قصور الشام وقصور كسرى، فهذه هي حقيقة وثقافة القيادة الواعية التي تثبت الأفراد والجنود في قلب المحنة وتبث الأمل في القلوب.

1المرجع السابق، ص 87.

2 المرجع السابع نفسه، ص 87.

3 لمرجع السباق ص 90.

University of Malaya

والنبي كان يشارك المسلمين في كل الأزمات وحتى في الجوع وهو الذي ربط على بطنه حجران وكان يشاركهم وجدانيا وعمليا مع الجنود في العمل والمعاناة وهذا دور القيادة الرشيدة.[1]

إن الأمة تعرضت للكثير من الأزمات حيث سجل التاريخ هذه الأزمات وأول أزمة هي الاقتتال الداخلي بين المسلمين، وقد قيض الله تعالى لهذه الأزمة الحسن بن علي ليوحد كلمة الأمة على قلب رجل واحد، وأزمة الاجتياح الذي قام به التتار على المسلمين وسخر الله تعالى لهم سيف الدين قطز والظاهر بيبرس، وأزمة الاجتياح الصليبي وسخر الله تعالي لهم صلاح الدين الأيوبي والكثير من الأزمات التي تعرض لها الإسلام وكان تعالى في كل مرة يحقق وعده للفئة المؤمنة ويحقق لهم النصر المبين ويحقق الوعد، وكذلك في كل هذه الأزمات والمحن كان للقيادة دور كبير في تثبيت الصف الإسلامي.[2]

إن للدعاة دوراً كبيراً في تثبيت الناس على الحق وفي وقت الأزمات وأزمات الدين والعقيدة، والمطلوب من الدعاة أن يذكروا الناس بالله وبعظمته وأنه هو الذي يرفع ويخفض، وهو الذي بيده كل شيء وهو يرفع أقواما ويذل أقواما، وان الله تعالى قادر على كل شيء، وأن عظمة الله تعالى إذا سيطرت على قلوب الناس فإن الإنسان بعدها سيستخف بكل القوى التي تهدد أمنه ومستقبله ويبقى الاعتماد على الله تعالى وعلى الدعاة أن ينشروا بين الناس ثقافة التبشير وأن يبتعدوا عن ثقافة التنفير والتحبيط والتخويف وأن العاقبة للمتقين وأن الغلبة لهذا الدين وأن يمنحوا الناس الأمل كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم.[3]

---

1 المرجع السابق، ص 92.

2 المرجع السابق، ص 92.

3موقع إسلام ويب: http://audio.islamweb.net/audio/index.php?page=FullContent&audioid
تاريخ الزيارة 6 يوليو 2015م

University of Malaya

خلاصة الفصل الثاني:

فالله تبارك وتعالى تكفل بحماية الأمة المهتمة بثوابت الدين، وتوعد بالدفاع عنها، ويرزقها من حيث لا تحتسب، فالأمة التي تهتم بثوابت الدين ستكون صاحبة النفوذ الأول، وتعلو هيبتها على المجتمع البشري ككل، فتصبح أمة رائدة؛

إن قصص القرآن، وأخبار الأمم الغابرة من الرسل والأنبياء، معينة جداً للبقاء على قيد الثبات، ولا سيما في هذا العصر المتمثل بالعصر العولمة، وعلى الداعية الاطلاع على أخبار الأمم السالفة لمعرفة ما مروا به من المحن والفتن والبلاء، ومع ذلك ثبتوا على الحق ولم تزل أقدامهم، بل أصبحوا يعتبرون المحن مهنة، والبلاء رحمة. ثم معرفة ما مروا به من النعم والرخاء من الله تبارك وتعالى، ومع ذلك بقوا على قيد الإيمان ولم تزل أقدامهم. كان السلف الصالح من الصحابة رضوان الله عليهم ومن تبعهم من التابعين والصالحين يتذاكرون قصص الأمم السابقة ويطلعون عليها عبرة وزيادة في الإيمان، وثباتا على الحق. وعلى الداعية كذلك الاطلاع على أخبار السلف الصالح رضوان الله عليهم معينة الثبات على الحق في حال تقلبات الحياة والأزمان والدهر.

هذا البلاء اختبار من الله جل وعلا، وامتحان لجوهر عقيدته، ودرجة تغلغلها في نفسه، ونتيجة لهذا الاختبار والامتحان، وجد الله تعالى الرسل والأنبياء صابرين، ثابتين، منيبين، متواضعين، مستكينين، لم يزدهم البلاء والشدة إلا ثباتاً.

University of Malaya

الفصل الثالث: وسائل الثبات في المحن ورؤية معاصرة.

لكل شيء إيجابياته وسلبياته، فالعاقل من يتفانى في البحث عن الطرق المثلى والوسائل المناسبة؛ لتحقيق ما يرنو إليه، ويكون على دراية بالمثبطات ليعتزلها وليتجنبها، هذا في حق آحاد الناس، فما بالك بالذي اتخذ الدعوة دثارة وإصلاح الناس بدارة، فإن الأمر في حقه أهم وأغلى وأعلى. وبناءً على ما سلف تقوم هذه الدراسة بتسليط الضوء على أهم الوسائل التي ينتهجها الداعي للثبات على هذه المهمة الشاقة وذلك برؤية خاصة تجمع بين الأصالة والمعاصرة.

المبحث الأول: حدود الثبات الواجب في المحن ووسائله.

المبحث الثاني: ثواب الثابتين على الحق وفضلهم على الأمة والإنسانية أجمع.

المبحث الثالث: الثبات على الحق رؤية معاصرة.

على الرغم من السلبيات العديدة التي تأتي من وراء العولمة [1]ولكن إذا أحسنا التعامل معها بطريقة إيجابية فنستثمر ونستفيد من التعاون المشترك والتكامل بين القوى والضعيف إذا أحسنا التعامل معها فالدول النامية قد تستفيد منها "وكما أن لها فوائد عظيمة لأمريكا والدول المتقدمة، فإن لها فوائد أيضاً للدول النامية التي تشارك في مضمار المنافسة الاقتصادية. كذلك استفادة الدول الضعيفة اقتصادياً من الدول المتقدمة إذا عملت على التكامل معها. جعل العالم سوق مفتوحة واحدة وبذلك يستطيع المستهلك أن يجد كل ما يحتاجه في أي وقت وفي أي مكان. ولعل من أهم إيجابيات العولمة في هذا المجال عمل الشركات الوطنية والقومية على تحسين جودتها للمنافسة على العالمية ومن هنا يستفاد المستهلك.

وكذلك من إيجابيات العولمة الثقافية الانفتاح على العالم ثقافيا يحقق ديمقراطية المعرفة ولجعل الجميع دون استثناء يعيشون الجديد بلحظته كما يحفز أيضاً إلى مزيد من التطلع إلى الجديد والابتكار وتبني سلوكيات أفضل وعادات أحسن. تبني عملية حوار الحضارات من خلال وسائل الإعلام من أهم مميزات العولمة إذا استخذ منها بمفهومها الإيجابي. ومن أهم إيجابيات العولمة الثقافية حوار الثقافات واستفادة كل ثقافة من الأخرى ما يوافقها ويوافق ديانتها. تفتيح عقود الشعوب إلى أنماط جديدة من الفكر والنشاط.

ولكن من كل ما سبق فيتضح لنا أن إيجابيات العولمة أقل من سلبياتها ومن هنا فالعبئ ثقيل على المسلمين والهجمة شرسة فعلينا أن نتفادى السلبيات نغدر الإمكان وعلينا أيضاً الاستفادة من

[1]أسامة محمد فؤاد، "الدعوة الإسلامية فى ظل العولمة" جامعة القاهرة، ص 60 – 64.

University of Malaya

الإيجابيات على قدر الإمكان. ولنعلم أن العولمة سلبياتها أكثر إيجابياتها فقبل الاهتمام بالإيجابيات علينا التحرز من سلبياتها وتوعيه الشعوب بذلك ولنتوحد في مواجهة أخطار العولمة. فإن العولمة كالذئب لا يأكل من الغنم إلا القاصيه.

ولنا كذلك الاستفادة من إيجابيات العولمة في نشر الدعوة الإسلامية.

ينبغي علينا أن نستفيد من رياح العولمة وتؤثر فيها كما نتأثر بها. ولا ينبغي أن نشغل بالنا بسفاسف الأمور ويجب علينا في سرعة معقولة أن تحلل الموقف بأسلوب موضوعي غير عاطفي، وأن نتحرك لتفادي الشر، ولتعظيم الخير، ولا داعي للإصرار على التوصل إلى تعريف جامع مانع للعولمة' ولكن المشكلة تكمن في كيفية الاستفادة من العولمة في وسائل الإعلام فلنستثمر من إيجابياتها ونتجنب سلبياتها. وذلك بالتركيز على ما يتوافق مع الشريعة الإسلامية. وينبغي أن لا ننهج أو نقلد كل ما يقدم لنا من الغرب. فالغرب إذا استفدنا منه في كل الأمور فسنضر بعاداتنا وقيمنا ، لأن الغرب بالنسبة لنا في أمور الدين أعمى. فكيف يقودنا إلى فهم ديننا؛ فإذا أخذنا منهم كل شئ فنضل كما ضلوا في أمور الدين وسينتشر العادات والقيم الغربية المخلة بتقليدنا وآدابنا ومن هنا كان علينا أن نستفيد منهم في نشر الدعوة الإسلامية وذلك بالاستفادة من إيجابيات العولمة الثقافية فنؤثر كما نتأثر ، ونعلَّم كما نتعلم. ونفيد كما نستفيد ومن هنا يجب علينا وضع آلية للعمل والتعاون المشترك بيننا وبين المسلمين في كل بقاع الأرض حتى ننشر دعوتنا في كل ربوع الأرض ونحافظ على هويتنا من الأمركه.

كيفية الاستفادة من الانفتاح الثقافي في نشر الدعوة الإسلامية :-

وطالما انفتح العالم الإسلامي على غيره من عواصم وبلدان العالم فلابد أن ننشر الإسلام في تلك البلاد وأن ندعوهم إليه بالحكمة والموعظة الحسنة "أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة " ويجب أن نستفيد من كل الوسائل التي تقدمها العولمة بكل صورها في نشر الإسلام ومن تلك الوسائل التي يجب أن ننشر بها دعوتنا:-

1 عمل حوارات مع بعض المثقفين الغربيين المنصفين وغير المتعصبين ودعوتهم إلى الإسلام من خلال وسائل الإعلام والتكنولوجيا الحديثة "الإنترنت"

2 أهمية إعداد كوادر إعلامية قادرة على الحوار مع الغربيين ونشر قيمنا هناك ونشر ديننا الإسلامي.

3 إبراز موقف الإسلام من الأديان الأخرى في وسائل الإعلام العالمية ومن ثم إظهار تسامحه مع باقي الديانات مما سيعود بنتائج – إن شاء الله – جيده للإسلام والمسلمين.

University of Malaya

4 تنقية وسائل الإعلام العربية والإسلامية من الخرافات الغربية والاهتمام بالإيجابيات فقط دون السلبيات.

5 دعوة الأقليات المسلمة في البلاد الغربية إلى التمسك بدينهم معاملة غيرهم معاملة إسلامية مما سيؤثر على الآخر.

6 الاستفادة من وسائل الإعلام الداخلية في توعيه الناس وإبراز إنسانيات الدين الإسلامي ودعوتهم عبر الوسائل الحديثة إلى التمسك بدينهم.

7 عقد حوارات وندوات ومؤتمرات عالمية بكون موضوعها الدين الإسلامي الدين العام وموضوعها عالمية الدين الإسلامي وتسامحه.

ومن سلبيات العولمة أنها تنشر الفقر والجوع، وتجعل الحياة أن تكون صعبة ومعقدة، لكن العجيب والغريب أن الكثير يتحدث عن العولمة نحو التقدم والإزدهار"[1]

والثبات على دين الله مطلب أساسي لكل مسلم صادق يريد سلوك الصراط المستقيم بعزيمة ورشد، عاملاً مجاهدًا في سبيل نصرة دين الله تعالى، ساعيًا إلى جعل كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين يصدون عن سبيله هي السفلى، مهما كانت العقبات، ومهما بعدت المدة، وتطاولت الأعوام؛ حتى يلقى الله سبحانه وتعالى وهو على هذا الطريق، غير مبدل ثابتٌ عليه من دون إفراط ولا تفريط، يقول الله تبارك وتعالى في كتابه﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴾،[2] والمقصود بالمؤمنين هم الذين آمنوا بالله ورسوله فكانوا كما قال الله فيهم: ﴿ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ أي أوفوا بما عاهدوا الله عليه من الصبر في البأساء والضراء وحين البأس ﴿ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ ﴾ أي: فمنهم من فرغ من العمل الذي كان نذره لله وأوجبه له على نفسه، فاستشهد بعض يوم بدر، وبعض يوم أحد، وبعض في غير ذلك من المواطن ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ﴾ قضاءه والفراغ منه كما قضى من مضى منهم على الوفاء لله بعهده، والنصر من الله والظفر على عدوه. والنحب: هو النذر في كلام العرب ويأتي بمعنى الموت وهو المقصود في الآية كما فسرها الإمام الطبري[3] وهو نحو ما نحاه ابن كثير في تفسيره للآية.[4]

---

[1]Eddy Lee Marco Vivarelli. 2006. Geneva. *The Social Impact of Globalization in the Developing Countries.* P. 11.

2 سورة الأحزاب، الآية : 23.

3الطبري، "جامع البيان" مرجع سابق، 20، ص 237.

4 ابن كثير، "تفسير القرآن العظيم" مرجع سابق، ج6، ص 392.

University of Malaya

ولقد أمر الله سبحانه وتعالى المجاهدين في طريق نصرة دينه بالذكر والدعاء والثبات، فقال لهم الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾،[1] لَمَّا عرفهم الله بنعمه ودلائل عنايته، وكشف لهم عن سر من أسرار نصره إياهم، وكيف خذل أعداءهم، وصرفهم عن أذاهم، فاستتب لهم النصر مع قلتهم وكثرة أعدائهم، أقبل في هذه الآية على أن يأمرهم بما يهيئ لهم النصر في المواقع كلها، ويستدعي عناية الله بهم وتأييده فجمع لَهُمْ فِي هذه الْآية ما به قوام النصر في الحروب[2]. فأساس الفلاح لنصرة دين الله هو الثبات،ولا شك عند كل ذي لُبٍّ أن حاجة المسلم اليوم لوسائل الثبات أعظم من حاجة أخيه أيام السلف، وذلك لكثرة حوادث الردة والنكوص على الأعقاب، والانتكاسات حتى بين بعض العاملين للإسلام مما يحمل المسلم على الخوف من أمثال تلك المصائر، ويتلمس وسائل الثبات للوصول إلى بَرٍّ آمن.

لأن وضع المجتمع الحالي الذي يعيش فيه المسلمون، وأنواع الفتن والمغريات التي بنارها يكتوون، وأصناف الشهوات والشبهات التي بسببها أضحى الدين غريبًا، فنال المتمسكون به ما قاله صلى الله عليه وسلم ((القابض على دينه كالقابض على الجمر)).[3]

ومن رحمة الله عز وجل بنا أن بين لنا في كتابه وعلى لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وفي سيرته وسائل كثيرة للثبات، ومن خلال هذه التوطئة حاول الباحث أن يبين عناصر التي تتعلق بالموضوع المعنون في أول الفصل ويتجلى ذلك في بيان حدود الثبات الواجب في المحن ووسائله وذكر ثواب المترتبة على الثابت على الحق وفضله على من سواه، ثم محاولة ربط ذلك برؤية معاصرة، وترتيب ذلك في المباحث الآتية:

1سورة الأنفال، الآية: 45.

2 ابن عاشور "الحرير والتنوير" مرجع سابق، ج10، ص29 .

3 الترمذى، "السنن" مرجع سابق، ج/4،ص526.

University of Malaya

المبحث الأول: الثبات الواجب في المحن ووسائله.

ومن البديهي جداً أن يتعرض الداعية للمحن والفتن قد تصل إلى زعزعة ثوابته، فالواجب عليه في هذه الحالة هو الصبر والامتثال، واتخاذ كل السبل والوسائل التي قد تعينه في المكافحة والتصدي لتلك المحن.

إن الثبات على الابتلاء والصبر على المحن والمعوقات والشوائك في طريق إعلان كلمة الله سبحانه وتعالى من سنن الدعاة الصالحين المخلصين وشيمة من شِيَمهم، وذلك حكمة من حكم الله تعالى ليمحص بين المؤمنين الصابرين وغيرهم من أدعياء الإيمان،[1] يقول الله تعالى في حق الثابتين: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾،[2] وقال أيضًا في آية أخرى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾،[3]يقول تعالى ذكره: ومن الناس من يقول: أقررنا بالله فوحَّدناه، فإذَا آذاه المشركون في إقراره بالله، جعل فتنة الناس إياه في الدنيا، كعذاب الله في الآخرة، فارتدّ عن إيمانه بالله، راجعا على الكفر به ﴿ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ ﴾ يا محمد أهل الإيمان به ﴿ لَيَقُولُنَّ ﴾ هؤلاء المرتدّون عن إيمانهم، الجاعلون فتنة الناس كعذاب الله ﴿ إِنَّا كُنَّا ﴾ أيها المؤمنون ﴿ مَعَكُمْ ﴾ ننصركم على أعدائكم، كذبا وإفكا، يقول الله: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ ﴾ أيها القوم من كلّ أحد ﴿ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ جميع خلقه، القائلين آمنا بالله وغَيرِهم، فإذا أوذِي في الله ارتد عن دين الله فكيف يخادع من كان لا يخفى عليه خافية، ولا يستتر عنه سرا ولا علانية.[4]

فالثبات في وقت الشدة مظهر من مظاهر عمق الإيمان ودليل رسوخه، ولقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم العديد من الأحاديث النبوية التي توجب الثبات والصبر علـــى الابتلاءات منها: قوله صلى الله عليه وسلم: ((لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يَضُرُّهم من خَذَلَهم ولا

1الطبري، "جامع البيان في تأويل القرآن" مرجع سابق، ج19، ص 07

2 سورة العنكبوت، الآية : 1-2.

3 سورة العنكبوت، الآية :10.

4 الطبري، " جامع البيان" مرجع سابق، ج 20، ص 13.

University of Malaya

من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهـــم على ذلك))،[1] فمن يثبت ويصبر في مواجهة المخذلين سوف ينتصر عليهم ويكون من الفالحين.

ومن خلال هذا يحاول الباحث أن يقف على الحدود التي يجب أن يثبت عليها الداعية وأن يقف عليها مهما كانت العقبات والمصير، ومهما كانت المحن ووسائله.

قال القرضاوي: "الأخلاق، وهي من لوازم الإيمان الحق وثماره، وأكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً "[2]

نعم، لأن الأخلاق والتمسك بالدين هي من الأمور الأساسية التي تجعل الداعية أن يكون ثابت في مبادئه، ويمكن تفصيل كلام الشيخ وربطه بالثبات الواجب لدى الداعية في الأمور والنقاط التالية:

- **الثبات على الدين:** ومن الأمور المهمة للداعية هي الثبات على الدين، والامتثال بالأوامر.يقول الله تبارك وتعالى في محكم تنزيله: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾.[3]ومعنى تثبيت الذين آمنوا بها أن الله يسر لهم فيهم الأقوال الإلهية على وجهها وإدراك دلائلها حتى اطمأنت إليها قلوبهم ولم يخامرهم فيها شك فأصبحوا ثابتين في إيمانهم غير مزعزعين عاملين بها غير مترددين[4]وقال أيضًا ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾،[5] والمعنى: ولولا أن ثبتنا رأيك فأقررناه على ما كان عليه في معاملة المشركين لقاربت أن تركن إليهم[6]، وجاء تيمنًا بطلب الثبات في لقاء العدو[7]: ﴿ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾،[8]

1البخاري، "الصحيح" كتاب المناقب باب سؤال المشركين، ج/3،ص 1331.

[2]القرضاوي، "ثقافة الداعية" مرجع سابق، ص4.

3 سورة إبراهيم، الآية: 27.

4 ابن عاشور، "التحرير والتنوير" مرجع سابق، ج13،ص 226.

5 سورة الإسراء، الآية: 74.

6 ابن عاشور، مرجع سابق، ج 15، ص 174.

7 ابن كثير، "تفسير القرآن العظيم" مرجع سابق، ج1، ص 669.

8 سورة البقرة، الآية : 250.

University of Malaya

وروى مسلم من حديث عبد الله بن عمرو،...ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك)).[1]

وعلى هذا فلا بد لكل داعية أن يتحلى بقوة الإيمان والثبات عليه، وهو توفيق من الله سبحانه وتعالى وأصل ذلك قول الله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾.[2]

وهذه نعمة خفية أظهرها الله تعالى لهم، ليشكروه عليها، وهو أنه –تعالى وتقدس وتبارك وتمجد – أوحى إلى الملائكة الذين أنزلهم لنصر نبيه ودينه وحزبه المؤمنين، يوحي إليهم فيما بينه وبينهم أن يثبتوا الذين آمنوا[3].فهذه الدفعة الإيمانية بأن الله سبحانه وتعالى مع عباده المجاهدين الصادقين والموفين بالعهد، وأنه لن يخذلهم أو يخزيهم، مهما كانت الابتلاءات تعتبر من الدوافع والحوافز القوية للثبات.

كما أن الإخلاص لله تعالى دافع من دوافع الثبات على دين الله، وهو الغاية التي يجاهَد من أجلها، يقول سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾[4] فالإخلاص هو الحافز الذاتي للمُضِّي قُدُمًا في هذا الطريق الثابت، وقد أثنى الله سبحانه وتعالى على الفئة التي صدقت ما عاهدته عليه فقال: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾[5] وشتان بين من هو الثابت على الدين صابرًا مخلصًا عمله لله تعالى، ويريد أن يلقي الله على ذلك، وبين من يعمل لغرَض آخر غير الذي أسلف ذكره ونحو ذلك.

الثبات في الفتن: وقد يكون هذا امتحان من الله تبارك وتعالى، يقول الله عزوجل في محكم كتابه﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن

1 مسلم، "الصحيح" كتاب القدر باب تصريف الله تعالى القلوب، ج/8،ص 51.

2 سورة الأنفال، الآية : 12.

3 ابن كثير، "تفسير القرآن العظيم" مرجع سابق، ج4،ص 25 .

4 سورة الزمر، الأية: 11.

5 سورة الأحزاب: 23.

قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾[1] وقال أيضًا: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴾،[2] وهذا إخبار من الله تعالى ذكر أتباعَ رَسوله صلى الله عليه وسلم، أنه مبتليهم وممتحنهم بشدائد من الأمور، ليعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه، كما ابتلاهم فامتحنهم بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، وكما امتحن أصفياءَه قَبلهم،[3] فعلى الداعية أن يجعل نصب عينيه أنه سيبتلى في شئ من ماله أو نفسه أو ولده أو أهله والمؤمن يبتلى على قدر إيمانه ودينه، فإن كان متمسكًا به صلبًا عليه زيد في البلاء، فما على الداعية إلا أن يصبر على ذلك لأنه على يقين فيما هو عليه، ويرجوا الثواب من الله تعالى، روي البخاري في صحيحه عن الزهري قال: أخبرنى عروة بن الزبير أن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب على حمار على قطيفة فدكية، وأردف أسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر، قال: حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أبي ابن سلول، وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبي فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود والمسلمين، وفي المجلس عبد الله بن رواحة، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمَّر عبد الله بن أبي أنفه بردائه ثم قال: لا تُغَبِّروا علينا، فسلَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم، ثم وقف فنزل، فدعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله بن أبي ابن سلول: أيها المرء إنه لا أحسن مما تقول إن كان حقًا، فلا تؤذِنا به في مجالسنا، ارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه، فقال عبد الله ابن رواحة: بلى يا رسول الله فاغشنا به في مجالسنا، فإنا نحب ذلك، فاستبَّ المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون، فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكنوا، ثم ركب النبي صلى الله عليه وسلم دابته فسار حتى دخل على سعد بن عبادة، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ((يا سعد ألم تسمع ما قال أبو حباب – يريد عبد الله بن أبي – قال كذا وكذا)). قال سعد بن عبادة: يا رسول الله اعف عنه واصفح عنه، فوالذي أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك، ولقد اصطلح أهل هذه البُحَيْرَة على أن يتوجوه فيعصبوه بالعصابة، فلما أبي الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله شرِق

1 سورة آل عمران، الآية: 186.

2 سورة البقرة، الآية:-155-156.

3 الطبري، "جامع البيان في تأويل القرآن" مرجع سابق، ج3، ص219 .

بذلك، فذلك فعل به ما رأيت، فعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله.[1]

والله سبحانه وتعالى يبتلي المؤمنين بشتى أنواع الفتن والمصائب يقول الله تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾.[2]

قال ابن عباس وغيره: يريد بالناس قومًا من المؤمنين كانوا بمكة، وكان الكفار من قريش يؤذونهم ويعذبونهم على الإسلام، كسلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة، والوليد بن الوليد، وعمار بن ياسر، وياسر أبوه، وسمية أمه، وعدة من بني مخزوم وغيرهم، فكانت صدورهم تضيق لذلك، وربما استنكر أن يمكِّن الله الكفار من المؤمنين. قال مجاهد وغيره: فنزلت هذه الآية[3].

وهذه الآية وأمثالها وإن كانت نزلت لهذا السبب أو ما في معناه من الأقوال، فهي باقية في أمة محمد صلى الله عليه وسلم، موجود حكمها بقية الدهر فعلى الداعية أن يعلم أن الفتن سنن من سنن الله تعالى على عباده المؤمنين، فما عليه إلا أن يصير على مواجهتها ويتصدى لعقباتها، والله المعين وهو الذي يعين الصابرين، حتى يصلوا إلى هدف المنشود، الذي يتمثل في إعلان كلمة الله تعالى.

فتنة الاضطهاد والطغيان والظلم: يقول الله تعالى في كتابه: ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[4] روي الشاشي في الحديث خباب: قال ((شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، فقلنا: يا رسول الله، ألا تستنصر الله؟ فجلس محمرًا وجهه، فقال: ((والله لقد كان من قبلكم يؤخذ فيجعل المناشر من على رأسه فتفرق بفرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه،

1البخاري، "الصحيح" كتاب التفسير، باب كناية المشرك، ج4ص1663.

2سورة العنكبوت، الآية:2.

3 القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن" مرجع سابق، ج13، ص323.

4سورة البروج، الآية: 4-9.

وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب ما بين صنعاء وحضرموت ما يخاف إلا الله والذئب على غنمه))[1].

فتنة الدجال: روي ابن ماجة وغيره من حديث أبى أمامة الباهلى رضي الله عنه، قال: خطبنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم– فكان أكثر خطبته حديثًا حدثناه عن الدجال وحذرناه فكان من قوله أن قال: ((إنه لم تكن فتنة فى الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال، وإن الله لم يبعث نبيًا إلا حذر أمته الدجال، وأنا آخر الأنبياء، وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة، وإن يخرج وأنا بين ظهرانيكم[2]، فأنا حجيج لكل مسلم، وإن يخرج من بعدي فكل امرئ حجيج نفسه[3]، والله خليفتى على كل مسلم، وإنه يخرج من خلة بين الشام والعراق، فيعيث يمينًا ويعيث شمالاً. يا عباد الله أيها الناس فاثبتوا، فإنى سأصفه لكم صفة لم يصفها إياه نبى قبلى، إنه يبدأ فيقول: أنا نبى ولا نبى بعدي ثم يثني فيقول: أنا ربكم))[4].

الثبات في الجهاد: فالثبات في الجهاد وفي أي عمل ديني مطلب شرعي نفيس قال تعالى – آمرًا المؤمنين بالصبر والثبات عند ملاقاة العدو العدو﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾،[5]قال ابن جرير الطبري: وهذا تعريفٌ من الله جل ثناؤه أهل الإيمان به، السيرةَ في حرب أعدائه من أهل الكفر به، والأفعالَ التي يُرْجَى لهم باستعمالها عند لقائهم النصرة عليهم والظفر بهم. ثم يقول لهم جل ثناؤه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾، صدقوا الله ورسوله إذا لقيتم جماعة من أهل الكفر بالله للحرب والقتال، فاثبتوا لقتالهم، ولا تنهزموا عنهم ولا تولوهم الأدبار هاربين، إلا متحرفًا لقتال أو متحيزًا إلى فئة منكم

1الشاشي، أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي، "المسند للشاشي" (1410هـ) باب ماروي التابعون من أهل الكوفة، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ج/3، ص110.

2 مشتق من الظهر وهو خلاف البطن، وَبَين ظهريهم، وظهرانيهم: بِفَتْح النُّون، وَبَين أظهرهم: جمع ظهر أَي بَينهم وأقمت بَين ظهرانيهم: أَي بَين ظهر فِي وَجْهي وَظهر فِي ظَهْري هَذَا فِي الأَصْل ثمَّ اسْتعْمل فِي الْإِقَامَة بَين الْقَوْم. انظر: القريمي الكفوي،"الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية" المحقق: بيروت، مؤسسة الرسالة، ص 593.

3حجيج نَفسه أَي: محاجه ومناظره. انظر: اليحصبي السبتي، "مشارق الأنوار على صحاح الآثار" دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث، (1/ 181).

4 ابن ماجة، "السنن"، كتاب الفتن، باب فتنة الدجال وخروجه، ج/12، ص246.

5سورة الأنفال، الآية: 45.

"وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا "، يقول: وادعوا الله بالنصر عليهم والظفر بهم، وأشعروا قلوبكم وألسنتكم ذكره "لعلكم تفلحون"، يقول: كيما تنجحوا فتظفروا بعدوكم، ويرزقكم الله النصرَ والظفر عليهم[1]، وقال في آية أخرى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾[2] وقال أيضا﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ﴾.[3] نقل الطبري عن أبي جعفر تفسيره قال: يقول تعالى ذكره: سَأَرْعِبُ قلوب الذين كفروا بي، أيها المؤمنون، منكم، وأملأها فرقًا حتى ينهزموا عنكم "فاضربوا فوق الأعناق"[4].

روى البخاري من حديث البراء بن عازب: كان النبي ينقل التراب يوم الخندق حتى أغمر أو اغبر بطنه يقول:

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصـــدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينـــا وثبت الأقـــدام إن لاقينا
إن الألى قد بغوا علينا إذا أردوا فتنـــــــة أبينا[5]

وعليه فلا يكفى الإنسان أن يقول كلمة الإيمان باللسان المجرد وأن ينتهي به هذه الكلمة إلى الجنة، وإنما هي التجربة الواقعية والامتحان العلمي وملاقاة البلاء، ثم الصبر على تكاليف الجهاد، وعلى معاناة البلاء﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾[6]

الثبات على المنهج: إن الثبات على المنهج وعدم التزحزح عنه يمنة ويسرة لاسيما عند عواصف الفتن من علامات النجاح في الدعوة، فهذا هو طريق سلفنا الصالح الدين أمرنا باقتفاء آثارهم، والاهتداء بهديهم، يقول الله تعالى تعالى﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴾[7] قال ابن جرير:يقول تعالى ذكره ﴿مِّنَ

---

[1] الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، (13\574)

2 سورة محمد، الآية: 47.

3 سورة الأنفال، الآية:12.

[4] الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، (13 . 429)

5 البخاري، " الصحيح" كتاب المغازي، باب باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، ج4 ص1506.

6 سورة آل عمران الآية: 139.

7 سورة الأحزاب، الآية: 23.

University of Malaya

ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ بالله ورسوله ﴿ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ يقول: أوفوا بما عاهدوه عليه من الصبر على البأساء والضرّاء، وحين البأس ﴿ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ ﴾ يقول: فمنهم من فرغ من العمل الذي كان نذره الله وأوجبه له على نفسه، فاستشهد بعض يوم بدر، وبعض يوم أُحد، وبعض في غير ذلك من المواطن ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ﴾ قضاءه والفراغ منه، كما قضى من مضى منهم على الوفاء لله بعهده، والنصر من الله، والظفر على عدوّه. والنحب: النذر في كلام العرب. وللنحب أيضا في كلامهم وجوه غير ذلك، منها الموت[1].

وهو من علامات وجود حلاوة الإيمان في قلب المؤمن الصادق كما أخبر بذلك رسولنا صلى الله عليه وسلم، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار)).[2]

فالمبادئ عند المؤمن الصادق الإيمان أغلى من كل شئ حتى روحه، فهو يسير عليه لا يتنازل، مهما ضاقت عليه الأرض بما رحبت، لا لشيء إلا لأنه عندما بايع على المنهج كان يبايع الله تعالى وكان يد الله فوق يده، وكان على ثقة تامة بسلامة المنهج وصحته واستعد للبذل والتضحية من أجله ومن ثَم الثبات عليه وابتغاء الأجر والثواب من الله سبحانه وتعالى.

الثبات عند الممات: فمن علامات النجاح في الدعوة الثبات عليها عند الممات، لأن الإنسان يبعث على ما مات عليه، ومن الأشياء المعينة على ذلك الاستقامة على دين الله والثبات عليه في المحيى، يقول الله تبارك وتعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾[3]

وعن أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ ﴾ قال: ((قد قالها الناس، ثم كفر أكثرهم، فمن مات عليها فهو ممن استقام)).[4]

---

[1] الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، (20/ 237).

2 البخاري، "الصحيح"، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان (1/ 12).

3 سورة فصلت، الآية: 30.

4 الطبري،"جامع البيان" مرجع سابق، (21/ 464).

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: حضرت وفاة أبي أحمد، وبيدي الخرقة لأشد لحييه، فكان يغرق ثم يفيق ويقول بيده: لا بعد، لا بعد. فعل هذا مراراً فقلت له: يا أبتِ أي شيء ما يبدو منك؟ فقال: إن الشيطان قائم بحذائي عاض على أنامله يقول: يا أحمد فتني وأنا أقول لا بعد لا حتى أموت.[1]

والثبات في هذا الموقف لن يتم إلا بجهد وعمل دؤوب متواصل وإخلاص وتجرد تامين لله ليتم التثبيت عند الممات، يقول تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾[2]

الثبات عند علو الأعداء: فقد يصاب الإنسان بحالة من اليأس والقنوط، عند ارتفاع شأن الأعداء وعلو راياتهم، ولكن المسلم الواثق بنصر الله، والواعى لدينه، العامل له بإخلاص وتجرد، يعي تمامًا أن الحرب سِجَال وجولات، وأن النصر للمؤمنين حين يستوفون واجباته، وأن علو الباطل وأعوانه ما هو إلا لوقت محدود وأن العاقبة لمن اتقى. قال تعالى تعالى﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾.[3] وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴾.[4]

يقول تعالى مخبرا عما حتمه وقضاه لعباده الصالحين، من السعادة في الدنيا والآخرة، ووراثة الأرض في الدنيا والآخرة وأخبر تعالى أن هذا مكتوب مسطور في الكتب الشرعية والقدرية فهو كائن لا محالة.[5]

ويقول سيد قطب: "وهذا وعد الله الصادق الذي كان والذي لا بد أن يكون، على الرغم مما قد يبدو أحيانًا من الظاهر الذي يخالف هذا الوعد الصادق. فالذي وقع بالفعل أن الإيمان والتوحيد قد غلبًا على الكفر والشرك. واستقرت العقيدة في الله في هذه الأرض ودانت لها البشرية بعد كل ما وقف في طريقها من عقبات الشرك والوثنية، وبعد الصراع الطويل مع الكفر والشرك والإلحاد. وإذا كانت هناك فترات عاد فيها الإلحاد أو الشرك إلى الظهور في بعض بقاع

---

1 القرطبي،"التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة" الرياض،مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، ط: 1، (1425هـ).

2 سورة إبراهيم، الآية : 27.

3 الصفات الآية: 171-173.

4 الأنبياء الآية: 105-106.

5ابن كثير، تفسير ابن كثير، مرجع سابق، (384/5).

الأرض– كما يقع الآن في الدول الملحدة والوثنية– فإن العقيدة في الله ظلت هي المسيطرة بصفة عامة. فضلا على أن فترات الإلحاد والوثنية إلى زوال مؤكد، لأنها غير صالحة للبقاء. والبشرية تهتدي في كل يوم إلى أدلة جديدة تهدي إلى الاعتقاد في الله والتمكين لعقيدة الإيمان والتوحيد. والمؤمن يتعامل مع وعد الله على أنه الحقيقة الواقعة. فإذا كان الواقع الصغير في جيل محدود أو في رقعة محدودة يخالف تلك الحقيقة، فهذا الواقع هو الباطل الزائل. الذي يوجد فترة في الأرض لحكمة خاصة".[1]

فالناس كلهم سيموتون أما هو فيستشهد، وهو يغادر هذه الأرض إلى الجنة وغيره يغادرها إلى النار، وشتان بينهما، وهو يسمع نداء ربه الكريم، يقول: ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١٩٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٩٧ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ ﴾.[2]يقول ابن كثير: يقول تعالى: لا تنظروا إلى ما هؤلاء الكفار مُتْرفون فيه، من النِّعْمَة والغِبْطَة والسرور، فعَمّا قليل يزول هذا كله عنهم، ويصبحون مُرتَهَنين بأعمالهم السيئة، فإنما نَمُدّ لهم فيما هم فيه استدراجا، وجميع ما هم فيه ﴿ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴾.[3]

1 سيد قطب إبراهيم حسين، "في ظلال القرآن" مرجع سابق، (6/ 3514).

2 آل عمران الآية: 196-198.

3 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، (192/2)

University of Malaya

الوسائل المعينة على الثبات:-

أولاً: الإقبال على القرآن: ومن أحسن الوسائل المعينة على الثبات مصاحبة كتاب الله تبارك وتعالى، فالتمسك بالقرآن يقود الإنسان إلى الهداية والسبيل الرشاد، ويجب أن يكون القرآن هو المرجع الأساسي للداعية في جميع أحواله، وأن يكون القرآن هو السلاح الأول والأقوى للداعية.

قال القرضاوي: "القرآن الكريم هو المصدر الأول للإسلام، وكل تعاليم الإسلام يجب أن ترجع في أصولها إلى القرآن، العقائد المفاهيم والقيم، والعبادات والشعائر والأخلاق والآداب، والقوانين والشرائع، وكل هذه قد وضع القرآن أسسها، وأرسى دعائمها.

وينبغى للداعية أن يحفظ القرآن قدر ما يستطيع، بل يحسن للداعية أن يحفظ القرآن كله ويستظهره، فالقرآن ذخيرة لا تنفد، ومعين لا ينضب لامداد الدعاء"[1]

إن كتاب الله – القرآن الكريم – المنزل على خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم لأجل الإعجاز والتعبد هو وسيلة الثبات الأولى، وهو حبل الله المتين، والنور المبين، من تمسك به عصمه الله، ومن اتبعه أنجاه الله، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾.[2]

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ((تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه، أن لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة)). ثم قرأ هذه الآيات.[3]

وكما في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنها ستكون فتن))، قلت: فما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: ((كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل، ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيع به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، ولا تنقضي عجائبه، ولا تشبع منه العلماء، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم)).[4]

---

[1] القرضاوي، ثقافة الداعية، مرجع سابق، ص 8.

2 سورة طه، الآية: 123-125.

3 ابن أبي العز الحنفي، "شرح الطحاوية" ط دار السلام (ص 71).

4 التِّرْمِذِي، "السنن" أبواب القرآن، باب ما جاء في فضل القرآن. (22/5).

University of Malaya

وقد نص الله تبارك وتعالى على أنه ما ذكر قصص الأنبياء وأتباعهم في القرآن إلا لأجل تثبيت أفئدة المؤمنين، قال تعالى تعالى﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾.[1]

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ ﴾، يا محمد ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ ﴾، الذين كانوا قبلك ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾، فلا تجزع من تكذيب من كذبك من قومك، ورد عليك ما جئتهم به، ولا يضق صدرك، فتترك بعض ما أنزلت إليك.

فعن ابن جريج قوله: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾، قال: لتعلم ما لقيت الرسل قبلك من أممهم".[2]

ولمثل تلك الغاية العظمى أنزل الله هذا الكتاب منجماً مفصلاً، كما قال تعالى في معرض الرد على شُبه الكفار: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾.[3]يقول تعالى ذكره: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ بالله ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ يقول: هلا نزل على محمد صلى الله عليه وسلم القرآن ﴿جُمْلَةً وَٰحِدَةً ﴾كما أنزلت التوراة على موسى جملة واحدة؟ قال الله: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ تنزيله عليك الآية بعد الآية، والشيء بعد الشيء، لنثبت به فؤادك نزلناه.[4]

وقد جعل الله تبارك وتعالى القرآن مصدراً لتقوية وتثبيت أفئدة المؤمنين، فهو الذي يزرع الإيمان وينميه في القلبي، ويزكي النفس ويقوي الصلة بالله عز وجل.

كما أن تلك الآيات تتنزل برداً وسلاماً على قلب المؤمن فلا تعصف به رياح الفتنة، ويكون قلبه دائمًا وأبدًا مطمئنًا بذكر الله تعالى.

وكذلك أن كتاب الله هو الذي يزود المسلم بالتصورات والقيم الصحيحة التي يستطيع من خلالها أن يُقوِّم الأوضاع من حوله، ويمنحه – كذلك – الموازين التي تهيئ له الحكم على الأمور فلا يضطرب حكمه، ولا تتناقض أقواله باختلاف الأحداث والأشخاص.

---

1 سورة هود، الآية: 120.

2 الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، (15/ 539).

3 سورة الفرقان، الآية: 32.

4الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، (265/19).

University of Malaya

وكذلك أن القرآن يمد المؤمن قوة في الرد على الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام من الكفار والمنافقين كالأمثلة الحية التي عاشها الصدر الأول.

وقد يعجب الإنسان – ولا عجب من أمر الله لأنه على كل شيء قدير – أن الله يعد المؤمنين في رجوعهم من الحديبية بغنائم كثيرة يأخذونها (وهي غنائم خيبر) وأنه سيعجلها لهم وسينطلقون إليها دون غيرهم من المنافقين، وأنهم سيطلبون المسلمين وسيقولون لهم لن تتبعونا، ولأنهم يريدون أن يبدلوا كلام الله، وأنهم سيقولون للمؤمنين بل تحسدوننا وأن الله أجابهم بقوله: ﴿ **بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا** ﴾ثم يحدث هذا كله تمامًا كما ذكره الله عز وجل، أمام مرئى من المؤمنين، مرحلة بمرحلة، وخطوة بخطوة، وكلمة بكلمة.

ومن هنا ندرك الفرق بين الذين ربطوا حياتهم بالقرآن، وأقبلوا عليه تلاوة وحفظاً وتفسيراً وتدبراً واستنباطًا، منه ينطلقون، وإليه يفيئون، وبين من قدسوا كلام البشر وجعلوه نصب أعينهم، فمنه يتشربون منهج حياتهم.

ثانياً: الالتزام بشرع الله، والعمل الصالح:

فالداعية الناجح هو الذي يجعل قوله مطابقا ومصاحبا لعمله، لا أن يكون القول بلا عمل.

قال القرضاوي: "عبادة الله تعالى وتقواه، بأدائه فرائضه وإقامة شرائعه، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وإحلال حلاله، وتحريم حرامه. ولا سيما في أركان الإسلام، من الصلاة والصيام والزكاة وحج البيت. والتقرب إلى الله تعالى بالنوافل والذكر والتسبيح، والتحميد والتهليل والتكبير، والدعاء والاستغفار"[1]

ومن وسائل الثبات على دين الله وعلى الدعوة إلى الله التزام بشرع الله تعالى، وجعله هو المنطلق في الحياة، وكذلك التقرب إلى الله تعالى بالعمل الصالح، قال الله تعالى ﴿ **يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ** ﴾.[2]

---

[1] القرضاوي، "خطابنا الإسلامي في عصر العولمة" مرجع سابق، ص 80.

2 سورة إبراهيم الآية: 27.

قال قتادة – وكذا روي عن غير واحد من السلف–: ((أما الحياة الدنيا فيثبتهم بالخير والعمل الصالح، وفي الآخرة في القبر)).[1]

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ﴾[2] نقل الطبري عن أبي جعفر قوله: يعني جل ثناؤه بذلك: ولو أن هؤلاء المنافقين الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك، وهم يتحاكمون إلى الطاغوت، ويصدُّون عنك صدودًا "فعلوا ما يوعظون به"، يعني: ما يذكّرون به من طاعة الله والانتهاء إلى أمره "لكان خيرًا لهم"، في عاجل دنياهم، وآجل معادهم "وأشد تثبيتًا"، وأثبت لهم في أمورهم، وأقوم لهم عليها. وذلك أن المنافق يعمل على شك، فعمله يذهب باطلا وعناؤه يضمحلّ فيصير هباء، وهو بشكه يعمل على وناءٍ وضعف[3].

وقال في آية أخرى: ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ﴾[4] وقال أيضا: ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴾.[5]

فعمل الصالحات والطاعات، والتواصي بذلك يزكّي النفس، ويصفّي القلب، وهو كفارة للذنوب، ومبعدٌ عن مواقع الزلل والزيغ، قال الله تعالى: ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴾.[6] وتقدير الكلام الصبر والصلاة على مرضاة الله، واعلموا أنهما من طاعة الله[7]، وقال أيضا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾.[8]هذه الآية حضٌّ من الله تعالى ذكره على طاعته، واحتمال مكروهها على الأبدان والأموال فقال:"يا أيها الذينَ آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة" على القيام بطاعتي، وأداء فرائضي في ناسخ أحكامي، والانصراف عَما أنسخه منها إلى الذي أحدِثه لكم من فرائضي، وأنقلكم إليه من أحكامي، والتسليم لأمري فيما آمركم به في حين إلزامكم حكمه، والتحول عنه بعد تحويلي إياكم عنه وإن لحقكم في ذلك مكروهٌ من مقالة أعدائكم من الكفار بقذفهم لكم الباطل، أو مشقةٌ على أبدانكم في قيامكم به،

---

1 ابن كثير، "تفسير القرآن العظيم " مرجع سابق، ج/ 4ص502.

2 سورة النساء الآية: 66.

3الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، (8/ 528) .

4 سورة البلد الآية: 17.

5 سورة العصر الآية: 2-3.

6 سورة البقرة الآية: 45.

7 الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، (15/1).

8 سورة البقرة الآية: 153.

University of Malaya

أو نقصٌ في أموالكم وعلى جهاد أعدائكم وحربهم في سبيلي، بالصبر منكم لي على مكروه ذلك ومَشقته عليكم، واحتمال عنائه وثقله، ثم بالفزع منكم فيما يَنوبكم من مُفظِعات الأمور إلى الصلاة لي، فإنكم بالصبر على المكاره تُدركون مرضاتي، وبالصلاة لي تستنجحون طلباتكم قِبَلي، وتدركون حاجاتكم عندي، فإني مع الصابرين على القيام بأداء فرائضي وترك معاصيَّ، أنصرهُم وأرعاهم وأكلَؤُهم، حتى يظفروا بما طلبوا وأمَّلوا قِبَلي[1] وقال تعالى: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾.[2]

ثالثاً: تدبر قصص الأنبياء والصالحين، ودراستها للتأسي والعمل:

فالله تبارك وتعالى إنما ذكر قصص الأنبياء وأقوامهم والمعارك التي دارت بينهم، وهلاك أعداء الله من المخالفين للأنبياء وأقوامهم لأخذ العبرة وللتأسي بالرسل في صبرهم وتحملهم، لذا أمر الله بالاقتداء بهم واقتفاء آثارهم، فقال الله تعالى لما ذكر جملة من الأنبياء واجتباءه إياهم وهديه لهم: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴾.[3] يعني: الأنبياء المذكورين مع من أضيف إليهم من الآباء والذرية والإخوان وهم الأشباه ﴿ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ﴾ أي: هم أهل الهداية لا غيرهم، ﴿ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾أي: اقتد واتبع. وإذا كان هذا أمرا للرسول صلى الله عليه وسلم، فأمته تبع له فيما يشرعه لهم ويأمرهم به.[4]

قال القرضاوي: "العناية بالقصص القرآني: ومما ينبغي للداعية الالتفات إليه، والعناية به، وما اشتملت عليه من عبر وعظات، وأسرار وحكم بالغة"[5]

وأما في قصص الأنبياء وأقوامهم قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾.[6]

---

1 الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، (213/3) .

2 سورة العنكبوت الآية: 45.

3 سورة الأنعام، الآية: 90.

4 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، (299/3).

5 القرضاوي، "ثقافة الداعية" مرجع سابق، ص 20.

6 سورة هود الآية: 120.

فهذه الآية وما في معناها لم تنزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلّم لمجرد تشنيف الآذان بالقصص أو للتفكه، بل، إنّما تزلت لغرض عظيم ألا وهو لربط جأش النبي صلى الله عليه وسلم وتقوية فؤاده وتثبيت المؤمنين الذين معه. ففي قصص الأنبياء، والصالحين من الصحابة والتابعين، وتابعيهم بإحسان من علماء الأمة الأتقياء ما يزيد المرء ثباتاً واستقراراً.

فلو تأمل الداعية قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام إمام الموحدين الذي واجه طغيان الطغاة، وقول الله عز وجل فيه: ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾.[1]لما دَحَضت حجتهم، وبان عجزهم، وظهر الحق، واندفع الباطل، عدلوا إلى استعمال جاه ملكهم حتى إن كانت المرأة تمرض، فتنذر إن عوفيت أن تحمل حطبًا لحريق إبراهيم–ثم جعلوه في جَوْبة من الأرض، وأضرموها نارًا، فكان لها شرر عظيم ولهب مرتفع، لم توقد قط نار مثلها، وجعلوا إبراهيم، عليه السلام، في كفة المنجنيق بإشارة رجل من أعراب فارس من الأكراد اسمه هيزن فخسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة، فلما ألقوه قال: "حسبي الله ونعم الوكيل"، كما رواه البخاري، عن ابن عباس أنه قال: "حسبي الله ونعم الوكيل" قالها إبراهيم حين ألقي في النار، وقالها محمد حين قالوا: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾[2]لو تدبرهاالأدرك معنى من معاني الثبات أمام الطغيان والعذاب، وكيف تكون العاقبة للمتقين.

ولو تدبر قول الله عز وجل في قصة موسى عليه السلام: ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾.[3]

قال ابن جرير الطبري:ذكر غير واحد من المفسرين: أن فرعون خرج في جحفل عظيم وجمع كبير، وهو عبارة عن مملكة الديار المصرية في زمانه، أولي الحل والعقد والدول، من الأمراء والوزراء والكبراء والرؤساء والجنود[4] ورغم هول المشهد وفزع القوم كان جواب موسى ثابتا واثقا قال:﴿ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ

1 سورة الأنبياء الآية: 68-70.

2ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، (5/ 351).

3 سورة الشعراء الآية 61-62.

4 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، (143/6- 144).

رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴾ أي: لا يصل إليكم شيء مما تحذرون، فإن الله، سبحانه، هو الذي أمرني أن أسير هاهنا بكم، وهو لا يخلف الميعاد.

لأحسّ بمعنى آخر من معاني الثبات عند مطاردة وملاحقة الظالمين للمؤمنين، أي: الثبات في لحظات الشدّة وسط صرخات اليائسين.

فيحسن بالداعية أن يتدبر قصة السحرة مع فرعون فقد ذكرها الله تبارك وتعالى عدة مرات في القرآن لأخذ العبرة فيها، وكيف تمسك السحرة – مع قلتهم وقلة عتادهم أمام فرعون وجنوده – بالحق بعدما تبين لهم، فهذه القصة من الأمثلة الواضحة التي يحسن أن يتمسك بها الداعية ويستهدي بنورها أمام تهديدات الظالمين والصادين عن سبيل الله تعالى. قال الله عز وجل:﴿ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ ﴾[1] إنّه ثبات القلة المؤمنة الذي لا يشوبه أدنى تراجع وهم يقولون: ﴿ قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ﴾.[2]أي: لن نختارك على ما حصل لنا من الهدى واليقين.[3]

وفي قصة مؤمن المؤمن في سورة يس، وهكذا قصة مؤمن آل فرعون وقصة أصحاب الأخدود، وغيرها من القصص القرآنية، يفيد المؤمن منها دروسًا من أهما الثبات على دين الله وعلى الدعوة حتى الممات.

وهذا عروة بن الزبير أحد فقهاء التابعين في الإسلام، مثل صالح للمؤمن الصابر الراضي، المقدر لنعم الله، فقد رووا أن رجله وقعت فيها الأكلة فقرر الأطباء قطعها حتى لا تسري إلى ساقه كله ثم إلى فخذه وسائر جسده، فطابت نفسه بنشرها، فعرضوا عليه أن يشرب شيئاً يخمِّر عقله حتى لا يحس بالألم ويتمكنوا من قطعها، فقال: ((ما ظننت أن أحداً يؤمن بالله يشرب شيئاً يغيِّب عقله، حتى لا يعرف ربه عز وجل، ولكن هلموا فاقطعوها))، فقطعوها من ركبته وهو صامت لا يتكلم، ففي تلك الليلة التي قُطعت فيها رجله سقط ابن له –كان أحب أولاده إليه– من سطح فمات، فدخلوا عليه فعزوه فيه، فقال رضي الله عنه: اللهم لك الحمد، كانوا سبعة فأخذت واحداً

1 سورة طه الآية:71.

2 سورة طه الآية:72 .

3ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، (304/5).

وأبقيت ستة، وكانت لي أطراف أربعة فأخذت واحداً وأبقيت ثلاثة، فإن كنت أخذت فلقد أعطيت، ولئن كنت قد ابتليت لقد عافيت أخذت عضواً وأبقيت أَعْضَاء وَأخذت ابناً وأبقيت أَبنَاء.[1]

رابعاً: الدعاء:

ومن صفات عباد الله المؤمنين أنّهم يتوجهون إلى الله عز وجل بالدعاء أن يثبتهم، فالدعاء من أقوى ما يعين المسلم على ذلك، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنّ الدعاء سلاح المؤمن)).[2]

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو لأصحابه بالثبات، ومن ذلك دعائه لعبد الله بن رواحة رضي الله عنه: ((وأنت فثبتك الله يا ابن رواحة، قال هشام فثبته الله أحسن الثبات، قتل شهيداً، وفتحت له الجنة ودخلها)).[3]

ومن كان حريصًا على الدعاء ستراه يَلهج به في كل وقت وحين، ويكون ذلك تذكيراً له لاتخاذ أسباب الثبات والحذر من أسباب الزيغ والانحراف؛ والدعاء فيه تذكير بمحاسبة النفس عن كل مؤثر على مسيرة القلب نحو الله عز وجل، وقد ذكر الله تعالى نماذج من أدعية الأنبياء والصالحين الشيء الكثير في كتابه العظيم فمنها قوله تبارك وتعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ ،[4] وقوله تبارك وتعالى: ﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾،[5] وقوله عز وجل حكاية عن سحرة فرعون: ﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا ۚ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾[6] وقوله تعالى حكاية عن أدعية الرسل وأتباعهم: ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾.[7]

---

1 الذهبي، "الكبائر" بيروت، دار الندوة الجديدة، (ص 192).

1 أبو يعلى الموصلي التميمي، "مسند أبو يعلى" باب مسند جابر، دمشق، للتراث (1404هـ – 1984م) دار المأمون، ج/3ص346.

3ابن الجوزي "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم" بيروت، دار صادر، ط:1، (1358هـ)، (350/3)

4 سورة آل عمران، الآية:8.

5 سورة البقرة، الآية: 250.

6 سورة الأعراف، الآية: 126.

7 سورة آل عمران الآية:147.

University of Malaya

ولما كانت "قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن، كقلب رجل واحد، يصرفها كيف يشاء، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرًا ما يقول: ((اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك)).[1]

وكذلك نجد كثيرًا من أدعية الصالحين المأثورة، تركز كثيرًا على معنى الثبات، ومن ذلك دعاء عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ((اللهم إني أسألك إيمانًا لا يرتدّ، ونعيمًا لا ينفد)).[2]

وقال شداد بن أوس رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا كلمات ندعو بهنّ في صلاتنا: ((اللهم إني أسألك الثبات في الأمر وأسألك عزيمة الرشد)).[3]

ولقد استعان نبي الله يوسف عليه السلام بالله تعالى في الثبات أمام كيد امرأة العزيز وسائر نساء ومصر، فتوجه إلى الله بالدعاء وقائلاً: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾.[4]

خامساً: ذكر الله:

ومن صفات عباد الله المؤمنين والدعاة إلي سبيله القويم كثرة ذكر الله تعالى بالقلب واللسان، لكون الذكر عاصمًا لهم عن الزيغ حافزًا لهم على مواصلة المسيرة نحو الله تعالى، لأن من أحب شيئًا أكثر من ذكره، ومن أكثر من ذكر الله تعالى ذكر الله تعالى في الملأ الأعلى ويكون معه مؤيدًا وناصرًا وظهيرًا قال تعالى: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾،[5] وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴾.[6]

فكان كثرة ذكر الله تعالى من أعظم وسائل الثبات على دين الله تعالى، وعلى الدعوة إلى الله، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾ ،[7] وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا

---

7 مسلم، "الصحيح" كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء، ج/8،ص51.

2 ابن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، "المسند" أحمد، باب مسند عبد الله بن مسعود، ج/ 1، ص454.

3 ابن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، باب الثامن والعشرون، ج، 28/ص 356.

4 سورة يوسف، الآية: 33.

5سورة البقرة، الآية: 152.

6 سورة الأحزاب، الآية: 41-42.

7سورة الحج، الآية: 35.

﴿ تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[1] نقل الطبري عن ابن عباس قوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ ﴾ قال: المنافقون لا يدخل قلوبهم شيء من ذكر الله عند أداء فرائضه، ولا يؤمنون بشيء من آيات الله، ولا يتوكلون، ولا يصلون إذا غابوا، ولا يؤدون زكاة أموالهم، فأخبر الله تعالى أنهم ليسوا بمؤمنين، ثم وصف المؤمنين فقال: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ ﴾ فأدوا فرائضه. ﴿ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا ﴾ يقول: تصديقًا ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ يقول: لا يرجون غيره.[2]

فذكر الله من أعظم أسباب التثبيت، فليتأمل القارئ الكريم الاقتران بين الثبات وذكر الله في قوله عز وجل﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾،[3] فجعله من أعظم ما يُعين على الثبات في الجهاد.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ﴾[4].

ولقد استعان نبي الله يوسف عليه السلام بذكر الله في الثبات أمام فتنة المرأة ذات المنصب والجمال لما دعته إلى نفسها، فدخل في حصن ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ ﴾،فتكسرت أمواج جنود الشهوات أمام أسوار حصنه، قال الله عز وجل: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[5]يقول جل ثناؤه: قال يوسف إذ دعته المرأة إلى نفسها، وقالت له:"هلم إلي": أعتصم بالله من الذي تدعوني إليه، واستجير به منه. وقوله: ﴿أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ﴾ يقول: أحسن منزلتي، وأكرمني وائتمنني، فلا أخونه.[6]

---

1 سورة الأنفال الآية: 2.

2الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، (11/4).

3 سورة الأنفال الآية: 45.

2 سورة الأنفال الآية: 12.

3 سورة يوسف الآية:23.

6 الطبري، جامع البيان،ة مرجع سابق، (32/16)

وهكذا تكون فاعلية الأذكار في تثبيت المؤمنين في كل زمان ومكان، وإذا غفل المؤمن عن ذكر الله تعالى جثم الشيطان الرجيم على قلبه، وانبسط عليه، وبذر فيه أنواع الشرور والوساوس، فيصبح منغمسًا في الذنوب، مستهينًا بها، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴾،[1] يقول تعالى ذكره: ومن يعرض عن ذكر الله فلم يخف سطوته، ولم يخش عقابه ﴿ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ يقول: نجعل له شيطانا يغويه فهو له قرين: يقول: فهو للشيطان قرين، أي يصير كذلك، وأصل العشو: النظر بغير ثبت لعلة في العين، يقال منه: عشا فلان يعشو عشوا وعشوّا: إذا ضعف بصره، وأظلمت عينه، كأن عليه غشاوة.[2]

وقال عز وجل: ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾.[3]

يكون الشيطان دائمًا مع العبد، فإذا ذكر ربه عز وجل، واستعاذ به انخنس الشيطان وانقبض. قال قتادة رحمه الله: ((والله ما نسي قوم ذكر الله عز وجل إلا باروا[4] وفسدوا)).[5]

يقول ابن القيم: "إن دوام ذكر الرب تبارك وتعالى يوجب الأمان من نسيانه الذي هو سبب شقاء العبد في معاشه ومعاده، فإنّ نسيان الرب سبحانه وتعالى يوجب نسيان نفسه ومصالحها ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾،[6] وإذا نسي العبد نفسه أعرض عن مصالحها ونسيها، واشتغل عنها، فهلكت وفسدت ولا بد، كمن له زرع أو بستان أو

---

1 سورة الزخرف، الآية: 36-38.

2 الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، (603/21)

2 سورة المجادلة الآية:19.

4 مشتق من البوار وهو الهلاك، قال الخليل: البوار الهلاك، تقول: باروا، وهم بور، أي ضالون هلكى. وأبارهم فلان، وقد يقال للواحد والجميع والنساء والذكور بور. قال الله تعالى: ﴿ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴾[الفتح: 12]. انظر: حمد بن فارس "معجم مقاييس اللغة"دار الفكر، عام النشر: (1399هـ - 1979م) (1/ 316).

5 ابن قيم الجوزية، "إغاثة اللهفان" بيروت، دار المعرفة، ط:2، (1395 – 1975)، ج/ 2، ص243.

6 سورة الحشر الآية:19.

University of Malaya

ماشية أو غير ذلك ومما صلاحه وفلاحه بتعاهده والقيام عليه، فأهمله ونسيه، واشتغل عنه بغيره وضيع مصالحه، فإنّه يفسد ولابد".[1]

سادساً: الحرص على سلوك طريق أهل السنة والجماعة:

إنّ الطريق الوحيد الصحيح الذي يجب على كل مسلم سلوكه هو طريق السلف الصالح أهل السنة والجماعة، طريق الطائفة المنصورة والفرقة الناجية، أهل العقيدة الصافية، والمنهج السليم، واتباع السنة والدليل، والتميز عن أعداء الله ومفاصلة أهل الباطل.

فعن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال: النبي صلى الله عليه وسلم: ((ثم خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)). قال عمران: لا أدري أذكر النبي صلى الله عليه وسلم بعد قرنه قرنين أو ثلاثة. وعن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته)).[2]

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة، وإن أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة)).[3]

وعن بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: ((يا عبد الله بن مسعود))! فقلت: لبيك يا رسول الله ثلاث مرار. قال: ((هل تدري أي عرى[4] الإيمان أوثق؟) قلت: الله ورسوله أعلم، قال: ((أوثق عرى الإيمان الولاية في الله بالحب فيه والبغض فيه. يا عبد الله بن مسعود))! قلت: لبيك يا رسول الله ثلاث مرار. قال: ((هل تدري أي الناس أفضل؟ قلت الله ورسوله أعلم، قال: فإن أفضل الناس أفضلهم عملاً إذا فقهوا في دينهم. يا عبد الله بن مسعود)) قلت: لبيك وسعديك ثلاث مرار. قال: ((هل تدري أي الناس أعلم؟)) قلت: الله ورسوله أعلم. قال: ((فإن أعلم الناس أبصرهم بالحق إذا اختلفت الناس، وإن كان مقصرًا في العمل، وإن كان يزحف على إسته، واختلف من كان قبلنا على اثنتين وسبعين فرقة، نجا منها ثلاث وهلك سائرها، فرقة: وازت الملوك وقاتلتهم على دين الله ودين عيسى بن مريم حتى قتلوا، وفرقة لم يكن لهم طاقة

1 ابن قيم الجوزية، "الوابل الصيب" بيروت: دار الكتاب العربي، ط:1، (1405هـ – 1985م) ج/، 1ص 67.

1 البخاري، "الصحيح"كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، ج/ 19،ص441.

3 ابن ماجة، "السنن"كتاب الفتن، باب افتراق الأمة، ج/2،ص1322.

4 عراه يعروه عروًا، قصده لطلب رفده، واعتراه مثله، فالقاصد عار والمقصود معرو، وعراه أمر واعتراه أصابه، والجمع عرى، مثل مدية ومدى وقوله – عليه الصلاة والسلام – «وذلك أوثق عرى الإيمان» على التشبيه بالعروة التي يستمسك بها ويستوثق.

بموازاة الملوك، فأقاموا بين ظهراني قومهم، فدعوهم إلى دين الله ودين عيسى بن مريم فاقتلتهم الملوك ونشرتهم بالمناشير، وفرقة لم يكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولا بالمقام بين ظهراني قومهم، فدعوهم إلى الله وإلى دين عيسى بن مريم، فساحوا في الجبال وترهبوا فيها، فهم الذين قال الله فيهم: ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴾ ،فالمؤمنون الذين آمنوا بي وصدقوني، والفاسقون الذين كفروا بي وجحدوا بي)).[1]

سابعاً: التربية السليمة:

تعد التربية الإيمانية العلمية الواعية المتدرجة عامل أساسي من عوامل الثبات. فالتربية الإيمانية: هي التي تحيي القلب والضمير، وتورث الخوف بالله عز وجل، ورجاء ما عنده، ومحبته المنافية للجفاف العاطفي الناتج عن البعد عن نصوص القرآن والسنة والعكوف على أقاويل الرجال.

* التربية العلمية: القائمة على الدليل الصحيح المنافي للتقليد والأمعية الذميمة.

قال الإمام الزهري: ((كان من مضى من علمائنا يقولون إن الاعتصام بالسنة نجاة، والعلم يقبض قبضًا سريعًا فنشر العلم ثبات الدين والدنيا، وفي ذهاب العلم ذهاب ذلك كله))[2].

* التربية الواعية: التي لا تعرف سبيل المجرمين، وتدرس خطط أعداء الإسلام وتحيط بالواقع علماً وبالأحداث فهماً وتقويماً، المنافية للانغلاق والتقوقع على البيئات الصغيرة المحدودة.

* التربية المتدرجة: التي تأخذ بيد المسلم شيئاً فشيئاً، ترتقي به في مدارج الكمال البشَرِي بتخطيط موزون، دون الارتجال والتسرع والقفزات الشبابية التي تحطِّمه.

---

[1] الحاكم "المستدرك" رقم الحديث (3790) ج2 ص480.

2 الأصبهاني، "حلية الأولياء" بيروت: دار الكتاب العربي، ط: 4، (1405) ج/ 3، ص369.

University of Malaya

ثامناً: الثقة بالطريق

لا شك أنه كلما ازدادت الثقة بالطريق الذي يسلكه المسلم، كان ثباته عليه أكبر، ولهذا وسائل كثيرة منها:

1- استشعار أن الصراط المستقيم الذي تسلكه ليس جديداً، ولا وليد زمانك، وإنّما هو طريق قديم قد سار فيه من قبلك الأخيار من الأنبياء، والصديقين، والأولياء والعلماء الصالحين، والشهداء، عند ذلك تزول غُرْبَتك، وتنقلب وحشتك أنساً، وكآبتك فرحاً وسروراً، لأنك تشعر بأن أولئك كلهم أخوة لك في الطريق والمنهج.

2- الشعور بالاصطفاء والاجتباء، وأن العبد إذا رأى نفسه منغمسًا في أمور الدين فليستشعر أن الله اجتباه وهذا واصطفاه وحرم غيره من هذا الخير العظيم، قال الله عز وجل: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾،[1] وقالى تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾،[2] وقال تعالى في يوسف عليه الصلاة والسلام﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ ﴾.[3]

وكما أنّ الله اصطفى الأنبياء من عباده، فللصالحين نصيب من ذلك الاصطفاء، وهو ما ورثوه من علوم الأنبياء.

3- كيف يكون شعور الإنسان لو أنّ الله تعالى خلقه جماداً، أو دابة، أو كافراً ملحداً، أو داعياً إلى بدعة وضلاله مستميتًا في الدفاع عنها، أو خلقه الله فاسقاً، أو مسلماً عاديًا غير داعية لإسلامه، أو داعية في طريقٍ ذي عوج؟ ألا يرى أنّ شعوره باصطفاء الله له، أن جعله داعية من أهل الحق من الحوافز التي تجعله يستمسك بهذا الدين ويكون هذا من عوامل ثباتك على المنهج المستقيم؟

تاسعاً: ممارسة الدعوة إلى الله عز وجل:

إنّ النفس البشرية إذا لم تتحرك تأسن، وإن لم تنطلق تتعفن، ومن أعظم مجالات انطلاق النفس: الدعوة إلى الله، فهي وظيفة الرسل، ومخلصة النفس من العذاب، فيها تتفجر الطاقات، وتنجز المهمات قال تعالى: ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ

---

1 سورة النمل الآية: 59.

2 سورة فاطر الآية: 32.

3 سورة يوسف الآية: 6.

أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾.[1]

وليس يصحّ شيء أن يقال في الإنسان: "فلان لا يتقدم ولا يتأخر" فإنّ النّفس إن لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية.

قال القرضاوي: "فإن الدعوة إلى الله تعالى هي مهمة الرسل والأنبياء، الذين هم خيرة الله من عباده، وسفرائه إلى خلقه، وهي مهمة خلفاء الرسل وورثتهم من العلماء العاملين، والربانيين الصادقين، وهي أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله تعالى، لأن ثمرتها هداية الناس إلى الحق، وتحبيبهم في الخير، وتنفيرهم من الباطل والشر، وإخراجهم من الظلمات إلى النور"[2]

والدعوة إلى المنهج الصحيح تكون ببذل الوقت، وكدّ الفكر، وسعي الجسد، وانطلاق اللسان، بحيث تصبح الدعوة همّ المسلم وشغله الشاغل، الذي يقطع الطريق على محاولات الشيطان بالإضلال والفتنة، زِد على ذلك ما يحدث في نفس الداعية من الشعور بالتحدي تجاه العوائق، والمعاندين وأهل الباطل، وهو يسير في مشواره الدّعوي، فيرتقي إيمانه، وتقوى أركانه. فتكون الدعوة بالإضافة لما فيها من الأجر العظيم وسيلة من وسائل الثبات، والحماية من التراجع والتقهقر، لأنّ الذي يُهاجِم لا يحتاج للدفاع، والله مع الدعاة يثبّتهم ويسدّد خطاهم، والداعية كالطبيب لا يحارب المريض إنّما يحارب المرض بخبرته وعلمه، وبمحاربته في الآخرين فهو أبعد من غيره عن الوقوع فيه.

عاشرا: الثقة بنصر الله تعالى وأن المستقبل للإسلام:

إنّنا نحتاج إلى الثبات كثيراً عند تأخر النصر، حتى لا تزل قدم بعد ثبوتها، قال تعالى: ﴿ **وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ** ﴾[3]معناه: كم من نبي قُتِل وقتل معه ربيون من أصحابه كثير. وهذا القول هو اختيار ابن

---

1 سورة الشورى الآية: 15

[2] القرضاوي، "خطابنا الإسلامي في عصر العولمة" مرجع سابق، ص 3.

1 سورة آل عمران :146-148

جرير، فإنه قال: وأما الذين قرؤوا: ﴿قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ فإنهم قالوا: إنما عنى بالقتل النبي وبعض من معه من الربيين دون جميعهم، وإنما نفي الوهن والضعف عمن بقي من الربيين ممن لم يقتل[1].

ولما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلّم أن يثبّت أصحابه المعذبين في مكة، أخبرهم بأن المستقبل للإسلام في أوقات التعذيب والمحن، فقد جاء في حديث خباب بن الأرت رضي الله تعالى عنه مرفوعاً عند البخاري، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: ((وليُتمنّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله والذئبَ على غنمه))[2]. فعلى هذا يتبين أن عرضَ أحاديث البشارة بأنّ المستقبل للإسلام على الناشئة مهمّ في تربيتهم على الثبات.

نعم! إنّ المستقبل لهذا الدين، لأن فيه منهج حياة للبشرية جمعاء، وهو الدين الوحيد الذي يشتمل على كل المقومات المنظِّمة لشتى جوانب الحياة البشرية، ولقد كافح الإسلام –وهو أعزل– لأن عنصر القوة كامن في طبيعته، وكامن في بساطته ووضوحه، وشموله، وملائمته للفطرة البشرية، وتلبيته لحاجاتها الحقيقية، وأعداؤه يحاربونه لأجل ذلك، ولأنه يقف عائقاً أمامهم عن تحصيل شهواتهم النفسية البهيمية وكذلك حيلولته دون تحقيق أهدافهم الاستعمارية الاستغلالية، ولكن، الذي لا شك فيه أنه سينتصر كما انتصر في السابق، وسيكون المستقبل لهذا الدين.[3]

فمن طبيعة المنهج الذي يرسمه الإسلام، ومن حاجة البشرية إلى هذا المنهج نستمد نحن المسلمين يقيننا الذي لا يتزعزع في أن المستقبل للإسلام، وأنَّ له دوراً كبيراً في هذه الأرض، دوراً في قيادة البشرية، خاصة بعد أن أثبت الواقع البشري إفلاس كل النظم والمذاهب في مناهجها وتشريعاتها وعقائدها، إن الإسلام مدعو لأداء دوره في المستقبل القريب، أراد أعداؤه أم لم يريدوا[4].

---

1 الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، (130/2)

3 البخاري "الصيحيح" في أكثر من موضع من صحيحه، منها: 3639 ،1398/3، باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المشركين بمكة ، 6544، 2546/6، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر.

3 للمزيد انظر: المستقبل لهذا الدين، وهو موجود على الانترنت منبر التوحيد والجهاد، http://www.tawhed.ws و http://www.almaqdese.comلسيد قطب، تاريخ الزيارة 3 أبريل 2016م.

4 المرجع السابق 92-93.

University of Malaya

الحادي عشر: الإيمان بالقضاء والقدَر يهوِّن على المؤمنين البلاء:

إنّ ما ينزل بالمؤمنين من المصائب والشدائد ليس ضربات تقع هكذا، ولا هي خبط عشواء، ولكنّها تصيبهم وفق قدر الله المعلوم، وقضائه المرسوم، ووفق حكمته وكتابته، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ﴾،[1] وقال عز وجل﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا ﴾،[2] وقال تعالى أيضا: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴾[3]. فآمن المؤمنون الصادقون بأنّ ما أصابهم لم يكن ليخطئهم، وما أخطأهم لم يكن ليصيبهم... ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾[4]وهنا يخبر تعالى عن قدره السابق في خلقه قبل أن يبرأ البرية فقال: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ ﴾ أي: في الآفاق وفي نفوسكم ﴿ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآ ﴾ أي: من قبل أن نخلق الخليقة ونبرأ النسمة[5].

وعرفوا أن من صفة الله تعالى أن يقدر ويلطف، ويبتلي ويخفف، ومن ظن انفكاك لطفه الله تعالى عن قدره فذلك لقصور نظره وتصوره،﴿ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[6].

وعرفوا من لطف ربهم تعالى أنّ هذه الشدائد دروس قيمة لهم، وتجارب نافعة لدينهم ودنياهم، تنضح نفوسهم، وتصقل إيمانهم، وتذهب صدأ قلوبهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنما مثل العبد المؤمن حين يصيبه الوعك[7] أو الحمى كمثل حديدة تدخل النار فيذهب خبثها، ويبقى طيبها))[8]

---

1 سورة الفرقان الآية: 2.

2 سورة الأحزاب الآية: 38.

3 سورة القمر الآية: 49.

4 سورة الحديد الآية: 22 .

5 ابن كثير، تفسير القرأن العظيم، مرجع سابق، (26/8).

6 سورة يوسف الآية: 100.

7 الوعك وهو الحمى. وقيل: ألمها. وقد وعكه المرض وعكا. ووعك فهو موعوك. انظر: ابن الأثير الجزري، "النهاية في غريب الحديث والأثر" مرجع سابق، (5/ 207).

4 الحاكم، "المستدرك" رقم الحديث: (1288) ج1، ص 347.

الثاني عشر: معرفة حقيقة الباطل ومخططاته وعدم الاغترار به مهما تجبّر وتكبّر:

قال الله عز وجل: ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١٩٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴾،[1] يقول ابن كثير: يقول تعالى: لا تنظروا إلى ما هؤلاء الكفار مُتْرفون فيه، من النِّعْمَة والغِبْطَة والسرور، فعَمّا قليل يزول هذا كله عنهم، ويصبحون مُرتَهَنين بأعمالهم السيئة، فإنما نَمُدّ لهم فيما هم فيه استدراجا، وجميع ما هم فيه ﴿ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴾،[2]ففي هذه الآية تسلية للمؤمنين وتثبيت لهم.

وقوله عز وجل: ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴾،[3] ففي هذه عبرة لأولي الألباب في عدم الخوف من الباطل والاستسلام له.

ومن طريق القرآن في تثبيت أهل الحق فضح أهل الباطل وتعرية أهدافهم ووسائلهم، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾،[4] حتى لا يؤخذ المسلمون على حين غرة، وحتى يعرفوا من أين يؤتى الإسلام. وكم سُمع ورأي من حركات تهاوت، ودعاة زلت أقدامهم، فتساقطوا وفقدوا الثبات لما أتوا – بسبب جهلهم بأعدائهم– من حيث لم يحتسبوا.

---

1 سورة آل عمران الآية: 196-197.

[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، (192/2)

3 سورة الرعد، الآية: 17.

4 سورة الأنعام، الآية: 55.

University of Malaya

المبحث الثاني: ثواب الثابتين على الحق وفضلهم.

إن للثابيتين على دين الله عز وجل أجر عظيم من الله تبارك وتعالى، وهذا من فضله سبحانه على خلقه أنه لا يبخس لأحد حقه من الأجور قلت أم كثرت، فيحصيها لهم ثم يوفيهم إياها، يقول الله تعالى﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴾.[1]

قال الطبري رحمه الله تعالى: "يقول تعالى ذكره: فمن عمل من هؤلاء الذين تفرقوا في دينهم بما أمره الله به من العمل الصالح، وأطاعه في أمره ونهيه، وهو مقر بوحدانية الله؛ مصدق بوعده ووعيده متبرئ من الأنداد والآلهة ﴿ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴾ يقول: فإن الله يشكر عمله الذي عمل له مطيعا له، وهو به مؤمن، فيثيبه في الآخرة ثوابه الذي وعد أهل طاعته أن يثيبهموه، ولا يكفر ذلك له فيجحده، ويحرمه ثوابه على عمله الصالح ﴿ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴾ يقول: ونحن نكتب أعماله الصالحة كلها، فلا نترك منها شيئا لنجزيه على صغير ذلك وكبيره وقليله وكثيره"[2].

فالحمد لله الجواد الكريم؛ الذي يجزي الحسنة بعشر أمثالها، ولا حد لكرمه في مضاعفتها، وشكرله على جوده وكرمه وإحسانه، جعل العمل الصالح دليلا على الإيمان، وسببًا للجزاء والثواب، فلن يدخل أحد الجنة بعمله وإنما برحمة الله تعالى، والإيمان والعمل الصالح سببان لرحمته سبحانه وتعالى، والنبي صلى الله عليه وسلم حث على ديمومة العمل والثبات عليه، وكان إذا عمل عملا أثبته، أي: دوام عليه، وأحب الأعمال إليه أدومها وإن قل.

وليس جزاء العمل الصالح مقتصرا على الجزاء الأخروي فقط، كما يظن ذلك بعض من الناس، بل إن الله تعالى يجازي من يعمل صالحًا جزاء دنيويا عاجلا كما دلت على ذلك النصوص القرآنية والأحاديث النبوية.

روي أنس بن مالك رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً، يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ...))[3]. يجزيه الله في الدنيا بأنواع الجزاء الدنيوي، كالبسط والسعة في الرزق، المحبة في قلوب العباد، وغير ذلك. قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: ((إنّ للحسنة ضياءً في الوجه، ونورًا في القلب، وسعة في الرزق، وقوةً في البدن، ومحبةً

1 سورة الأنبياء الآية: 94.

2الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، (18/ 524).

3 مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب جزاء المؤمن بحسناته، ج/8، ص135.

في قلوب الخلق. وإنّ للسيئة سوادًا في الوجه، وظلمةً في القلب، ووهنًا في البدن، ونقصًا في الرزق، وبغضةً في قلوب الخلق)).[1]

فالعمل الصالح والثبات عليه سبب لسعادة القلب وفرحه، وذهاب همه وغمه؛ ولذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يرتاح بالصلاة، وجعلت قرة عينه فيها، وكان إذا حزبه أمر صلى،[2] والمؤمن يجد لذة وسعادة عقب كل عمل صالح يعمله، وهذه السعادة التي لا تشترى بمال، ولا تنال بجاه، وهي من الجزاء العاجل على العمل الصالح والمداومة عليه، قال تعالى﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[3] فلا يوجد أحد من الناس لا يريد أن يحيى في هذه البسيطة الحياة الطيبة الهانئة، وَالْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ تَشْمَلُ وُجُوهَ الرَّاحَةِ مِنْ أَيِّ جِهَةٍ كَانَتْ.

وسنذكر فيما يلي الثواب المترتب على العمل الصالح والثبات عليه وفضل من اتصف بوصف الثبات على دين الله تعالى:

أ- من الثواب المترتب على العمل الصالح والثبات عليه: ودُّ الخلق ومحبتهم، والقلوب لا يملكها إلا الله تعالى، فيقذف في قلوب الناس محبة من يعمل صالحا، وهذا أمر مجرب معروف؛ فإنك ترى الله يقذف في قلوب العباد محبة الذي يداوم على العمل الصالح، ولو لم يعملوا عمله، بل حتى الفساق المسرفون على أنفسهم يحبون أهل الخير ومزاولي الأعمال الصالحة، ولا يكره الصالحين إلا أهل الشر والاستكبار من أهل الكفر والنفاق، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾.[4]

قال ابن جرير الطبري رحمه الله: "يقول تعالى ذكره: إن الذين آمنوا بالله ورسله، وصدقوا بما جاءهم من عند ربهم، فعملوا به، فأحلوا حلاله، وحرموا حرامه ﴿ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾في الدنيا، في

1ابن القيم الجوزية، "الداء والدواء"، جدة، دار عالم الفوائد، ط: 1، (1429) ط (ص 135).

2أحمد بن حنبل، مسند، مرجع سابق، (330/38).

3 سورة النحل الآية: 97 .

4 سورة مريم الآية: 96

صدور عباده المؤمنين".[1] وعن ابن عباس رضي الله عنهما، في قوله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ قال: محبة في الناس في الدنيا.[2]

وقال رضي الله عنه: ((الود من المسلمين في الدنيا، والرزق الحسن، واللسان الصادق)).[3]

وعن عثمان بن عفان كان يقول: ((ما من الناس عبد يعمل خيرا ولا يعمل شرا، إلا كساه الله رداء عمله)).[4]

ب- ومن الثواب المترتب على العمل الصالح والثبات عليه: صلاح أحوال العبد ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾.[5]

والبَال: الحال التي يكترث بها، ولذلك يقال: ما باليت بكذا بالة، أي: ما اكترثت به[6].

أي: أصلح دينهم ودنياهم، وقلوبهم وأعمالهم، وأصلح ثوابهم، بتنميته وتزكيته، وأصلح جميع أحوالهم.

فإصلاح البال جامع بين إصلاح الأمور كلِّها؛ لأن تصرفات الإنسان تأتي على حسب رأيه، والمعنى: أقام أنظارهم وعقولهم فلا يفكرون إلا صالحًا، ولا يتدبرون إلا ناجحًا.

ولا تستوي حياة من يعمل صالحًا مع حياة من يعمل سيئًا، كما لا يستوي مماتهما قال تعالى تعالى﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.[7]

وكان تميم الداريُّ رضي الله عنه يصلي ذات ليلة عند المقام فبلغ هذه الآية فجعل يبكي ويردد إلى الصباح، وعن الفضيل أنه بلغها فجعل يرددها ويبكي ويقول: يا فضيل، ليت شعري من أي الفريقين أنت؟ وَكَانَتْ هَذِهِ الْآيَةُ تُسَمَّى مَبْكَاةُ الْعَابِدِينَ[8].

---

1 الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، (18/ 261).

2 المصدر السابق (18/ 261)

3 المصدر السابق (18/ 262).

4 المصدر السابق.

5 سورة محمد الآية: 2.

6 المفردات (ص155).

7 سورة الجاثية الآية: 21.

8 النسفي، "مدارك التنزيل وحقائق التأويل المعروف بتفسير النسفي" بيروت، دار الكلم الطيب، ط: 1، (1419 هـ - 1998م)، (302/3).

University of Malaya

ج- ومن الثواب المترتب على العمل الصالح والثبات عليه: حفظ أهل العامل وذريته، قال تعالى في سورة الكهف: ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾.[1]

وكان أبوهما صالحا، قيل: كان من الأتقياء. قال ابن عباس رضي الله عنهما: ((حفظا بصلاح أبيهما)).

وقيل: كان بينهما وبين الأب الصالح سبعة آباء. قال محمد بن المنكدر: ((إن الله يحفظ بصلاح العبد ولده وولد ولده، وعترته وعشيرته وأهل دويرات حوله، فما يزالون في حفظ الله ما دام فيهم)). قال سعيد بن المسيب: ((إني لأصلي فأذكر ولدي فأزيد في صلاتي)). [2] ففي الحديث: ((احفظ الله يَحفظْك)).[3]

وحفظ الله تعالى هو حفظ أوامره ونواهيه. وحفظ الله تعالى للعبد يشمل حفظه في نفسه وأهله وماله وولده وكل شئونه.

د- ومن الثواب المترتب على العمل الصالح والثبات عليه: إجابة الدعاء، قال تعالى: ﴿ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾[4].

قال البغوي: "ويستجيب الذين آمنوا، أي: ويجيب الذين آمنوا، وعملوا الصالحات، إذا دعوه.

عن ابن عباس رضي الله عنهما: ((ويثيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله، سوى ثواب أعمالهم تفضلا منه)). وعنه: ((يشفعهم في إخوانهم، ويزيدهم من فضله. قال في إخوان إخوانهم)).[5]

هـ- ومن الثواب المترتب على العمل الصالح والثبات عليه: التمكين في الأرض، أي: أن الله تبارك وتعالى يمكن لأهل الأعمال الصالحة في الأرض ويجعلهم أئمة ويجعلهم الوارثين للأرض، قال تعالى:

---

1 سورة الكهف الآية: 82.

3 المصدر السابق (5/ 196).

4 الترمذي، "السنن"، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب قول النبي يا حنظلة، ج/9، ص430.

4 سورة الشورى الآية: 26

5البغوي، معالم التنزيل وأسرار التأويل، مرجع سابق، (4/ 147).

University of Malaya

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾.[1]

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ ﴾أيها الناس، ﴿ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ يقول: وأطاعوا الله ورسوله فيما أمراه ونهياه ﴿ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾يقول: ليورثنهم الله أرض المشركين من العرب والعجم، فيجعلهم ملوكها وساستها ﴿ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾ يقول: كما فعل من قبلهم ذلك ببني إسرائيل، إذ أهلك الجبابرة بالشأم، وجعلهم ملوكها وسكانها ﴿ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ ﴾ يقول: وليوطئن لهم دينهم، يعني: ملتهم التي ارتضاها لهم، فأمرهم بها"[2].

وهذا وعد من الله تعالى، ووعده عز وجل حق لا يُخلف، ويجب على أهل الإيمان والعمل الصالح تفقد إيمانهم وعملهم، وتخليصه من الشوائب؛ ليتحقق لهم وعد الله تعالى بتحقق الشرط الذي هو الإيمان والعمل الصالح.

ز- ومن الثواب المترتب على العمل الصالح والثبات عليه: دفع العقوبات ورفعها أو تخفيفها بعد نزولها؛ كما في حديث مرداس الأسلمي، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يذهب الصالحون، الأول فالأول، ويبقى حفالة كحفالة الشعير، أو التمر، لا يباليهم الله بالة» قال أبو عبد الله البخاري: «يقال: حفالة وحثالة».[3]

فأهل العمل الصالح لهم فضل على عموم الناس من المسلمين وغيرهم من جهة أنهم سبب لدفع العقوبات ورفعها بسبب صلاحهم ودعائهم، ومن جهة أنهم سبب لتمكين الأمة وعلوها وعزها، فحق على كل مسلم أن يحبهم، ويواليهم، ويبغض أعداءهم.

---

1 سورة النور الآية: 55.

2الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، (19/ 208).

3 البخاري، "الصحيح"كِتَاب الْجُمُعَةِ باب ذهاب الصالحين، (5/ 2364).

المبحث الثالث: الثبات على الحق رؤية معاصرة.

إن الثبات على دين الله، والاستقامة على شرعه مطلب كل مسلم صادق يريد رضا الله والجنة، ويخشى عذابه والنار، والاستقامة على الطاعة والاستمرار على امتثال الأوامر واجتناب النواهي هي من صفات عباد الله المؤمنين، وهما أي: الاستقامة على دين الله تعالى والاستمرار عليه، السبيل الوحيدة للسعادة في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[1]أي: أخلصوا العمل لله، وعملوا بطاعة الله تعالى على ما شرع الله لهم[2].

ولقد أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالاستقامة وحثهم على ملازمتها، فقال سبحانه: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[3]. وهنا يأمر تعالى رسوله وعباده المؤمنين بالثبات والدوام على الاستقامة، وذلك من أكبر العون على النصر على الأعداء ومخالفة الأضداد ونهى عن الطغيان، وهو البغي، فإنه مَصرَعة حتى ولو كان على مشرك. وأعلم تعالى أنه بصير بأعمال العباد، لا يغفل عن شيء، ولا يخفى عليه شيء.[4]

والناظر إلى حال الأمة الإسلامية اليوم يجد أنها تعيش في حالة انتكاسة في كافة ميادين الحياة المختلفة، هذه الأزمة أو الانتكاسة أفقدتها الكثير من منهجيتها وصوابها، وأصبح موقعها – للأسف الشديد – خارج السباق التاريخي، والواقع المشهود، والمستقبل المأمول، ولا شك أن وصول الأمة إلى ما وصلت إليه من تخلف في شتى الميادين جعلها فريسة لما يعرف بالغزو الفكري والثقافي. وهذه التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية تحتاج منا المساهمة بكل ما نستطيع لعودتها إلى ريادتها مرة أخرى، ومن ضمن هذه الجهود تجديد معنى الثبات على الحق في واقع العصري.

ومفتاح تجديد الثبات الديني الإسلامي هو الوعي والفهم للإسلام من ينابيعه الصافية بحيث يُفهم فهمًا سليمًا خالصًا من الشوائب، بعيدًا عن تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

فنحن في حاجة ماسة إلى رجال يحسنون عرض الفكر الإسلامي ويصيغونه صياغة جيدة، يتنقون الفكر من الخرافة، والعقيدة من الشرك، والعبادة من البدع والأهواء، والأخلاق من التحلل والانهيار، رجال يتبنون كل تجديد مشروع يجمع بين القديم النافع والجديد الصالح، ويدعو إلى الانفتاح

---

1 سورة فصلت الآية: 30.

2 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، (175/7).

3 سورة هود الآية: 112 .

4 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، (354/4).

على العالم دون الذوبان فيه، منهجهم الثبات على الأهداف، والمرونة في الوسائل، والتجديد في فهم الأصول، والتيسير في الفروع.

وأمتنا الإسلامية اليوم أحوج ما تكون إلى من يجدد لها إيمانها، ويحدد معالم شخصيتها، ويعمل جاهدًا لإيجاد جيل مسلم يقوم في عالم اليوم بما قام به الجيل الأول قي صدر الإسلام.

والفكر الإسلامي هو الفكر الوحيد الذي له القدرة الخلاقة على البعث والإحياء والتجديد، فهو فكر قادر على أن يجدد نفسه داخليًا، وأن يجدد الواقع من حوله خارجيًا، لأنه فكر يجاري السنن الإلهية في الكون. وهذا الفكر يتناسب طرديًا مع قوة الأمة الإسلامية وسيادتها، ففي حين انتصار الأمة وسيطرتها يكون الفكر الإسلامي أصيلا، لا يقبل الزيف أو الجمود، كما لا يقبل الذوبان في غيره، ولابد أن يتصف المجدد ببعض الصفات منها: العلم والاجتهاد، وأن يكون قدوة صالحة، عدلا مرضي السيرة، ولا يكون مبتدعًا في دين الله، وله تأثير واضح في الناس، وأن يكون ذا خبرة بحال الزمان.

وعلى ضوء ما سبق يرى الباحث أنه من المهم في تطبيق معنى الثبات على الدين الحق في الأرض الواقع في عصرنا الحالي مراعاة ضوابط تتلخص في الآتي:

الضابط الأول: مراعاة الاختصاص: إن المعرفة بالإسلام كعلم هو أرفع العلوم، وأعظمها نفعًا، وأجلها شأنًا وقدرًا، وعلو شأنه ومكانته تأتي من كونه يتعلق بالشارع وهو الله سبحانه وتعالى، هذا بالمقارنة بالتخصصات العلمية الأخرى من طب وهندسة وكيمياء وفلك، مع أن التخصصات الأخيرة يشترط للمتحدثين باسمها أن يكونوا من أهل اختصاص هذه الفنون أو العلوم.

فهذا المبدأ أي: مبدأ الاختصاص شرط بدهي بل وأساسي لأهل هذه التخصصات، فكيف بأرفع هذه العلوم وأعظمها، وأصل كل ثقافة، ألا يستوجب أن يكون أعظم حرمة من هذه التخصصات.

إن مثل من يتحدث في الإسلام من غير أهله مثل الحلاق الذي اشتغل بمداوة المريض ومعالجة العليل، وهو لا يعرف عن الطب والجراحة سوى ختان الذكور، ونزع الأسنان. والإسلام قد أقر هذا المبدأ، أي: مبدأ الاختصاص، بل واعتبره مطلب شرعي وعقلي يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾.[1]

1 سورة النساء الآية: 83.

University of Malaya

أي: يستخرجونه ويستعلمونه من معادنه، يقال: استنبط الرجل العين، إذا حفرها واستخرجها من قعورها[1] وقال تعالى أيضًا ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[2].

واليوم تجد كثيرًا ممن يتجرأ على الكلام في التجديد ويُنظِّر له، تلقاه من أنصاف المتعلمين، وأرباعهم، وأدنى من ذلك، فضلاً عن غيرهم ممن لا علاقة لهم من قَبِيل ولا من دَبِير بالإسلام وعلومه وفنونه، ومن لا علم له ولا فقه ولا خبرة ولا قدرة على الاستدلال بالنصوص، وإنزالها في منازلها، ولا يدري شيئًا عن قواعد الاستدلال من حيث العموم والخصوص، والإطلاق والتقييد والنسخ، والمصالح والمفاسد، وهؤلاء وإن كانوا بارعين في مجالات معينة أو في اختصاصاتهم وفنونهم التي يشتغلون بها، لكنهم في العلم الشرعي لا يخرجون عن فصيلة العوام، فالتجديد مهمة الراسخين في العلم، وأهل الحل والعقد في الأمة عبر المجامع والمؤتمرات العلمية الجامعات التي تتمتع بالاستقلال وحرية الرأي.

والناظر في الواقع المعاصر: يسجل أيضًا مؤسسات وهيئات، منهم العلمانيون والشيوعيون، والملاحدة، بل ومنهم الصهاينة والصليبيون المتآمرون على الإسلام وأهله، كما أن منهم المسلمين المخدوعين يتكلمون في التجديد الإسلامي. وكل صيحاتهم تدعو إلى فصل الدين عن الدولة، ومقاومة الدين، والتهجم على النصوص المقدسة، والتأويل التحريفي لها تحت مظلة حرية الرأي والفكر.

إن أحكام الإسلام ليست "بأقل حرمة من قضايا الهندسة، والطب والجغرافيا، فإذا كنا لا نقبل من أعلام الهندسة أن يفتونا في أدق الشئون الطبية ولا في أوضحها، فكيف نقبل من رجال لم يتخصصوا في الدراسات الدينية الإسلامية أن يفتونا في شئون ديننا، فكيف نقبل من لجنة فيها المستشرق وفلان وعِلاَّن من أعداء الإسلام أن يجددوا لنا ديننا.

1 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، (366/2) .
2 سورة التوبة الآية: 122.

الضابط الثاني: الموضوعية والتجرد من الأهواء المذمومة:

الموضوعية في التصور الإسلامي هي البحث عن الحقيقة اتفقت مع ميول الباحث، والتمسك بالحق بعيدًا عن الأهواء الباطلة، والمزاعم الفاسدة كالكبر والمذهبية المقيتة والتقليد وغيرهم، وتتم في ثلاث خطوات:

1- استهداف الحقيقة: فالمسلم وجه بأن يطلب الحق ويبحث عن الصواب، قال أبو حامد: "ينبغي أن يكون طالب الحق في طلبه كناشد الضالة لا يفرق بين أن تظهر على يده أو غيره، وهكذا كانت مشاورات الصحابة"

2- الانطلاق من الحق، بجعله المعيار الذي يسعى في عمله على أساسه، ويزن الأمور بميزانه دون الأهواء والشهوات والرغبات الخسيسة، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾[1].

3- الأخذ بالحق دون مراوغة عنه أو اكتفاء بما يوافق الهوى منه، أو الوقوف عند حد الاعتراف النظري به، وقد مدح الله سبحانه أولئك الذين التزموا الحق حينما عرفوه، فقال سبحانه: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾[2] نقل الطبري بسنده عن ابن عباس: نزلت هذه الآيات في النجاشي وأصحابه، الذين حين تلا عليهم جعفر بن أبي طالب بالحبشة القرآن بكوا حتى أخضلوا لحاهم. وهذا القول فيه نظر؛ لأن هذه الآية مدنية، وقصة جعفر مع النجاشي قبل الهجرة.

وقال سعيد بن جُبَير والسُّدِّي وغيرهما: نزلت في وَفْد بعثهم النجاشي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليسمعوا كلامه، ويروا صفاته، فلما قرأ عليهم النبي صلى الله عليه وسلم القرآن أسلموا وبَكَوا وخَشَعوا، ثم رجعوا إلى النجاشي فأخبروه[3].

كما ذم الذين يكتفون من الحق بما يوافق أهواءهم، وبين أن ذلك يُعَدُّ إهمالاً للحق كله، قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ

---

[1] سورة الشورى الآية: 17.

[2] سورة المائدة الآية: 83.

[3] الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، (166/3)

University of Malaya

وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[1]

وكذلك ذم الذين يعرفون الحق ولكنهم يكتمونه ولا يطبقونه فقال عز شأنه﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾[2]

وكان الصحابة رضي الله عنهم رجاعين إلى الحق إذا عرفوه، متراجعين عن الخطأ إذا بُين لهم، ولا يحول بينهم وبين ذلك مكانة اجتماعية أو رأي خاطئ قالوه سلفًا، أو دونية من جاءهم بالحق.

ومن هنا يتبين أن هذا الضابط من أهم الضوابط اللازمة لتجديد معاير الإسلامي وإعادة التصور الصحيح، والفهم السليم للمبادئ والأصول الإسلامية؛ وذلك لأنه ضابط إيماني أخلاقي، ضابط من داخل النفس لا من خارجها، فهو قبل كل ضابط، وفوق كل ضابط، إنه التجرد لطلب الحق على معنى أن يكون الاهتداء إلى الحق المجرد نصب عينيه، وقبله عقله وضميره، وغاية غاياته في سعيه.

الضابط الثالث: الاعتصام بالأصول والثوابت الإسلامية:

أصول الدين وثوابته لا تقبل التجديد بأي حال من الأحوال، وأي تجديد يتناول شيئًا منها لا اعتبار له لمخالفته للشريعة الإسلامية، كالتجديد الذي يبيح الربا، ويرفض الحجاب، وإقامة الحدود والشرائع. وإذا كان هناك تجديد في الأصول والثوابت الإسلامية من منظور الإسلام، فإنه التجديد الذي يحيي الأصول ويعيد الحيوية إلى الثوابت، بل هو السبيل لامتداد تأثيرات ثوابت الدين وأصوله إلى جوانب الحياة المختلفة.

والإسلام بما أنه هو دين الزمان والمكان لا بد وأن يشتمل على ثوابت ومتغيرات، وأنه في حال الثوابت جاء بتحديدات ومفاهيم ثابتة خالدة، لا تتأثر بتقلبات الزمان، ولا بتطور الأحوال والعادات، وهي قابلة للتطبيق في عصرنا الحاضر، كما كانت مطبقة في عصر الصحراء والإبل.

---

1 سورة النساء الآية: 150 . 151.

2 سورة البقرة الآية: 46.

University of Malaya

والتعامل مع الثوابت والمتغيرات على وجه واحد إما أن يفضي بالثوابت إلى التحلل وضياع الهوية الدينية، وانصهار العقيدة الإسلامية في الملل والنحل الأخرى، وإما أن يفضي بالمتغيرات إلى الجمود والتقليد، وكلتاهما يضيع الدين بينهما.

وأيضًا: هذه الثنائية في الإسلام بين ثوابت ومتغيرات تكشف عن إعجاز هذه الرسالة وأنها بحق دين الفطرة؛ لأن الإنسان بما هو روح وجسد كائن مواطن في عالمين، ومشدود إليهما بعلاقتين: علاقة بالله تعالى، وعلاقة بوسط مادي متغير غير مستقر، فما كان متعلقًا بالله من عقائد وعبادات ونظم ثبته الإسلام، وما تعلق بالجانب المتغير راعي فيه المرونة والحركة ولكن في إطار الأهداف العليا للإيمان بالله تعالى، من هذا جاءت نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المتعلقة بالمتغيرات مثل الأحكام المدنية والدستورية والجنائية والاقتصادية متضمنة للأهداف والمبادئ الأساسية في الدين، ومن ثوابت الدين التي لا تقبل التجديد ولا التغير، هي العقيدة الإسلامية، وأركان الإسلام الخمسة، وكل ما ثبت بدليل قطعي من المحرمات كالزنى والربا وشرب الخمر، وأصول الأخلاق بجانبيها وهذا يشمل ما يتعلق بعلاقة الإنسان بربه كالإخلاص، والخوف من عقابه، وما يتعلق بالإنسان وأخيه الإنسان من صدق ووفاء ورحمة وبِر وإكرام، وكذا ما ثبت بنصوص قطعية في أمور الشريعة والحدود والقصاص والمعاملات، وأمور الأسرة من زواج وطلاق وإرث، فهذه الأصول والثوابت من أهم الضوابط التي ينبغي الاعتصام بها والمحافظة عليها في الإطار التجديدي للمعايير الإسلامية، ومن المعلوم أن هذه الأصول، والنصوص القطعية دلالة وثبوتًا ما يتعلق بالمحرمات وغيرها لا تتعارض مع اليقيني الثابت من العلم ولا مع المصالح القطعية للناس حتى تدخل في الإطار التجديدي.

الضابط الرابع: الاعتراف بمحدودية العقل البشري وعدم إحلاله محل الوحي:

هناك من الأمور ما هو فوق طاقة العقل البشري، وخارج عن حدوده، وأي خوض فيه إنما هو تخبط لا يجني العقل من ورائه إلا الشقاء والضلال؛ وذلك لأن العقل الإنساني مقيد بإطار الزمان والمكان الحسيين، والنشاط العقلي لا يتجاوز بمفرده دائرة الكون المحسوس؛ لأنها خارج نطاقه وقدراته ولهذا يجيء الوحي الإلهي ليكمل للإنسان دائرة المعرفة فيخبره بما هو خارج عن قدراته من عوالم الغيب المختلفة.

وقد أخبرنا الوحي عن العوالم الغيبية من حيث بيان صفاتها وآثارها، ولم يخبرنا عن كنهها وجوهرها، ولذلك كانت معرفة الكنه والذات فوق طاقة العقل البشري، قال تعالى عن الروح:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.[1] وقال تعالى عن الساعة: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَاۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّىۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةًۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَاۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.[2] وقد قيل أنها نزلت في قريش. وقيل: في نفر من اليهود. والأول أشبه؛ لأن الآية مكية، وكانوا يسألون عن وقت الساعة، استبعادًا لوقوعها، وتكذيبًا بوجودها[3]

وإذا كان الإسلام قد حجب العقل عن معرفة الكنه والجوهر في الوجود الغيبي، فإنه قد دفعه إلى تعقله عن طريق المعرفة بآثاره وصفاته، كما دفعه إلى نصب الأدلة والبراهين المثبتة له، كما قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾[4] يقول الطبري:يقول تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ ﴾ هؤلاء المكذبون بآياتنا –في ملك الله وسلطانه في السماوات والأرض، وفيما خلق الله من شيء فيهما، فيتدبروا ذلك ويعتبروا به، ويعلموا أن ذلك لمن لا نظير له ولا شبيه، ومِنْ فِعْل من لا ينبغي أن تكون العبادة. والدين الخالص إلا له.

فيؤمنوا به، ويصدقوا رسوله، وينيبوا إلى طاعته، ويخلعوا الأنداد والأوثان، ويحذروا أن تكون آجالهم قد اقتربت، فيهلكوا على كفرهم، ويصيروا إلى عذاب الله وأليم عقابه.

وقوله: ﴿ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾؟ يقول: فبأي تخويف وتحذير وترهيب بعد تحذير محمد وترهيبه الذي أتاهم به من عند الله في آي كتابه يصدقون، إن لم يصدقوا بهذا الحديث الذي جاءهم به محمد من عند الله عز وجل.[5]

وفرق كبير بين العلم بكنهها وجوهرها، وما أكثر الأمور التي نؤمن بها ولكننا لا نعرف كنهها كالعرش والكرسي والميزان والصراط، وغير ذلك من عوالم الغيب، والقدر الذي أوقفنا الإسلام عليه في هذا الجانب الاعتقادي هو كاف في مجال المعرفة الإنسانية بهذا العالم، وأي تزيُّد على ما أخبر به الوحي هو تنطع في الدين، وشرود بالعقل في غير مجاله ولن يعود بفائدة على الإنسان.

1سورة الإسراء الآية: 85.

2سورة الأعراف الآية: 187

[3] الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، (518/3)

4سورة الأعراف الآية: 185.

[5] الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، (517/3)

University of Malaya

وكما أن أي تأويل لهذه الأمور الغيبية إنما هو خروج بها عن حقيقتها وتجاوز واضح للعقل يفضي إلى تحريف الدين وتبديله لا تجديده، وتعد سافر على دائرة الوحي والتشريع لا يحصد العقل من ورائه إلا الحيرة والاضطراب.

إن مراعاة هذا الضابط في التجديد الاعتراف بمحدودية العقل، وعدم إحلاله محل الوحي يستلزم الإذعان الكامل لنصوص الوحي الصحيحة من القرآن والسنة، وتقديم هذه النصوص على العقل أو ما يراه العقل، فيصبح النص أو الوحي هو المقدم في المنزلة على العقل، وذلك لعدم إحاطة العقل الكاملة بكنه الأشياء وجوهرها، فما خالف العقل فيه الوحي فيجب أن يكون حق العقل هنا هو التأخير. وإن العكس بتقديم العقل على الوحي يؤدي حتمًا إلى ما ظهر على الساحة الإسلامية من إنكار الغيبيات أو تأويلها بما يخرجها عما أراده المشرع، من مثل الجنة والنار، ووجود الجن والشياطين والملائكة والتشكيك في كثير من الأحكام والحدود الشرعية، وكذلك التشكيك في معجزات الأنبياء بدعوى مخالفتها للعقل، وعدم القدرة على ثبوتها في الواقع، وذلك كله زيغ عن الحق وضلال في الاعتقاد نشأ عن تجاوز هذا الضابط.

University of Malaya

الضابط الخامس: أن يكون القصد من التجديد إصلاح الفكر الديني لدى الأمة:

إن الأمة الإسلامية قد أصيبت بخلل فكري، وتضارب في العقول نتج عنه تشتت الأنفس وتناقض الأفكار، والوقوع في الحيرة والاضطراب، فاستلزم ذلك إصلاح الفكر وتجديده من خلال المنهج الإسلامي الرشيد، وهذا ليس بالأمر الهين البسيط، بل هو من أصعب الأمور وأكثرها تعقيدًا وأشدها خطورة إذ إن مهمة الإصلاح والتجديد تلي في المنزلة عمل الأنبياء والمرسلين في بناء الإنسان، وإعادة تشكيل هيكله الفكري والثقافي عن الدين والكون والحياة، بيد أن الفارق الجوهري بين مهمة الأنبياء ومهمة المصلحين والمجددين، أن مهمة الأنبياء جاءت بإرساء القِيم التي عانت المجتمعات من خلوها وندرتها، ثم التعامل الأمثل مع هذه القِيم، أي إنه كانت هناك أزمة في القيم وأزمة في التعامل معها كما نلمس ذلك في قراءة آيات قصتي شعيب ولوطٍ عليهما السلام.

فقد أيّد العلامة الشيخ القرضاوي تلك الضوابط من ناحية، حيث قال في معنى مجمل كلامه، قال القرضاوي: "ومن الحق أن يراجع الناس أفكارهم ومواقفهم واجتهاداتهم على ضوء المستجدات، وفي إطار الثوابت التي لا تتغير بتغيير الزمان والمكان، كما قال علمائنا بوجوب تغيير الفتوى بتغيير موجبها"[1]

أما دور المصلحين والمجددين فليس في جلب القيم الجديدة، وإنما في الإبقاء على القِيم التي جاء بها الأنبياء مع التوظيف الأمثل لهذه القيم وتطبيقها على المجتمع،ليست المشكلة أو الأزمة التي يعاني منها العقل المسلم مشكلة قِيم، أو أزمة قِيم التي أكملها الله وتعهد بحفظها في الكتاب والسنة، وإنما المشكلة كل المشكلة في العجز عن التعامل مع القِيم، والإنتاج الفكري الذي يجسّد العلاقة بين هذه القِيم بمنطلقاتها وأهدافها وبين العصر، ويساهم باستصحاب الرؤية القرآنية، ويدرك عالم الخلود في الرسالة الإسلامية وقدرتها على العطاء المتجدد المجرد عن حدود الزمان والمكان لحل المشكلات البشرية، وهذه وظيفة الفكر، أو عالم الأفكار الذي نعاني من التأزم فيه، ولذلك نرى أن الخلط بين ما نسميه الأزمة الفكرية التي يعاني منها العقل المسلم، والذي أورثه العجز عن التعامل مع القِيم من جانب، وأفقدته القدرة على تنزيلها على الواقع الإنساني، وبين التوهم بأن الأزمة في القِيم نفسها كانت وراء الكثير من المغالطات والتراجعات والحواجز النفسية التي لا تزال تكرس التخلف باسم التدين. لذا فمراعاة هذا الضابط، وتحديد مفهومه وعدم الخلط بين إصلاح الفكر وإصلاح القِيم التي جاء بها الوحي من الضروريات المهمة للنهوض بالعملية التجديدية للخطاب الإسلامي، وإقامة البناء المعرفي والثقافي للأمة الإسلامية ومن ثَم إعادة الدور الحضاري لها.

---

[1] القرضاوي، "خطابنا الإسلامي في عصر العولمة" مرجع سابق، ص 10.

University of Malaya

خلاصة الفصل الثالث:

إن الأخلاق الإسلامية المتمثل بالتمسك بالدين هي من الأمور الأساسية التي تجعل الداعية يكون ثابت في مبادئه، ولا شك أن الثبات على دين الله، والاستقامة على شرعه مطلب كل مسلم صادق يريد رضا الله والجنة، ويخشى عذابه والنار، والاستقامة على الطاعة، للثابتين على دين الله عز وجل أجر عظيم من الله وتعالى، ولهم الحياة الطيبة في الدنيا، ويجعل الله لهم المحنة منح، والبلاء راحة البال، سواء في عصر العولمة أو غيرها.

لكل شيء إيجابياته وسلبياته، فالعاقل من يتفانى في البحث عن الطرق المثلى والوسائل المناسبة؛ لتحقيق ما يقصد إليه.

إن الإسلام دين صالح لكل زمان ومكان لا بد أن يشتمل على ثوابت ومتغيرات، وأنه في حال الثوابت جاء بتحديدات ومفاهيم ثابتة خالدة، لا تتأثر بتقلبات الزمان، ولا بتطور الأحوال والعادات، وهي قابلة للتطبيق في عصرنا الحاضر.

رغم من وجود العديد من السلبيات التي تأتي بها العولمة لكنه إذا تعاملنا معها بطريقة جيدة ونستفيد من التعاون المشترك والتكامل بين القوى والضعيف، وإذا تعاملنا معها بطرقة جيدة فالدول النامية قد تستفيد منها، وكما أن للعولمة فوائد جمة يُستفاد من الدول المتقدمة، وللعولمة نتائج فريدة أيضاً للدول غير المتقدمة التي تشارك في مضمار المنافسة الاقتصادية.

ومع ذلك لا نتغافل من أن إيجابيات العولمة أقل من سلبياتها، ومن هنا على الداعية الفذ اليقظة لمعرفة إيجابياتها وسلبياتها للتعامل معها بوعي تام، وخاصة القيام بمقاومة الهجمات التي تستهدف الإسلام والمسلمين من قبل العولمة بشكل عام. ينبغي علينا أن نستفيد برياح العولمة. ولا ينبغي أن نشغل بسفاسف الأمور، ويجب علينا في سرعة معقولة أن تحلل الموقف بأسلوب موضوعي غير عاطفي، وأن نتحرك لتفادي الشر. وكل هذه الاستراتيجيات تعين الداعية على الثبات.

University of Malaya

الفصل الرابع: معوقات القدرة على الثبات في عصر العولمة وسبل التغلب عليها من منظور الشيخ القرضاوي.

هناك معوقات تعيق بالقدرة على ثبات الداعية إلى الله عز وجل، وهي من العوامل أكثر تأثيراً لإعاقة قدرة ثبات الداعية، ومنها: العوارض النفسية التي توجد لدى الداعية. وكذلك البيئة الاجتماعية، فالداعية إلى الله في هذا العصر قد يجد أمامه معوقات كثيرة، وحملات واسعة النطاق، من قبل المجتمع الذي يتواجد في أوساطه، لكثرة المعاصي الموجودة في أوساط المجتمع وأهله وبعدهم عن الدين، وحبهم للدنيا، وقد يُمنع من ممارسة العمل الدعوي، وقد يَهجر أو يُهجر الداعية من بلده ومسقط رأسه، أو أن الداعية ترعرع في بيئة تأثرت في ثقافته المحمودة، ويتعلم منها أشياء تجره إلى إعاقة دعوته، وزعزعة ثوابته. وأيًا كان الداعية يتعرض إلى تلك الحملات والهجوم والمعوقات وعلى الداعية استخدام كل وسائل المتاحة ومشروعة للتغلب على تلك المعوقات لضمان ثوابته، لأن الداعية مطالب بنشر الدعوة إلى الله عز وجل في كل مكان وزمان، ولم يحدد له بقعة معينة أو أصناف من الناس، لذلك لزاماً عليه أن يقوم بواجبه في أي مكان وزمان، وفي أوساط جميع أصناف المجتمع، وفي هذا المبحث سيحاول الباحث مناقشة هذا الحقل من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: العوارض النفسية.

وفي هذا المبحث يقوم الباحث باستعراض المسائل المتعلق بتلك العوارض النفسية التي تعتري الداعية بشكل عام، وكذلك أسباب تلك العوارض، وسيتم توضيحه على ضوء العناصر التالية:

1 – الفساد العقدي:

إن الفساد العقدي له صور كثيرة، وقد يُعد الانحراف الخلقي من صور فساد العقيدة، لأن العقيدة الصحيحة تولد الأدب والأخلاق، والرحمة والصرامة.

ومن الفساد العقدي الخطير هو انعدام وحدانية الله تبارك وتعالى الذي يتمثل في الكفر بالله، وإنكار اليوم الآخر، وجحود كرامة الإنسان، وتزوير فطرته التي فطره الله عليها.

فإن كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم هي المصدر الأساسي لبناء العقيدة الصحيحة، وعلى الداعية أن يتخذ القرآن والسنة مورد ومشرب للعقيدة، وبه يتجنب الأفكار المنحرفة، والمسالك الضالة المنبثقة من المذاهب الفلسفية والكلامية التي قد تقود إلى الإلحاد.

University of Malaya

قال القرضاوي: "أن يكون كتاب الله تعالى وما بُين من صحيح السنة وهو المصدر الفذ للعقيدة المنشودة، بعيداً عن الشوائب والزوائد والفضول، التي لفت بها على مر العصور. وبهذا تبقى العقيدة على صفائها ووضوحها وبساطها. وأن نتبنى طريق السلف في وصف الله تعالى بما وصف به نفسه من غير تكييف ولا تمثيل، ولا تحريف ولا تعطيل"[1]

لن يكن الداعية ناجحا في دعوته إلا بإيمان صادق بالرسالة الربانية لكي يقوم بعمارة الأرض وخلافة الله تبارك وتعالى، وعبادته تعالى بالعلم النافع، والإيمان الصادق، والعمل الصالح، والتواصي بالحق والصبر.[2]

وكفى بها بلاءً؛ لأن مَنْ كان عقيدته فاسدة فعمله مردود وفاشل، [3]إن فساد العقيدة هو سبب مصائب المسلمين، وفي حقيقة الأمر أنه ما وقعت الفتنة، ولا حصلت الفرقة، ولا تشرذم المسلمون طرائق، وتمزقوا حذائق؛ إلا بسبب إهمال الدعاة والعلماء لجانب العقيدة، حتى أصبح الكثير من الدعاة يفتقرون إلى العقيدة الصحيحة المتمثل بالكتاب والسنة على فهم السلف الصالح رضوان الله عليهم. وما برزت الطفيليات المذهبية على السطح من اشتراكية وشيوعية ورأسمالية وقومية والعلمانية والعولمة وغيرها كثير، وأُشرب حبها كثير من المسلمين إلا بسبب إهمال الحديث عن العقيدة.وما استنكر الناسُ بعض مسائل التوحيد، وعسرت على كثير من المسلمين السنن، وما نجمت البدعة، وما تسلط العدو، ولا انقلب حال الدهر، ولا سُلب المسلمون عادة الظهور والقهر، وما بدل الله حالنا إلى ما نحن عليه؛ إلا بسبب ضياع العقيدة والتوحيد من نفوس المسلمين وواقعهم، وقيام رموز الوثنية، وانتشار المعالم الشركية، وغربة التوحيد وأهله. فنحن كما أننا مأمورون باتباع النبي صلى الله عليه وسلم في العقيدة والعبادة والسلوك، بل وفي قضايانا الاجتماعية، كذلك يجب علينا متابعته صلى الله عليه وسلم في منهجه في الدعوة إلى الله تعالى، وطريقته في التبليغ، وأن نبدأ بما بدأ به، وأن نركز على ما ركز عليه، وألا نجعل من منهج الدعوة إلى الله تعالى محلا للاجتهاد والأخذ والرد، ونُحدث لهذه الدعوة أصولا وقوانين جديدة من عند أنفسنا لم تثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولا عن أصحابه رضوان الله تعالى عليهم، فنجعل من أمر التوحيد مثلا والدعوة إليه أمرا ثانويا فرعيا،

---

[1] القرضاوي، "خطابنا الإسلامي في عصر العولمة" مرجع سابق، ص 80 و 81.

[2] انظر: القرضاوي، الإسلام حضارة الغد، د.ط، د.ن، د.ت، ص2.

[3] عبد الرحمن يحي، "مقومات الثبات على الهداية" دار النشر للوطن، ص8

University of Malaya

ونزعم أن المصلحة تقتضي ذلك.[1] إن المصلحة الحقيقية كامنة في اتباعه صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى: ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[2]

وأحيانًا يأتي فساد العقيدة من تحريفها، وتغييرها وتبديلها، كما هو الحال بالنسبة للعقيدة اليهودية والنصرانية في الوقت الحاضر، فإنهما حرفتا منذ عهد بعيد، ففسادهما كان من هذا التحريف، وإن كانت عقيدتها سليمة الأصل[3]لذلك يجب الأخذ بما يكمل العودة إلى الأصول والجذور، كالحرص على التشبع بروح السلف الصالح لهذه الأمة، وعلى رأس السلف الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، وإحياء منهجهم في فقه أيام الله شرعه، وسننه في خلقه، وبه يستعين الداعية للرجوع إلى حقيقة المسار الذي يمكنه في استمرار في دعوته.[4]

2 – الاغترار بالحالة الحاضرة:

وما يصدر عنها من طاعات، والغفلة عما في النفس من مهلكات، أبرزها: النفاق الذي قلَّ أن ينجو منه أحد، والبدعة التي ما سلم منها أحد إلا القليل، والتعلُّق بالدنيا والركون إليها.[5]

الأصل في النفوس هي أمارة بالسوء إلا ما رحم الرب، وقال تعالى: ﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[6] فالنفس دائما لوامة باتباع الشهوات، لذلك يحتاج الإنسان إلى آليات تعينه في سد تلك المعوقات لضمان قدرته على الثبات. إن كثيراً ما يغتر الإنسان في الحالة الحاضرة، ومن أخطرها العصر الحاضر المتمثل بالعولمة، فينبغى للداعية أن لا يغتر بهذه الحالة، وخاصة في عصرنا هذه الذي أدخل فيه الملاهي باسم العولمة وذلك هدفاً لفساد ثبات الناس جميعا، وخاصة الإسلام والمسلمين. وعلى الداعية أن يسعى جاهداً في ضمان قدرة ثباته في هذا العصر الحاضر حتى لا تتأثر الثوابت فيضيع ويضل.

---

[1] عزيز بن فرحان العنزي، "البصيرة في الدعوة إلى الله"، أبو ظبي، دار الإمام مالك، ط:1، (1426هـ - 2005م)، ص 40 – 46.

[2] سورة النور: الآية: (54)

[3] علي محمد محمد الصلابي، "الوسطية في القرآن"، مصر – القاهرة، مكتبة التابعين، ط:1، (1422 هـ - 2001 م) والشارقة، الإمارات، مكتبة الصحابة، ص 192.

[4] انظر: القرضاوي، الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، د.ط، د.ن، د.ت، ص52.

[5] "مقومات الثبات" ص 9.

[6] سورة يوسف، الآية: (53)

University of Malaya

3 – الغرور بمتاع الحياة الدنيا وزينتها:

إن التعلق بالغرور بمتاع الحياة الدنيا وزينتها أمر تلطخ به كثير من الدعاة في هذا العصر، أقل أن ينجو منه أحد من الدعاة، وهو من أكبر معوقات القدرة على ثبات الداعية.

نلاحظ أن الله تبارك وتعالى قد بين للناس أن الحياة الدنيا متاع الغرور، فأوضح لهم أنها متاع يغتر به قصيروا النظر.[1]

فالشيطان هو الغرور كما نبه الله تبارك وتعالى في محكم تنزيله فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[2]

فالكفار هم المغررون بالحياة الدنيا وزخرفتها، كما قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾[3]

وفي يوم الحسرة والندامة في موقف الحساب يخاطب الله الجن والإنس من الكافرين والظالمين على أنهم قد غرتهم الحياة الدنيا وزخرفتها، فيقول لهم: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴾[4]

والله سبحانه وتعالى يخاطب أصحاب النار بعد أن أدخلهم فيها، على أن سبب دخولهم النار هو غرورهم بالحياة الدنيا، وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ

---

[1] عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي ، "صراع مع الملاحدة حتى العظم" دمشق، دار القلم، ط:5، (1412 هـ - 1992 م)، ص178.

[2] سورة فاطر، الآية:6.

[3] سورة الأنعام، الآية:70.

[4] سورة الأنعام، الآية:130.

﴿ ٣٣ وَقِيلَ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٣٤ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗا وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُخۡرَجُونَ مِنۡهَا وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ﴾[1]

ولا هم يستعتبون، أي: لا يقبل منهم توبة ولا استغفار ولا استقالة من ذنوبهم، فقد مضى زمن التوبة والاستغفار، وأصل الاستعتاب طلب رفع العتب وطلب حصول الرضا. ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُخۡرَجُونَ مِنۡهَا وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ﴾ أي: ولا يمهلون ولا يردون إلى الدنيا ليعملوا صالحا"[2]

وهكذا ظهر لنا أثر الغرور بالحياة الدنيا وزينتها وزخرفها، وظهرت لنا نتائجه الوخيمة.

ويجب على الداعية التدبر دائما في قوله تعالى: ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴾[3] وقال العلامة محمد بن صالح العثيمين حفظه الله: " العيشة الهنيئة الراضية هي عيش الآخرة، وأما الدنيا فإنها مهما طاب عيشها فمآلها إلى الفناء، وإذا لم يصحبها عمل صالح فإنها خسارة "[4].

فقد نبه الله تبارك وتعالى على أن الدنيا متاع وغرور. قال الله عز وجل ﴿ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴾[5]وأن الدنيا فانية، والآخرة هي الباقية. وقال عز وجل: ﴿ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴾[6] وفي ذلك تبيين للداعية أهمية الزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة وفيما عند الله؛ لأنه الآخرة هي الباقية التي لا تفنى.

فيجب على الداعية الاعتماد على الله عز وجل في كل شيء، والطمع في رحمته مع إحسان العمل وإخلاصه لله عز وجل، وعدم الغرور والإعجاب بالأعمال.

---

[1] سورة الجاثية، الآية:30 – 35.

[2] السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1.مكتبة التابعين، ص778.

[3] سورة الحديد، الآية:20.

[4] العثيمين، شرح رياض الصالحين، الرياض، المملكة العربية السعودية، دار الوطن للنشر، (1426هـ)، 18/6.

[5] سورة آل عمران، الأية:185.

[6] سورة الأعلى، الآية: 16 – 17.

University of Malaya

وقد شرح الله عز وجل لنا حقيقة هذه الدنيا فقال عز وجل: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1] وقال عز وجل: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾[2] وقال عز وجل: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ بلا شك أن الداعية إذا لم يجعل الدنيا أكبر همه وفقه الله وأعانه في جميع أحواله.

وهناك نوع من الغرور وهو أكثر خطراً وتأثيراً على الدعاة، وهذا النوع من الغرور هو غرور العلم، وهو أشد أنواع الغرور على الإطلاق والآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر أكثر الناس عرضة للإصابة بجرثومة هذا الداء الفتاك، فالخطابة والكتابة والتعليم والتوجيه وسواها من وسائل الدعوة فضلا عن الشهادات والدرجات العلمية، والألقاب الجامعية فإنها تعد من أوسع مداخل الشيطان إلى النفس البشرية؛ لأنها مجلبة للشهرة لافتة للأنظار، مثيرة للإعجاب، وفي هذا ما فيه من عوامل الإشباع والإملاء لرغائب النفس وجوعاتها.

فعلى الدعاة إلى الله الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر أن يكونوا شديدي الاحتراس من الوقوع في هذا المرض العضال وليعلموا أن الله الذي منحهم هذه المواهب قادر على أن يسلبهم إياها من حيث لا يشعرون، إن من حق الله عليهم أن يكونوا شاكرين لفضله غير جاحدين ولا كافرين، قال

[1] سورة يونس، الآية : 24.

[2] سورة الحديد، الآية: 20.

تعالى: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾[1] لذلك على الداعية التجنب من هذا الداء الخطير الذي أصاب كثير من الدعاة في زمننا هذا.[2]

لا شيء أفسد للقلب من التعلق بالدنيا والركون إليها، وإيثارها على الآخرة، فإن هذا الفساد يقعد بالمسلم عن التطلع إلى الآخرة والعمل ليها، وإتعاب الجسد في سبيل الله والدعوة إليه، وهيهات لقلب فاسد مريض أن يقوى على مهامِّ الدعوة إلى الله. إنَّ الدنيا فيها قابلية الإغراء، ولهذا وصفها رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بقوله: "إنَّ الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء"، وحذَّرنا الله تعالى من الوقوع في شباكها والتعلق بها ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾.

لكل طائفة وفئة من فئات الكافرين مجموعة من الأماني الكاذبات الضائعات، تناسب حالة كفرهم، فهم ينخدعون بها، وينجذبون إليها، ويسعون وراءها.

فالمشركون تتعلق أمانيهم بالآلهة التي يعبدونها من دون الله، فتخيب أمانيهم التي تعلقت بهذه الآلهة، لأنها تعلقت بأوهام لا حقيقة لها، يدعونهم فلا يستجيبون لهم. وأهل الكتاب الكافرون بالإسلام تتعلق أمانيهم بتصوراتهم باطلة وعقائد فاسدة. والملحدون الدهريون تتعلق أمانيهم بحدود الحياة الدنيا، فيسعون وراءها، ويكدون لاهثين، ثم لا تتحقق أمانيهم.

إن أصل الغرور يأتي من وساوس شياطين الإنس والجن تدغدغ في الكافرين ما لديهم من الأماني الكاذبة، وتثيرها وتغذيها، وتعد وتمني، ولكنها ما تعد ولا تمني إلا غروراً .

إن الله تبارك وتعالى أشار إلى أن متاع الدنيا غرور ولعب ولهو، وأن الآخرة هي دار القرار، وقال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ

---

[1] سورة إبراهيم، الأية: 7.

[2] سليمان بن عبد الرحمن الحقيل، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ضوء الكتاب والسنة، ط:4، (1417هـ – 1996م) ص 80.

[3] سورة آل عمران، الآية: (185)

كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴾[1]

لذلك على الدعاة أن يعقلوا أمرهم ولا يغتروا زخرفة الحياة الدنيا وزينتها. وعليه حذر الله تبارك وتعالى الجميع من أن لا يغتروا بذلك، وقال تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾[2]

فالغرورات الدنيا وبها يُميز الإنسان أحيانا في ثباته وقيمه وأخلاقه، ومن ثمراتها تمييز الصف، فالصف أحيانا يُعرقل من ليس أهلا للدعوة أصلا، يدخله المنافقون والطامعون، والذين يريدونها مظهراً لا مخبراً، لذلك على الداعية مراعاة هذه الأشياء حتى لا يكون ممن تخلخلت به صفوف الدعوة.[3]

إن الفكر السوي يصعب عليه أن يسلم بالمفاهيم الباطلة مهما أغرت الأهواء والشهوات بزخرفها، ولكن سلطان الأهواء والشهوات يأسر النفوس فيجعل بينها وبين العقل السليم غشاوة، ومتى طال أمد الغشاوة الحاجبة للعقل عن عمله السديد تبلد الفكر، وفسدت طريقة البحث لديه. وزاوية الانطلاق في هذا السبب تبدأ من اتباع الأهواء والشهوات.

إن الأهواء والشهوات في الأنفس تميل في أغلب أحيانها إلى اغتنام اللذات العاجلة، ولو كان من ورائها مشار وآلام كثيرة آجلة، وتميل إلى زخرف الحياة الدنيا وزينتها وتفاخرها ولو كان في ذلك شقاء أبدي بسخط الله. فمن طبع أهواء النفوس وشهواتها أنها تؤثر العاجلة، وتذر الآخرة، ما لم يضبطها ضابط من العقل الصحيح الراجح، المقرون بالإرادة الحازمة، أو ضابط من الإيمان الراسخ والدين المهيمن على النفس والمتغلغل في أعماق القلب والوجدان والمقرون بتقوى الله جلَّ جلاله.[4]

---

[1] سورة الحديد، الآية: (20)

[2] سورة لقمان، الآية: (33)

[3] انظر: القرضاوي، المحنة في واقع الحركة الإسلامية المعاصرة، د.ط، د.ن، د.ت، ص 33.

[4] الميداني الدمشقي، "صراع مع الملاحدة حتى العظم" مرجع سابق، ص367.

المبحث الثاني: البيئة الاجتماعية:

وفي هذا المبحث يقوم الباحث باستعراض المسائل المتعلق بالمعوقات التي تحيط بالبيئة الاجتماعية التي تهدد وجود الداعية فيها، وتهدد سير دعوته بأكمل وجه ممكن، وسيتم توضيحه على ضوء العناصر التالية:

يقصد بالبيئة الاجتماعية: مجموعة التفاعلات القائمة بين الفرد والجماعات التي ينتمي إليها في السياق الاجتماعي؛ إذ تعتبر شخصية الفرد نتاجًا لعملية التفاعل بين الفرد وبيئته الاجتماعية، من خلال عملية التنشئة الاجتماعية التي تعتبر من أهم العمليات الاجتماعية في تأثيرها على نمو الفرد على الإطلاق؛ إذ يؤثر نموذج الحياة الاجتماعية وأشكال العلاقات بين أفراد الجماعة وما يشيع بينهم من عادات وتقاليد وقيم، وما يعيشونه من نظم تنسق هذه العلاقات الاجتماعية في تشكيل بعض الخصائص العامَّة للشخصية"[1]

وفي الأساس توجد الكثير من التغيرات المخيفة في العالم الطبيعي تحيط بالإنسان، لكن أخطرها التي تؤثر على الداعية في دعوته وسلوكه هي الحياة الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، التي قد تولد انحرافا لا يحمد عقباه بالنسبة للداعية ودعوته.[2]

ومن بين عناصر البيئة الاجتماعية: الأسرة، والمدرسة، وجماعة الرفاق.

تعتبر الأسرة أهم عناصر البيئة الاجتماعية، وهي الممثلة الأولى لثقافة المجتمع الذي يعيش فيه الفرد وأقوى الجماعات تأثيرًا في سلوكه، وهي التي تسهم بأكبر قدر في الإشراف على النمو الاجتماعي للطفل وتكوين شخصيته وتوجيه سلوكه، فهي التي تصبغ سلوك الطفل بصبغة اجتماعية، وتؤثر في توافقه النفسي أو سوء توافقه، وهي النموذج الأمثل للجماعة الأولية التي يتفاعل الطفل مع أعضائها وجهًا لوجه، ويتوحَّد معهم، ويعتبر سلوكهم نموذجًا يحتذيه."[3]

قد يترعرع المرء بين أبوين سمتهما عدم الثبات أو اليقين، وحينئذ يسري ذلك إلى نفسه، فإذا به صورة منهما، وهنا يتجلّى دور التزام الآباء بأخلاق وآداب الإسلام، وثباتهم على القيام بتكاليفه،ولو روعي ذلك لجنّب الآباء أبناءهم الانحراف والزيغ، دون الحاجة إلى خطب، أو مواعظ.

هناك بيئات بطبيعتها فيها حدة ومبالغة، بعض البيئات –مثلاً– عنيفة نوعاً ما، وبعض البيئات رقيقة، البيئات تختلف، البيئات الاجتماعية لها أثر، ولهذا إذا قرأت تفسير العلماء السابقين وتراجمهم

---

[1] حسن مصطفى عبد المعطي، هدى محمد قناوي، علم نفس النمو، الناشر: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 1/ 134.

[2] انظر: القرضاوي، المسلمون والعولمة، مرجع سابق، ص 46.

[3] انظر: المصدر السابق. 156/1.

University of Malaya

الشخصية تقرأ في نشأة أحدهم وأسرته وظروف نشأته، فتجد أن هذا ترك أثراً على شخصيته، فبعض البيئات بطبيعتها بيئات حادة، ولهذا تجد أصحابها آراؤهم حادة، آراؤهم تميل إلى مواقفهم، تفسيرهم يميل إلى نوع من الحدة ويصعب عليهم أن يعتدلوا، حتى في حياتهم الشخصية، حتى في علاقاتهم الاجتماعية، في حياتهم الزوجية، في علاقاتهم مع الآخرين، هو التطرف والغلو سمة تطبع تفكير الإنسان، تطبع سلوكه فتستطيع أن تجد أمثلتها ومظاهرها في كافة جوانب الحياة، حتى في رؤيته وفهمه للدين، الدين في حقيقته ليس فيه تطرف، الدين ليس فيه غلو، الدين وسط، لكن كيف يفهمه الناس؟ كيف يطبقونه؟ كيف ينظرون إليه؟ فالإنسان من تكوينه الشخصي يفهم النصوص بناءً على طبيعته الشخصية وعلى تكوينه الشخصي، ولهذا تجده يلجأ دائماً إلى النصوص والمواقف التي تتلاءم مع شخصيته، إذا كان شخصاً عنيفاً يلجأ إلى هذه النصوص دائماً يرددها، يعتقد أنها تدعم موقفه، والعكس، فإذا كان في الطرف الآخر تجده يلجأ إلى تلك النصوص التي يعتقد أنها تؤيد ما يسير عليه."[1]

فالمدرسة لها دور كبير في تكوين الإنسان من مرحلة نموه، وهي التي تسهم بأكبر قدر في الإشراف على النمو الاجتماعي للطفل وتكوين شخصيته وتوجيه سلوكه.

وكذلك تعتبر جماعة الرفاق أهم عناصر البيئة الاجتماعية، وهي الممثلة الأولى لثقافة المجتمع الذي يعيش فيه الفرد وأقوى الجماعات تأثيرًا في سلوكه، وهي التي تسهم بأكبر قدر في الإشراف على النمو الاجتماعي وتكوين شخصيته وتوجيه سلوكه. فهي المصاحبة الخالية من هذا الخلق الإسلامي، وقد يعيش المرء في وسط غير ملتزم بهذا الخلق الإسلامي، فإذا به يحاكي ويتأسى لاسيما إذا كان ضعيف الشخصية، غير واثق من نفسه،ومن تصرفاته وسلوكه، وهنا يأتي دور الارتماء بين أحضان الصحبة الطيبة الملتزمة بالمنهاج الإسلامي، إنّ هذا لو وقع، لتنبّهت المشاعر والأحاسيس، والجوارح، ولثبت المرء وما زلت قدمه عن الحق.عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:' إنّما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك، ونافخ الكير، فحامل المسك إمّا أن يحذيك، وإمّا أن تبتاع منه، وإمّا أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إمّا أن يحرق ثيابك،وإما أن تجد ريحا خبيثة!

ومن سُنن الله في حين خلق العبد أنه عندما يأتي إلى هذه الدنيا وتُفتح عيناه وهو يكون على الفِطْرة الإسلامية، إذ ان الأصل في الإنسان يولد على الفطرة، وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

[1] انظر: حامد عبد السلام زهران، التوجيه والإرشاد النفسي، عالم الكتب، ط:4، ص 70.

University of Malaya

((ما مِن مَولود إلاّ يُولد على الفِطْرة، فأبواه يُهوِّدانه أو يُنصِّرانه أو يُمجِّسانِه))[1] وفي الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم يُبيِّن دور الأسرة والمجتمع في صَلاح الأبناء أو انحراف سلوكهم؛

ومن البديهي أن ينشأ الإنسان في بيئة اجتماعية يتعلم منها مهارات وعادات وتقاليد كثيرة، ومن ضمن هذه المعارف والتعاليم منها ما هو حق، ومنها ما هو باطل، ومنها كذلك ما هو صالح للقبول ومنها ما هو فاسد ومردود، ومن خلال نشأته في تلك البيئة الإجتماعية قد يتأثر فيه أشياء كثيرة غير محمودة، كصحبة أقران السوء، والجهل بأساليب أو طرق القدرة على الثبات، أو الابتعاد عنها، أو تكوينه على ضعف الرّؤية الإيمانية لمفهوم الصراع بين الحقّ والباطل، أو التشوق إلى تحقيق النصر والتمكين بأي وسيلة كانت، أو إيجاد بعض الخصوم. وكل هذه الأشياء في المجتمع دور كبير في أن يُؤسس الإنسان عليها، ومن هنا يظهر فشل الداعية كونه نشأ في مثل تلك البيئة.

فتجد أن الدعوة نفسها تنشأ في البيئة أو المجال الاجتماعي مثل اضطراب البيئة الاجتماعية نفسها، واضطراب العوامل الحضارية والثقافية، واضطراب التنشئة الاجتماعية في الأسرة كما يحدث بين الوالدين والفرد والإخوة، وسوء التوافق في المدرسة مع المعلمين والرفاق، وسوء التوافق في المجتمع كما في الصحبة السيئة ومشكلات الأقليات، وسوء التوافق المهني، وسوء الأحوال الاقتصادية، وتدهور نظام القيم، والكوارث الاجتماعية والحرب، والضلال."[2] فالظروف التي ينشأ فيها الإنسان هي التي تؤثر في مستقبل حياته ونموه، فقد أثبتت الدراسات النفسية أن كثيرا من الانحرافات التي تظهر في الكبار راجعة إلى مواقف وظروف عاشها الشخص في طفولته، ولذلك يرى علماء التربية أن إحساس الطفل بالأمن والاستقرار والمحبة هو الذي يسهل له عملية التكيف والتوافق المطلوبين من كل عضو من أعضاء المجتمع فإذا عاش الطفل في وسط عائلي يحيطه بالرعاية والحب ويشعره بمكانته في المنزل ويقدم له الكثير في سبيل إسعاده أحس بالأمن والطمأنينة ونما نموا طبيعيا خاصة إذا عاش في عائلة مستقرة متجانسة غنية في القيم الاجتماعية الإسلامية ثابتة في أساليب تعاملها مع الطفل لا يحس بالتناقض في معاملة والديه له ولأن الأسرة تمثل البيئة الاجتماعية الأولى التي ينشأ فيها الطفل اهتم الإسلام بنظام الأسرة وتنظيم العلاقات بين الرجل والمرأة وقيام هذه العلاقة على أساس من الرحمة والمودة والعطف والاحترام المتبادل وأداء كل واحد لما عليه من حقوق نحو الآخر وغض الطرف من الجانبين عن بعض نواحي النقص خاصة من الرجل.

---

[1] رواه البخاري في الصحيح، الحديث رقم (1358).

[2] انظر: حامد عبد السلام زهران، التوجيه والإرشاد النفسي، مرجع سابق، ص 159.

University of Malaya

وبالتتبع نلاحظ أن كثيراً من الناس ليس لهم فيما يستمسكون به من مفاهيم وعادات باطلة أية حجة، إلا أنها أشياء ورثوها عن أسلافهم من قومهم، فاقتدوا بهم وتعصبوا لهم وساروا على آثارهم دون بصر فيها أو نظر.

وهكذا يتّضح لنا مدى تأثير البِيئة الاجتماعية التي تَشمل دائرة الأسرة، والمدرسة، والأصدقاء، وكلّ مظاهر الحياة في المجتمع، على سلوك الإنسان؛ وذلك بأخذه إلى الطَّاعة، أو دفْعه إلى المعصية"[1]

إن حرص الإسلام والمفكرين المسلمين على سلامة البيئة الاجتماعية، وعلى إشباع حاجات الطفل إلى جماعة الرفاق والأتراب واضح، ومن خلال كل هذا نعود فنؤكد أهمية المحافظة على الوسط الاجتماعي حتى لا يتسرب الفساد أو الخلل للناشئة، لتنمو القيم الإسلامية نموا سليما وصحيحا وقويا."[2]

قد ينشأ المرء بين أبوين سمتهما عدم الثبات أو اليقين، وحينئذ يسري ذلك إلى نفسه، فإذا به صورة منهما، وهنا يتجلّى دور التزام الآباء بأخلاق وآداب الإسلام، وثباتهم على القيام بتكاليفه، ولو روعي ذلك لجنّب الآباء أبناءهم الانحراف والزيغ، دون الحاجة إلى خطب، أو مواعظ.

وقد يعيش المرء في وسط غير ملتزم بهذا الخلق الإسلامي، فإذا به يحاكي ويتأسى لاسيما إذا كان ضعيف الشخصية، غير واثق من نفسه، ومن تصرفاته وسلوكه، وهنا يأتي دور الارتماء بين أحضان الصحبة الطيبة الملتزمة بالمنهاج الإسلامي، إنّ هذا لو وقع، لتنبّهت المشاعر والأحاسيس، والجوارح.

وقد يجهل بوسائل أو طرق الثبات، أو يبتعد عنها، فيؤدي ذلك إلى عدم الثبات،وسرعة والانحراف عن الحق، والسقوط في طريق الغواية.

حينما يستعلي الباطل وتكون له الغلبة الظاهرية، ثمّ بسبب غياب الرؤية المستقبلية، وضعف الإيمان بالوعد الإلهي بالنصر والغلبة لأصحاب الحق. إن التشوق إلى تحقيق النصر والتمكين بأي وسيلة ممكنة، وفي أسرع الآجال، ولا شك أن نشوة النصر تفقد الإنسان الكثير من الاتزان، وتغيّب عنه المقاييس الإيمانية التي يزن بها الأمور، فتختلط عليه الأمور لتصبح الأهداف وسائل والوسائل أهدافاً، أو بعبارة العصر يصبح الاستراتيجي والمرحلي شيئاً واحداً.[3]

---

[1] انظر: عباس محجوب، التربية الإسلامية ومراحل النمو،الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة 13 / العدد 52 – 1401 هـ) ص118.

[2] انظر: المرجع السابق. ص 98.

3"العولمة والهوية الثقافية" من مجلة "فكر ونقد" العدد السادس.

University of Malaya

ويجب أن يصحب هذا التشويق أسلوب التربية والتعليم، والتوجيه؛ لتحصل المناعة ضد أي داء. ومن أعظم وسائل التربية المؤثرة: الاتصال بكتاب اللّه –تعالى– تلاوةً، وتدبراً، وفهماً، والاتصال الدائم بالسنة النبوية، وسيرة السلف الصحابة –رضي الله عنهم–. فعلى الداعية أن يعين المستجيبين على هذه الأمور العظيمة.[1]

ومنه إيجاد بعض الخصوم المصطنعين المعوّقين، وذلك من أجل عرقلة المسيرة الصحيحة، وتحريفها عن اتجاهها الأصيل، فتصبح المعركة الكبرى مع هذه الفئات المصطنعة، وتُنسى المعركة المصيرية والجوهرية مع قوى الطاغوت، التي تتحول في هذه الحالة إلى حكم يُحتكم إليه، ويعترف له الجميع بالشرعية. في الوقت الذي كان من المفروض على الجميع أن يكون واعياً ومتسلّحاً بمجموعة الرؤى والتصورات الإيمانية الصحيحة، التي هي ضروريّة من أجل الثبات والحفاظ على المبادئ.

ومن بين الأسباب التي تجعل البعض يضعف فيخضع ويتنازل،أو ينقاد للواقع الجاهلي القائم ولا يثبت: الجهل بالسنن الربانية، فإنّ الله سبحانه وتعالى خلق الكون وما فيه لحكمة وغاية لأنه الحكيم الخبير، وأجراه على سنن وقوانين، منها الثابت ومنها المتغير وهو كله خاضع لحكمه ومشيئته النافذة، والذي يهم ملاحظته من السنن: السنن الشرعية المتعلقة بالأمر والنهي الرباني، سنن اجتماعية متعلقة بنشوء الدول وقيام الحضارات وسقوطها، واتجاهات المجتمعات السلوكية والاقتصادية والفكرية.

3– اهمال وسائل التي تعين على الثبات، والابتعاد عنها:[2] وقد يهمل وسائل التي تعينه على الثبات، أو يبتعد عنها، فيؤدي ذلك إلى زعزعة ثباته، وسرعة انحراف عن الحق، والوقوع في فخ الغواية.

وقد يكون السبب في ضعف الرّؤية الإيمانية لمفهوم الصراع بين الحقّ والباطل: حينما يستعلي الباطل وتكون له الغلبة الظاهرية، ثمّ بسبب غياب الرؤية المستقبلية، وضعف الإيمان بالوعد الإلهي بالنصر والغلبة لأصحاب الحق، وبأنّ الحرب إنّ غلبة الباطل في جولة معينة لا يعني أنّ هذه الغلبة مطلقة ودائمة، أو بأنّ الحق لن يستطيع مقاومته، وعليه بالتالي أن يخضع ويستسلم، كلاّ بل على أصحاب الحق أن يستعيدوا ثقتهم أولاً في ربهم عز وجل، ثم في أنفسهم ثم يستعدوا للجولة القادمة، وهذا ما يُلمّح إليه قوله تعالى بعد ذلك:

---

1 انظر: سعيد بن علي بن وهف القحطاني، "مفهوم الحكمة في الدعوة إلى اللّه تعالى في ضوء الكتاب والسنة" الرياض، المملكة العربية السعودية، دط، ص 120

2– بكر أبو زيد حراسة الفضيلة.

University of Malaya

كالهروب من القروح: ومن ذلك الهروب من القروح ومن الطرق الشائكة وآلامها، والنجاة من الابتلاءات من أجل تحقيق النصر، وهذا الأمر يدعو أو يدفع البعض إلى البحث عن الوسائل السهلة والناعمة، حتى وإن أدّى بها إلى الوقوع في أحضان قوى الطاغوت ومسايرتها وفق الشروط التي تفرضها وتقترحها. وهؤلاء يريدون منه عدم الثبات على الحق، بل يريدون منهم الميل والسقوط.

والتشوق إلى تحقيق النصر والتمكين بأي وسيلة ممكنة:ومنه التشوق إلى تحقيق النصر والتمكين بأي وسيلة ممكنة، وفي أسرع الآجال، ولا شك أن نشوة النصر تفقد الإنسان الكثير من الاتزان، وتغيّب عنه المقاييس الإيمانية التي يزن بها الأمور، فتختلط عليه الأمور لتصبح الأهداف وسائل والوسائل أهدافاً، أو بعبارة العصر يصبح الاستراتيجي والمرحلي شيئاً واحداً.[1] ويجب أن يصحب هذا التشويق أسلوب التربية والتعليم، والتوجيه؛ لتحصل المناعة ضد أي داء. ومن أعظم وسائل التربية المؤثرة: الاتصال بكتاب اللَّه –تعالى– تلاوةً، وتدبراً، وفهماً، والاتصال الدائم[2]

1– العولمة والهوية الثقافية" من مجلة "فكر ونقد" العدد السادس.

2 "العولمة جريمة تذويب الأصالة" عبدالصبور شاهين، المعرفة العدد48

University of Malaya

المبحث الثالث: سبل التغلب على المعوقات

وفي هذا المبحث يقوم الباحث مناقشة سبل التغلب على معوقات الثبات، باستعراض المسائل المتعلق بها، وذلك على ضوء العناصر التالية:

1- الإخلاص: وهو إفراد الله سبحانه بالقصد في الطاعة والإخلاص هو روح كل عمل، والأعمال التي يستعظمها الناس، ويبذلون فيها الجهود، وربما الأموال لا وزن لها عند الله عز وجل إذا فقدت الإخلاص قال ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾.[1] فلينتبه لشرط الإخلاص فعليه مدار قبول العمل وبالتالي النفع به، قال سبحانه: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾.[2]

وقيل الإخلاص معناه ألا يعبد الله إلا بما شرع رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- يعني: ألا يعبد العبد ربه إلا بما جاء على لسان وهدي نبي الله -صلى الله عليه وآله وسلم- ولهذا كان من شرطَي قبول العمل أمران مهمان: الأول: متابعة رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- وأيضًا: الإخلاص لله -عز وجل- في العبادة[3].

قال القرضاوي: "لأن الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى دينه، واتباع هداه، وتحكيم منهجه في الأرض، وإفراده تعالى بالعبادة والاستعانة والطاعة، والبراءة من كل الطواغيت التي تطاع من دون الله، وإحقاق ما أحق الله، وإبطال ما أبطل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل لله"[4]

أي وهو من باب أولى أن يكون مخلصاً، لأنه يدعو إلى الإخلاص، وعبادة الله وحده لا شريك له.

2- العلم: فالعلم هو الأساس في الحياة البشرية، وهو اللبنة الأساسية لبناء الأسرة المتعلمة الناجحة والمباركة، لكن ذلك يبدأ من اختيار الزوجة المتعلم التي تتخلّق بالأخلاق الإسلامية، لأن العلم هو الذي يجعل أن تكون المرأة نفسها صالحة، لتكون أسوة حسنة وقدوة طيبة لبنات جنسها، ولكن كيف تصل المرأة إلى الصلاح؟ لن تصل المرأة - ولا الرجل - إلى الصلاح، فضلاً عن الإصلاح إلا بالعلم الشرعي الذي تتلقاه من أفواه العلماء، سواء أكان هؤلاء العلماء من الرجال أو النساء، وما

---

1 سورة الفرقان الآية: 23.

2سورة البينة الآية: 5

3مناهج جامعة المدينة العالمية، أصول الدعوة وطرقها4، دت، دط، السعودية، جامعة المدينة العالمية، ص152.

4القرضاوي، "ثقافة الداعية" مرجع سابق، ص 3.

University of Malaya

أجمل ما تميزت به بلادنا – حفظ الله أمنها واستقرارها– من انتشار الدورات العلمية للرجال وللنساء، وما تميزت به بعض المدن والأحياء من وجود دورٌ نسائية. كما أنه في عصرنا هذا يسهل كثيراً أن تتلقى المرأة العلم من أفواه العلماء، وذلك بواسطة الأشرطة المسجلة، فإن هذه الأشرطة – ولله الحمد – لها دور كبير في توجيه الأسرة – والمرأة من أهم ركائزها– إلى ما فيه الخير والصلاح. إذن فلا بد لتميز المرأة من العلم، لأنه لا صلاح ولا تميز إلا بالعلم.، ومن أهم ما يحسن بالمميزة الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر أن تتحلى به صفة العلم، فالعلم زينة لها، ووسيلة صحيحة للعمل، ومرافق دائم في مجال الدعوة والأمر والنهي. قال تعالى ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.[1] إن جهالة من تأمر وتنهي فيما تدعو إليه أو تنهى عنه، قد يوقعها في حماقات كثيرة، وإشكالات عديدة، بل ربما حدثت بسبب ذلك مفاسد متعددة، أو تعطلت مصالح راجحة.

قال القرضاوي: "إن أول ما يلزم الداعية المسلم من عدة فكرية، أن يتسلح بثقافة إسلامية ثابتة الأصول، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها. ونعني بالثقافة الإسلامية: الثقافة التي محورها الإسلام، مصادره وأصوله وعلومه المتعلقة به، المنبثقة عنه. وهذا أمر منطقي، فإن الداعية الذي يدعو إلى الله لا بد أن يعرفه، ولهذا كان لا بد أن يستمد هذه المعرفة عن الإسلام من مصادره الأصلية، ومن ينابعه المصفاة، بعيداً عن تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين"[2]

3– الحكمة:

يجب أن يكون لدى المرء حكمة في الدعوة، وفي إيصال العلم إلى من تخاطب، والحكمة هي وضع الشيء في موضعه، كما قال أهل العلم، وهي من نعمة الله سبحانه وتعالى على العبد، أن يؤتيه الله الحكمة. قال الله عز وجل ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾.[3] وما أكثر ما يفوت المقصود ويحصل الخلل، إذا لم تكن هناك حكمة، فمن الحكمة في الدعوة إلى الله عز وجل أن ينزل المخاطب المنزلة اللائقة به، فإذا كان جاهلاً عومل المعاملة التي تناسب حاله، وإذا كان عالماً، ولكن عنده شيء من التفريط والإهمال والغفلة عومل بما تقتضيه حاله، وإذا كان عالماً ولكن عنده شيء من الاستكبار وردّ الحق عومل بما تقتضيه حاله. فالناس – إذن – على درجات ثلاث: جاهل، وعالم متكاسل مفرط، وعالم معاند، ولا يمكن أن

---

1 سورة الزمر، الآية: 9.

2 القرضاوي، "ثقافة الداعية"، مرجع سابق، ص 7.

3 سورة البقرة، الآية: 269.

University of Malaya

نسوي كل واحد بالآخر، بل لا بد أن ننزل كل إنسان منزلته، ولهذا لما أرسل النبي صلى الله عليه وسلم معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن قال له" إنك تأتي قوماً من أهل كتاب" وإنما قال له النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ليعرف معاذ حالهم كي يستعد لهم بما تقتضيه أحوالهم، ويخاطبهم بما تقتضيه هذه الحال أيضاً. فينبغي أن ينزل كل واحد من المدعوين المنزلة اللائقة به. ومن الحكمة، أن تبدأ الداعية بالأقرب فالأقرب، فتكون حسنة التربية لأولادها، لأن أولادها هم رجال المستقبل ونساء المستقبل، وأول ما ينشئون يقابلون هذه الأم، فإذا كانت على جانب من الأخلاق وحسن المعاملة، وظهروا على يديها وتربوا عليها، وسيكون لهم أثر كبير في إصلاح المجتمع. لذلك يجب على المرأة ذات الأولاد أن تعتني بأولادها، وأن تهتم بتربيتهم، وأن تستعين إذا عجزت عن إصلاحهم وحدها بأبيهم أو بولي أمرهم. وهكذا أخوتها وأخواتها وأسرتها وأقاربها، كما ينبغي إلا تتوقف عندهم فقط، بل يكون لها دورٌ مي المجتمع ككل. [1]

وعن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – قال: «بينما النبي صلى الله عليه وسلم يصلي رأى في قبلة المسجد نخامة فحكها بيده، فتغيظ ثم قال: "إن أحدكم إذا كان في الصلاة فإن الله حيال وجهه فلا يتنخمن حيال وجهه في الصلاة»[2].

قال القرضاوي: "والحكمة يراد بها: مخاطبة العقول بالأدلة العلمية المقنعة، وبالبراهين العقلية الساطعة، التي ترد على الشبهات بالحجج والبيانات، وترد المتشابهات إلى المحكمات، والظنيات إلى القطعيات، والجزئيات إلى الكليات، والفروع إلى الأصول. كما أن من الحكمة مخاطبة الناس بما يفهمون، وما تسيغه عقولهم، لا بما يعجزون عن فهمه. ومن الحكمة: أن تأخذ الناس بالرفق فيما نأمرهم به وما ننهاهم عنه، وأن نهيئ أنفسهم لتلقي الأمر والنهي قبل توجيهه إليهم، وأن نأخذ بالمنهج النبوي الذي أمر به الأمة في الدعوة والتعليم"[3]

1 العولمة جريمة تذويب الأصالة" عبدالصبور شاهين ، المعرفة العدد48.

2البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله، 10/ 517.

[3] القرضاوي، "خطابنا الإسلامي في عصر العولمة"، مرجع سابق، ص 31.

University of Malaya

ويؤكد القحطاني قائلا[1]: فهذه كلمات حكيمة قوية مؤثرة تصحبها الحكمة الفعلية، وما ذلك إلا لأن النبي صلى الله عليه وسلم أسوة الدعاة إلى الله، فقد قال صلى الله عليه وسلم: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[2].

4- تجدد الحرص في الدعوة إلى الله في كل زمان ومكان: ما أحسن أن تستشعر المسلمة فضل دعوة الأخريات للاستقامة والعمل الصالح، فتفوز بمثل أجورهن، قال صلى الله عليه وسلم ((أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا»))[3]. وقال بأبي هو وأمي وولدي والناس أجمعين صلى الله عليه وسلم "الدال على الخير كفاعله" وقال صلى الله عليه وسلم ((لأن يهدي الله بك رجلاً خير لك من حمر النعم))[4]. فلا بَدَّ أن يكون لمن تُريد إثبات جدارتها وتنال تلكم الأجور دورٌ في تثقيف بنات جنسها، وذلك من خلال المجتمع سواء أكان في أسرتها وبين بنات أرحامها، وجيرانها، أو في المدرسة أو الدار النسائية في حيها، أو الدار القريب من أهلها إذا زارتهم في مدينة أخرى، أو حيٍ آخر، وتستثمر أي مناسبة نسائية في استراحة أو قصر أفراحٍ، أو مشغل بالنصح والتوجيه والمذاكرة. كذلك أيضاً من خلال المجتمع فيما بين النساء من الزيارات التي تحصل فيها من الكلمات المفيدة ما يحصل، مستثمرةً المناسبات السعيدة والمحزنة بالتهنئة والتعزية؛ لقد كان عُلماؤنا يحرصون على ذلك، فكان لهم أثراً كبيراً. ولقد بلغنا – ولله الحمد – أن لبعض النساء دوراً كبيراً في هذه المسألة، وأنهن قد رتّبْنَ جلسات لبنات جنسهن في العلوم الشرعية، وحلقات تحفيظ القرآن، وتفسيره، وهذا لا شك أمر طيب تحمد المرأة عليه، وثوابه باقٍ لها الآن وبعد موتها لقول النبي صلى الله عليه وسلم " إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له" وهذا هو الاستثمار الحقيقي للحياة وما بعد الممات. فإذا كانت المرأة ذات نشاط في مجتمعها في نشر الدعوة، كان لها أثر كبير، ودور واسع في إصلاح[5] المجتمع، كما ينبغي لها أن تستشعر فضائل دعوة

---

1 سعيد بن علي بن وهف القحطاني، "الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى"، رسالة ماجستير، من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط1، (1423هـ) ص554.

2 مسلم، "الصحيح" كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، 1/ 69.

3مسلم، "الصحيح" كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة،ج4 ص 2060.

4 البخاري، "الصحيح" باب فضل من أسلم على يديه رجل، ج4 ص60.

5العولمة جريمة تذويب الأصالة" عبدالصبور شاهين ، المعرفة العدد:48.

University of Malaya

الأخريات عبر وسائل الإعلام محتسبةً الأجر عن الله فتشارك بقلمها في الجرائد والمجلات الإسلامية والمنتديات، تشترك فيها، سواء في الذب عن قيم دينها بالرد على دعاة تغريب المرأة فردٌ من امرأة على من يزعم تحريرها، خيرٌ – في نظري- من ألف رد من رجالٍ آخرين. قال صلى الله عليه وسلم ((والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، فتدعونه فلا يستجيب لكم)).[1]

وهذه المهمة – الدعوة – تصبح أثقل والمسؤولية فيها تكون أشد عندما تتعرض الأمة بالاضطراب، وتغشاها عوامل الفتن من داخلها أو من خارجها، وحينئذ قد يصاب الداعية بالخلل، وقد يغيب الرشد عن بعض مواقفه، وعندها لا تجد الرشد إلا بالرجوع إلى الحرص في أصل مهمته الدعوية.[2]

أو تكتب ابتداءً بنشر الخير الذي عندها مستثمرةً المناسبات الموسمية كالأجازات أو رمضان، أو الأعياد، أو عشر ذي الحجة، أو غيرها. وتقوم على إهدائها للأخوات وإرشادهن إلى أهم الموضوعات. والمقال القصير المقروء خير من الطويل الذي لا يقرأ. ثم تحرص – وفقها الله- على البحث عن الوسائل الجديدة والمشوقة في تبليغ دعوتها، ولكن في حدود الشرع وسيأتي الزمن الذي تسود فيه التقنية والمرئيات على الكتب والمؤلفات في اكتساب المعلومات.

5 – **محافظة الداعية لقدوة حسنة:** فالواجب على الداعية أن يطبق ما يقوله للمدعوين، وليس أن يخالف ما يقوله في تصرفاته، لأن من وسائل الدعوة عند الدعية ما يفعله من تصرفات وتحركات، وقد يتعلم الكثير من الداعية من خلال تصرفاته وتحركاته الحسنة المتمثلة بالأخلاق القرآنية والسنة النبوية.

من السمات الحسنة المؤثرة التي ينبغي أن تتحلى بها الداعية، أن تكون قدوة حسنة للأُخريات، لأن التأثير بالاقتداء والتقليد له قيمة كبيرة في نفوس المدعوات، ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة، وقدوة صالحة ليحتذي الناس بأقواله وأفعاله صلى الله عليه وسلم، أما من أسَرتْهَا نفسها، وأصبحت عبدةً لهواها، فلا يمكن أن تُنكر على الأُخريات.[3]

---

1 الترمذي، "السنن" ص 468، وحسنه الألباني.

2 القرضاوي، قضايا الأمة، الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، لجنة التأليف والترجمة، ص3.

3 العولمة والهوية الثقافية" من مجلة "فكر ونقد" العدد السادس.

University of Malaya

6- إظهار الرحمة على من يفعل المنكر والخوف عليه من عذاب الله: فإذا كانت المسلمة تنتمي لخير أمة أخرجت للناس فلتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾.[1] لتثبت جدارتها في ذلك ؛ وينبغي أن تستشعر الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر رحمة المدعوة، وأن تنظر إلى الواقعة في المنكر نظرة الشفقة عليها، والرغبة في الإحسان إليها؛ لكونها تتنازع مع الشيطان ومع هواها ومع نفسها الأمّارة بالسوء، لذا ينبغي عدم إعانة هؤلاء الأعداء عليها، بل الوقوف معها وفي صفّها حتى تتخلص من هذا الداء الذي ألمّ بها فقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه))[2]

وعليه أن يعرف الداعية على أن البشر ليس معصوما، لا بد أن يحصل الخلل والأخطاء والمعاصي من قبل الناس، لأن الناس ليسوا معصومين، وهو كذلك – الداعية – ليس معصوماً، لذلك على الداعية الرفق والرحمة مع المدعويين.[3]

كما أن الذي شرّع الحدود في الإسلام هو عالم الغيب والشّهادة، الخبير بمسالك النّفوس ودروبها، فجاءت لحكم عظيمة، منها الرّحمة بالمذنب حين يكون الحد كفّارة لما اقترف، والرحمة بالمجتمع حيث يسوده بتطبيق الحدود الأمن والبركة[4].

7- الرفق: وهو لين الجانب بالقول والفعل، والأخذ بالأسهل وهو ضد العنف. وقد سلك حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم جانب الرفق في دعوة الناس، وأولئك الذين كان يحتسب عليهم سواء كانوا من اليهود، أم من المشركين، أم من المسلمين. ولقد حث النبي الكريم صلى الله عليه وسلم المسلمين عامة ويدخل في ذلك الدعاة والمحتسبون من باب أولى بالرفق في جميع أمورهم، ومن ذلك جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لايعطي على العنف، وما لا يعطي سواه)).[5]

---

1 سورة آل عمران الآية: 110.

2 البخاري، "الصحيح" باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ج 1 ص 12.

3 انظر: القرضاوي، قراءة في واقع الأمة في الفترة الأخيرة، د.ط، د.ن، د.ت، 18.

4 انظر، الحدود في الإسلام، جمعة علي الخولي، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد 50 - 51.

5 مسلم، "الصحيح" باب فضل الرفق، رقم الحديث: (2593) ج4 ص 2003.

University of Malaya

وقال عليه الصلاة والسلام((من يحرم الرفق يحرم الخير)).[1] فلنقتدي بالحبيب صلى الله عليه وسلم باللين والرحمة والعفو والتسامح، قال تعالى عنه ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾.[2]

قال القرضاوي: "أن تأخذ الناس بالرفق فيما نأمرهم به وما ننهاهم عنه، وأن نهيئ أنفسهم لتلقي الأمر والنهي قبل توجيهه إليهم، وأن نأخذ بالمنهج النبوي الذي أمر به الأمة في الدعوة والتعليم"[3]

8- الصبر: إذا كان الصبر ضرورياً لكل مسلم ومسلمة، فإنه للتي تُريد أثبات جدارتها في إصلاح مجتمعها وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر أشد ضرورة؛ لأنها تعمل في ميدان استصلاح نفسها، وفي ميدان استصلاح غيرها، فإن المؤمن الذي يخالط الناس، ويصبر على أذاهم خير من ذلكم المؤمن الذي لا يخالط الناس، ولا يصبر على أذاهم. ولقد أدرك لقمانُ الحكيم هذه الحقيقة – التحلي بالصبر – حينما أوصى ابنه بوصايا متعددة ضمّنها التحلي بالصبر. قال تعالى ﴿ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾.[4] فلا بُدَّ أن تصبر الداعية إلى الله على ما ينالها من أذى كما صبر الرسل والصحابة والأئمة من قبل. كما ينبغي للمرأة ألا تستسلم للواقع، وتقول: سار الناس على هذا فلا أستطيع أن أغيّر، كما ينبغي ألا نغتر بالكثرة ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾.[5] ولأننا لو بقينا هكذا مستسلمين للواقع لم يتم الإصلاح، إذ إن الإصلاح لا بد أن يغير ما فسد على وجه صالح، ولا بد أن يغير الصالح إلى ما هو أصلح منه حتى تستقيم الأمور، ومن التحلى بالصبر ألا تتعجل المسلمة النتائج، ولا تظن بأحد الكمال، بل تنصح بلطف وتتابع باهتمام ولا تهمل.

---

1 المصدر السا بق، رقم الحديث: (2592) ج4 2003.

2العولمة والهوية الثقافية" من مجلة "فكر ونقد" العدد السادس.

3 القرضاوي، "خطابنا الإسلامي في عصر العولمة" مرجع سابق، ص 31.

4 سورة لقمان، الآية: 17.

5 سورة يوسف، الآية: 103.

University of Malaya

9– تقوى الله في السر: من المؤسف أن ينشغل المرء بدعوة الناس، عن نفسه، فسرعان ما ينضب معينه؛ فلا بُدَّ أن تُخصص الداعية إلى الله وقتاً كل يوم وليلة للخلوة مع الله، في عبادات لا يعلمها إلا الله وحده. ومن أعظم ما يوصي به علماؤنا قيام الليل، وعاء الأسحار، وفي السجود وبين النداءين، وصيام الهواجر، وصلاة الضحى، وأن يكون للداعية ورداً كل يوم من القرآن الكريم، والمحافظة على الأذكار، وأن يدعو لنفسها ولمن تريد دعوتهم، ولعمامة المسلمين بـ "يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلوبنا على طاعتك" أسأل الكريم الأكرم الجواد أن يوفق ولاة أمرنا "أمراء وعلماء" لما يحب ويرضى، وأن يجمع كلمتهم على الحق، وأن يرد كيد الكائدين لهذا الدين وهذا البلد في نحورهم، كما أسأله – وهو القريب السميع المُجيب– أن يوفقنا وإياكم لما يحبه ويرضاه، وأن يحفظ على بلادنا أمنها واستقرارها، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم[1].

خلاصة الفصل الرابع:

الإخلاص أساس العمل، وغاية كل شيء، واللبنة الأساسية في الشعائر والعبادات، وفي حياة الإنسان كلها. وهو روح كل عمل، والأعمال التي يستعظمها الناس، ويبذلون فيها الجهود، وعلى الداعية حسن النية في كل ما يفعله في شؤونه كلها.

لقد فشل الكثير في شؤون الدعوة لافتقارهم إلى الحكمة في الخطاب الدعوي، وأصبحوا غير قادرين في جذب الناس إلى الهداية، نتيجة أسلوبهم الغليظ الخاطئ.

يجب على الداعية معرفة السبل التي يرد على الشبهات بالبراهين والحجج الدامغة، ومعرفة سبل رد المتشابه إلى المحكم، والظني إلى القطعي، والجزئي إلى الكلي، والفرع إلى الأصل.

فالداعية الناجح هو الذي يخاطب الناس بما يفهمون، وما تقتضيه عقولهم، لا بما يعجزون عن فهمه.

فالداعية الناجح هو الذي يسوق الناس بالرفق والرحمة والشافية.

أي أن يكون لدى المرأة حكمة في الدعوة، وفي إيصال العلم إلى من تخاطب، والحكمة هي وضع الشيء في موضعه.

فالداعية يجد معوقات أمام قدر ثباته، فالعوارض النفسية التي توجد لدى الداعية هي العوامل أكثر تأثيراً لإعاقة قدرة ثبات الداعية. والبيئة الاجتماعية لها دور كبير في زعزعة ثبات الداعية كذلك.

فالنفس دائماً مزينة بالشهوات، لذلك يحتاج الإنسان إلى آليات تعينه في سد تلك المعوقات لضمان قدرته على الثبات. إن كثيراً ما يغتر الإنسان فى الحالة الحاضرة، ومن أخطرها العصر الحاضر المتمثل

[1] العولمة والهوية الثقافية" من مجلة "فكر ونقد" العدد السادس.

University of Malaya

بالعولمة، فينبغى للداعية أن لا يغتر بهذه الحالة، وخاصة في عصرنا هذه الذي أدخل فيها الزواهي والملاهي باسم العولمة.

University of Malaya

الخاتمة:

فالداعية الناجح هو الذي يتمسك بالمعاصرة والأصالة الحاضر مع البقاء والمحافظة على الثوابت، ولا تكون فكرته جامدة إلى جانب واحد، فالدنيا تغيرت وتبدلت، لذلك لا بد من الجمع بين طراز الماضي والأصالة الحاضر، وخاصة في عصرنا هذا المتمثل بالعصر العولمة، وهذه من الحكمة في الدعوة التي افتقر الكثير إليها.

فالداعية مطلوب أساساً من الحكمة في دعوته، أنه من تصور أنه سوف يرد الناس بالعصا والركل والشتم فقد أخطأ سواء السبيل، فقد خسر منهجه فقد أفلت الناس من يديه.

حب الناس عموماً وحب المدعوين خصوصاً من الأسرار التي تجعل الداعية أن يكون ناجحا في دعوته، حيث إن النبي صلى الله عليه وسلم زرع الحب في قلوب أصحابه رضوان الله عليهم، حتى كان الواحد منهم يتقدم أمامه بالسيف ويقول نفسي لنفسك الفداء يا رسول الله، لأنه أحب الناس كأبنائه بل أكثر حبا لأبنائه، وهذا هو السر الأعظم في نجاح دعوته عليه الصلاة والسلام.

يجب على الداعية تأهيل طلاب العلم الشرعي لتولي مهمة الدعوة في كل أرجاء المعمورة، ولمساعدته في دعوته، وتوزيع الحصص حسب الكفائة والقدرة. فاستعدادات الصحابة كان يدرسها عليه الصلاة والسلام، أعطى الأذان بلالا، والخلافة لأبي بكر الصديق، وعلى القافية والعروض لحسان بن ثابت، ومدرسة المواريث والفرائض لزيد بن ثابت، والأمانة لأبي عبيدة، والشجاعة وتصدي التحديات لعمر بن الخطاب، وهيئة العدل والإستشارة لعلي بن أبي طالب، وهذه هي استراتيجية الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوته، وهذا هو السر الأعظم من نجاح دعوته عليه الصلاة والسلام. وهذا الأمر يفوت على كثير من المعلمين والمربين والدعاة.

وأخيراً، من خلال هذه الدراسة والاستعراض لموضوع الرسالة استطاع الباحث التوصل إلى النتائج والتوصيات التالية:

University of Malaya

أولاً: نتائج البحث:

1– توصل الباحث عبر اطلاعه على كتب ودراسات من بينها دراسات الشيخ القرضاوي إلى أن الشيخ يتمتع بالثقافة العالية التي تناسب هذا العصر، ويحتاج إليها الداعية، وأن الشيخ يحرص على المعاصرة مع التمسك بالأصالة، وأنه يرى ضرورة تجديد الخطاب الإسلامي في هذا العصر المتمثل بالعصر العولمة، حتى يكون سببا لنجاح الداعية في دعوته وثوابته.

2– وجد الباحث أن الشيخ يمتلك رؤية معاصرة، وأنه جمع بين فوائد الماضي والحاضر، حيث يحلل ويقارن بين أصالة الماضي وعصرية الحاضر ويقول (لقد تطور العلم، وتطورت الصناعة، وتطورت معهما الأفكار والتقاليد، لقد تطورت وسائل النقل من الحمار والجمل إلى الطائرات والصواريخ، وتطورت وسائل الكتابة من القلم في اليد إلى المطبعة المتطورة، وتطورت وسائل الحرب من السيف والنبل إلى القنبلة النووية، فلا ينبغي أن يظل الإنسان كما هو، وكل شيء حوله تغير، ولا أن يظل الفكر كما هو، والدنيا تبدلت).

3– للعولمة إيجابيات، وعلى الداعية استفادة من تلك الإيجابيات التي قد تعينه على الثبات، ونجاحه في دعوته، إذا تعاملنا معها بطريقة جيدة ونستفيد من التعاون المشترك والتكامل بين القوي والضعيف، وإذا تعاملنا معها بطريقة جيدة فالدول النامية قد تستفيد منها، وكما أن للعولمة فوائد جمة من حيث استفادت من الدول المتقدمة، وللعولمة فوائد أيضاً للدول النامية التي تشارك في مضمار المنافسة الاقتصادية،وإن كانت السلبيات في العولمة هي الأكثر من الإيجابيات.

4– الدعوة الإسلامية تمر بوقت عصيب الذي هو عصر العولمة، وفي هذا العصر تحديات كبيرة جعلت الدعوة حملا ثقيلا على الدعاة في شتى البلدان والأقاليم، إثر التطورات الرهيبة في وسائل الإعلام المتنوعة، والانتشار الكثيف لوسائل التواصل الفردية والاجتماعية الحديثة التى تستهدف الدعوة والدعاة.

5– إن التقدم التكنلوجي يحُتِّم على الصروح العلمية، والدعائم الدعوية، والمجالس المعرفة والحوار، يحُتِّم عليها استخدامَ الوسائل الحديثة والتطورات المستجدة والتقنيات الحديثة لنشر الدعوة، ويوجب عليهم النزول إلى الميدان ومقارعة الحجة بالحجة؛ لنسف المفاهيم الخاطئة إذ أن لكل عصر من عصور الدعوة وسائل تناسبه علاوة على الأساليب التي ورِثناها عن سلفنا الصالح – نوّر الله مراقدهم وفي غرف الجنان أرقدهم– وأن الدعوة إلى الله تقع على كاهل كلٍّ حسب استطاعته.

6 – تم تشخيص تأثر المجتمعات الإسلامية إلى حد كبير بظاهرة العولمة، حتى أصبح الكثير من المجتمعات يرون الدعوة تخلفاً، ويرون في الدعاة بداوة ورجعية.

7 – الانتشار والتأثير السلبي الخطير للعولمة في الدعاة، وتأثير ذلك في الدعوة الإسلامية إلى حد كبير.

8 – معنى العولمة ليس كما يروجها أصحاب هذه الفكرة. حتى قال الشيخ القرضاوي: (فالظاهر الذي في العولمة هي فرض هيمنة سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية من الولايات المتحدة الأمريكية على العالم، وخصوصاً عالم الشرق والعالم الثالث، وبالأخص العالم الإسلامي، الولايات المتحدة بقوتها العلمية والتكنولوجية، وبقدرتها العسكرية الهائلة، وبإمكاناتها الاقتصادية الجبارة، وبنظرتها الاستعلائية التي ترى فيها نفسها أنها سيدة العالم، تريد أن تسوق البشر بعصاها!)

9– وجد الباحث أن العولمة تمثل محاولة لإجبار الشعوب على التمسك بالحضارة والثقافة الغربية، وهي عبارة عن استعمار جديد بثوب جديد وبأسلوب جديد. حتى قال الشيخ القرضاوي: (العولمة في أجلى صورها اليوم تعني: (تغريب العالم) أو بعبارة أخرى (أمركة العالم) إنها اسم مهذب للاستعمار الجديد الذي خلع أرديته القديمة، وترك أساليبه القديمة، ليمارس عهداً جديداً من الهيمنة تحت مظلة هذا العنوان اللطيف (العولمة). إنها تعني فرض الهيمنة الأمريكية على العالم، وأي دولة تتمرد أو تنشز لا بد أن تؤدب بالحصار أو التهديد العسكري، أو الضرب المباشر، كما حدث مع أفغانستان والعراق والسودان وإيران وليبيا. وكذلك تعني فرض السياسات الاقتصادية التي تريدها أمريكا عن طريق المنظمات العالمية التي تتحكم فيها إلى حد كبير، مثل البنك الدولي، وصندوق النقد الدولي، ومنظمة التجارة العالمية وغيرها.)

10– وجد أن العولمة تدعو إلى التركيز على الماديات والملاهي والزواهي، وترك شؤون الدين، وخاصة الدين الإسلامي، حيث إن العالم الإسلامي هو أكثر عرضة واستهدافا من قبل العولمة، حتى قال الشيخ: (كما تعني: فرض ثقافتها الخاصة التي تقوم على فلسفة المادية والنفعية، وتبرير الحرية إلى حد الإباحية، وتستخدم أجهزة الأمم المتحدة لتمرير ذلك في المؤتمرات العالمية، وتسوق الشعوب إلى الموافقة على ذلك بسياط التخويف أو التهديد، أو ببوارق الوعود والإغراء. وتجلى ذلك في مؤتمر (السكان) الذي عقد بالقاهرة في صيف 1994م، الذي أريد فيه أن تُمرر وثيقة تبيح الإجهاض بالإطلاق، وتجيز الأسرة الوحيدة الجنس، (زواج الرجال بالرجال، النساء بالنساء)

11 – إن من أهم الأسباب التي تجعل الداعية أن يكون ضعيفا في ثوابته هي: النشأة الأسرية، وصحبة أقران السوء، والغفلة أو النسيان، والإعجاب بالنفس، واليأس، والجهل بأساليب أو طرق الثبات، أو الابتعاد عنها.

12- عوامل ثبات الداعية تكمن في السعي إلى تزكية نفسه من كل رجس ونجس، وهي التي تعينه على الاستقامة، والثبات على الطاعات، فالداعية بحاجة إلى أن يهتم بجانب الروحي الذي هو الإيمان وتزكية النفوس، ثم بمبادئ الإسلام وثوابته ومنهجه.

13- ومن الوسائل المعينة في ثبات الداعية هو الاطلاع على قصص القرآن، وأخبار الأمم الغابرة من الرسل والأنبياء، معينة جداً للبقاء على قيد الثبات، ولا سيما في هذا العصر المتمثل بالعصر العولمة، وعلى الداعية الاطلاع على أخبار الأمم السالفة لمعرفة ما مروا به من المحن والفتن والبلاء، ومع ذلك ثبتوا على الحق ولم تزل أقدامهم، بل أصبحوا يعتبرون المِحَنَ مِنَح، والبلاء رحمة. وكذلك الاطلاع على سيرة السلف الصالح من الصحابة رضوان الله عليهم ومن تبعهم من التابعين والصالحين.

14 - من الوسائل المعينة في ثبات الداعية في المحن المعاصرة: الإقبال على القرآن، والالتزام بشرع الله، والعمل الصالح، والتدبر في قصص الأنبياء والصالحين، ودراستها للتأسي والعمل بها، والحرص على سلوك طريق أهل السنة والجماعة. وكذلك كون الأمر يتعلق بعصر العولمة لا بد من مراعاة الاختصاص والموضوعية.

15- من معوقات القدرة على االثبات: العوارض النفسية المتمثلة بالفساد العقيدي المنحرف، والاغترار بالحالة الحاضرة، والغرور بمتاع الحياة الدنيا وزينتها. 16- وجد الباحث أن من أهم السبل للتغلب على المعوقات. الإخلاص، العلم، الحكمة، الحرص على الدعوة إلى الله في كل زمان ومكان، محاولة حفاظ الداعية كالقدوة الحسنة، الرفق، الصبر.

University of Malaya

ثانيا: التوصيات:

1 – على الداعية الناجح أن يطلع على كتب الشيخ القرضاوي وأن يستفيد بنهج الشيخ من ثقافته ووعيه الذي يتناسب مع هذا العصر، إذ أن الشيخ القرضاوي يتمتع بالثقافة العالية التي يحتاج إليها الداعية، وعلى الداعية أن يحرص على المعاصرة والتمسك بالأصالة.

2 – على الداعية في هذا العصر أن يجمع بين الماضي والحاضر، حيث يحلل ويقارن بين أصالة الماضي وعصرية الحاضر، وأن لا يتغافل بنعم العصر الذي منّ الله علينا، ولا يبقى الفكر جامداً ومتخلفاً، لأن كل شيء تطور وتغير وتبدل في هذا العصر.

3– يوصي الداعية استخدام كل السبل والوسائل المتاحة شرعاً وقانوناً لمواجهة التحديات التي تعيق به في هذا العصر وفي هذا الوقت العصيب الذي يمر به العالم الإسلامي، حيث لوحظ انتشار كثيف لوسائل التواصل الفردية والاجتماعية الحديثة، التى تستهدف الإسلام بشكل عام.

4– ينبغى على الداعية أن يعطي قدراً من الاهتمام في توعية الناس بالأخطار التي تحيط بعصر العولمة، وأن الظاهر من معنى العولمة ليس كما يقوله أصحابها، بل هو اسم لطيف يستخدم لتمرير مخططات خبيثة التي تناقض الثقافة الإسلامية برمتها.

5– على الحكومات والمؤسسات الإسلامية والعلمية أن يعتنوا بروح الأصالة التي تجمع بين الماضي والحاضر في الأمور الدعوية عن طريق ترسيخ المفاهيم الصحيحة في المناهج الدعوية وتطبيق التعاليم الإسلامية والمناهج التربوية في العمل المدرسي الذي يواكب الحاضر، وأن يتم ذلك في جميع المراحل التعليمية .

6– ويوصي البحث أيضا الباحثين وطلبة العلم بتكثيف العناية في كتابة البحوث الجامعية وعقد الندوات والمؤتمرات للإشادة بمثل هذا الموضوع الهام الذي هو الجمع بين الماضي والحاضر لثبات الداعية في هذا العصر في الشؤون الدعوية، ويكون ذلك في كافة المجالات والمستويات.

7– الدعوة الإسلامية برنامج كامل ومنهج شامل لجميع مناحي الحياة، من ذلك توضيح وتجلية السبل والطرق التي تعين الداعية للثبات على هذا المنوال.

8– ثبات الداعية وخاصة في عصر العولمة يُفشِل مخططات أعداء الدعوة المعاصرين، ويتسنى للدعاة التصدي لها بالوسائل المشروعة مع الاستفادة من التقنية الحديثة في تقدم الدعوة.

9– الإكثار من العبادة وذكر الله مع الإخلاص يؤثر في نجاح الداعية، وكذلك فالاهتمام بنظافة الظاهر وطهارة الباطن من أهم متطلبات تحقيق الداعية لأهدافه والثبات عليها .

University of Malaya

10- ثمّة مقومات أساسية يجب على الداعية الالتزام بها مثل التحلي بالأخلاق الحميدة وهجر الأخلاق الذميمة ومن ذلك لزوم اتخاذ السبل الوقائية ضد مكائد الشيطان لأنه هو العدو الباطني للدعوة "لقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافّة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدوّ مبين).

11- تخصص في وسائل الإعلام برامج للحديث عن نماذِجَ في ثبات الأنبياء والمرسلين ومن نحى نحوهم في تكبد المشاق والصعاب في سبيل الدعوة إلى الله تعالى.

12- في مجال التأليف، فإذا كتب في موضوع من المواضيع المتعلقة بالدعوة يضمِّن فيه ما ورد في الكتاب والسنة وما جاء عن السلف الصالح في الحث على الثبات وعلى الدعوة رغم الصعاب والعراقيل والقلاقل والصعاب.

University of Malaya

فهرس المصادر والمراجع.

القرآن الكريم. برواية حفص عن عاصم، مطبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، بإشراف وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، عام 1426هـ.

1 أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، "إرشاد العقل السليم" دار إحياء التراث العربي – بيروت.

2 أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، المتوفى (774هـ)، "قصص الأنبياء" الطبعة: الأولى، (1388هـ - 1968م)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: مطبعة دار التأليف – القاهرة.

3 أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، "شعب الإيمان" "كتاب الصلوات، باب فضل الجمعة، رقم الحديث (9545) دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1، (1410هـ).

4 أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، باب من اسمه مقدام، "معجم الأوسط" القاهرة دار الحرمين، (1415هـ).

5 أبويعلى، أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي "مسند أبي يعلى الموصلي" دمشق، دار المأمون للتراث، (1404 هـ- 1984م).

6 أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي المتوفى (671هـ)، "الجامع لأحكام القرآن" ط:2، (1384هـ - 1964م) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية.

7 أبو داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، "السنن" طبعة دار الكتاب العربي، بيروت.

8 أبو داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، "السنن" طبعة دار الفكر.

9 أبو شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي الهمذاني الملقب إلكيا، "الفردوس بمأثور الخطاب" (1406هـ – 1986م) بيروت، دار الكتب العلمية.

10 أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني "المصنف" طبعة المكتبة العلمية، بيروت.

11 أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، "المستدرك" دار الكتاب العربي، طبعة بيروت.

University of Malaya

12 أبو العرب، محمد بن أحمد بن تميم التميمي المغربي الإفريقي، "المحن" ط:1، (1404هـ - 1984م) دار العلوم – الرياض، السعودية.
13 أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي "تفسير القرآن العظيم" ط:2، دار طيبة للنشر والتوزيع، (1420هـ - 1999م)
14 أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي، المتوفى (104هـ)، "تفسير مجاهد" ط:1، (1410هـ – 1989م) مصر، دار الفكر الإسلامي.
15 أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، المتوفى (468هـ) "الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" ط:1، (1415هـ) تحقيق: صفوان عدنان داوودي دار النشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق، وبيروت.
16 أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، المتوفى (510هـ)، "معالم التنزيل في تفسير القرآن" حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر، بيروت، دار طيبة للنشر.
17 أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب، "التفسير الكبير" (1420 هـ) بيروت، ط:3، دار إحياء التراث العربي.
18 ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، "فتح الباري شرح صحيح البخاري" دار المعرفة ، (1379) بيروت.
19 ابن رجب "فتح الباري، رواه البخاري" (1417 هـ - 1996 م)، مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة النبوية، مكتب تحقيق دار الحرمين القاهرة.
20 ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، "الوابل الصيب" ط1، (1405هـ) دار الكتاب العربي، بيروت.
21 ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، "مجموع الفتاوى" دار الوفاء، ط:3، (1426هـ 2005م).
22 ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد، المتوفى (273هـ)، "السنن" تحقيق: محمد فؤاد عبد، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي.
23 ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، "الفوائد" دار الكتب العلمية، بيروت، ط:2، (1393 – 1973).

University of Malaya

24ابن القيم، محمد بن أبي بكر الزرعي، "الداء والدواء" ت مُحَمَّد أجمل الإصْلاَحي، ط: 1، (1429) ط دار عالم الفوائد بجدة.
25ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، "إغاثة اللهفان" (1395 – 1975) ط:2بيروت، دار المعرفة.
26ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم" ط:1، (1358هـ) بيروت: دار صادر.
27ابن أبي العز، محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد الحنفي، "شرح الطحاوية" ط دار السلام.
28ابن هشام عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، "السيرة النبوية" بيروت دار الجيل، بدون سنة النشر.
29ابن العربي، "أحكام القرآن" تحقيق علي محمد البجاوي، طبعة دار الفكر.
30ابن ماجة، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، "السنن" بيروت، دار الفكر.
31ابن أبي شيبة، "المصنف" تحقيق، كمال يوسف الحوت، ط: 1، (1409) مكتبة الرشد، الرياض.
32ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي "مصنف ابن أبي شيبة" الدار السلفية الهندية القديمة.
33ابن أبي شيبة، أبو بكر بن أبي شيبة عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي، "المصنف في الأحاديث والآثار" "المصنف" تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط مكتبة الرشد، الرياض، ط:1، (1409هـ).
34ابن عاشور ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير" تونس، الدار التونسية للنشر،سنة النشر: (1984هـ).
35إبراهيم بن مبار،"العولمة ودور الحضارات " الجوير القاهرة ، عين شمس ووقفة إبريل 2002.
36أبي زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة المتوفى (1394هـ)، "زهرة التفاسير" طبعة دار الفكر العربي.
37اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (18 من شهر ديسمبر 1979م. ودخلت حيز التنفيذ 3 من شهر سبتمبر 1981م.)

University of Malaya

38 "العولمة وأثرها الثقافية" مقالة منشورة.
39 أحمد، عزت السيد، "انهيار مزاعم العولمة" اتحاد الكتاب، دمشق، (2000م)
40 أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى (770هـ)، "المصباح المنير في غريب الشرح الكبير" الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.
41 أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، "مسند أبو يعلى" باب مسند جابر، دمشق، للتراث (1404هـ – 1984م) دار المأمون.
42 أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، "المسند"حديث كَعْبِ بن مَالِكٍ الأنصاري، مصر، مؤسسة قرطبة.
43 أحمد صدقي، الدجاني، "مفهوم العولمة وقراءة تاريخية للظاهرة" صحيفة القدس، 1998/2/6م.
44 أحمد بن حنبل أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المتوفى (241هـ)، "المسند" المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الحديث – القاهرة، ط: 1، (1416 هـ - 1995م).
45 الأخلاق في الإسلام، موقع الإسلام، http://www.al-islam.com.
46 إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني، المشهور بالصاحب بن عباد، المتوفى، (385هـ). "المحيط في اللغة" بدون طبعة ونشر.
47 أسامة محمد فؤاد، "الدعوة الإسلامية فى ظل العولمة" جامعة القاهرة.
48 الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، "حلية الأولياء" بيروت: دار الكتاب العربي، ط: 4، (1405).
49 آل عابد، أبوبكر محمد بن بكر، "حديث القرآن الكريم عن غزوة الرسول - صلى الله عليه وسلم" دار الغرب الإسلامي، ط:1، بيروت – لبنان.
50 أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي المتوفى (1094هـ)، "الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية" المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.
51 بهاء الدين، محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي الهمذاني، "الكشكول" تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، ط:1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (1418هـ - 1998م)

University of Malaya

52 باشميل، محمد أحمد، "من معارك الإسلام الفاصلة غزوة أحد" دار الفكر، بيروت لبنان، (1983م).
53 باسيل، يوسف، "حقوق الإنسان من العالمية الإنسانية والعولمة السياسية" مجلة الموقف الثقافي، العدد 10، 3 تموز عام 1997م، دار الشؤون الثقافية،بغداد.
54 البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، "السنن الكبرى" ط: 3، (1424 هـ - 2003 م) تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات.
55 البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، "السسن الكبرى" باب في الزهد وقصر الأمل، ط:1، (1410هـ) بيروت، دار الكتب العلمية.
56 البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، المتوفى (510هـ)، "معالم التنزيل في تفسير القرآن" حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر، بيروت، دار طيبة للنشر.
57 الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، "الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية" تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ط:3، (1407هـ – 1987م) دار العلم للملايين، بيروت.
58 الجابري، محمد عابد، "العرب والعولمة" مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، (1998م)
59 الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، "البيان والتبيين" ط: دار ومكتبة الهلال، بيروت.
60 حجازي ،محمود فهمي، مقال، ، مجلة الهلال مارس 2001م، عدد القاهرة.
61 حسن مصطفى عبد المعطي، هدى محمد قناوي، علم نفس النمو، الناشر: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.
62 حامد عبد السلام زهران، التوجيه والإرشاد النفسي، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الثالثة.
63 حمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، المتوفى (395هـ)، "معجم مقاييس اللغة" المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: (1399هـ – 1979م)
64 خلف، طلال محمد وفورة، ناهض صبحي (2011) "دور العلماء في الدفاع عن القدس وفلسطين"، غزة، ط1.

University of Malaya

65 خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ)، "الأعلام" ط: 15، (2002م) الناشر: دار العلم للملايين.
66 الخضري، محمد بن عفيفي الباجوري، المعروف بالشيخ الخضري "نور اليقين" دار الفيحاء – دمشق، ط: 2، (1425هـ)
67 الخرائطي، أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر، "اعتلال القلوب" ط:1، تحقيق: حمدي الدمرداش، الناشر: نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة- الرياض، (1421هـ2000م) دارئرة المعارف الإسلامية، مركز الشارقة" تحقيق: هوتسما وأرنولد. باسيت – هارتمان. أشراف محمد سمير سرحان، مراجعة علمية حسن جبيشي، عبد الرحمن عبد الله الشيخ، محمد عناني، ط1، (1998)
68 الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان "الكبائر" ط دار الندوة الجديدة بيروت.
69 الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب، "مفاتيح الغيب، التفسير الكبير" ط:3، (1420هـ) بيروت دار إحياء التراث العربي.
70 الراغب، الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم، "مفردات ألفاظ القرآن" دار القلم. دمشق.
71 الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المتوفى، (502هـ) "المفردات في غريب القرآن" تحقيق: صفوان عدنان الداودي ط: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط:1، (1412هـ).
72 زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري المتوفى (1031هـ) "فيض القدير شرح الجامع الصغير" الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، ط: 1، (1356هـ).
73 الزرقاء مصطفى، "حجة العصر وهو من نعمة الله على المسلمين، يوسف القرضاوي" كلمات في تكريمه، دار السلام، القاهرة (2004م)
74 الزحيلي، وهبة بن مصطفى الزحيلي، "كتاب الوسيط للزحيلي" ط:1، (1422هـ) دمشق، دار الفكر.
75 الزحيلي، وهبة بن مصطفى الزحيلي، "التفسير المنير" ط:2، (1418هـ) دمشق، دار الفكر المعاصر.

University of Malaya

76 سعيد بن علي بن وهب القحطاني، فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، ط: 1، (1421هـ)، الناشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.
77 سعيد بن علي بن وهب القحطاني، "الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى"، رسالة ماجستير، من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط1، (1423هـ)
78 سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي المتوفى (1385هـ)، "في ظلال القرآن" ط:17، (1412هـ) الناشر: دار الشروق بيروت و القاهرة.
79 سليمان بن عبد الرحمن الحقيل، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ضوء الكتاب والسنة، الطبعة: الرابعة، (1417هـ - 1996م).
80 سعيد بن علي بن وهف القحطاني، "مفهوم الحكمة في الدعوة إلى اللَّه تعالى في ضوء الكتاب والسنة" دط، تحقيق، دار الرياض، مطبعة سفير.
81 السيوطي، جلال الدين (911هـ) "الدرر المنثور في التفسير بالمأثور" دار المعرفة بيروت لبنان.
82 شبكة الشفاء الإسلامية - http://www.ashefaa.com
83 شوك أحمد إبراهيم أبو شوك، "الهوية الإسلامية والعولمة الوضعية جدلية الثابت والمتغير" مقدم إلى مؤتمر مكة المكرمة الثالث عشر، "المجتمع المسلم ... الثوابت والمتغيرات".
84 شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، المتوفى (748هـ)، "سير أعلام النبلاء" ط: 3، (1405 هـ / 1985م)، المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر : مؤسسة الرسالة.
85 الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني، المتوفى (1250هـ) "فتح القدير" ط:1، (1414هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت.
86 الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي المتوفى (1393هـ)، "أضواء البيان" (1415 هـ - 1995م) لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر.
87 الشاشي، أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي، "المسند للشاشي" (1410هـ) باب ماروي التابعون من أهل الكوفة، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم.

University of Malaya

88 صالح الرقب، "بين عالمية الإسلام والعولمة" مقدم لمؤتمر التربية الأول بعنوان "التربية في فلسطين ومتغيرات العصر" (1425هـ - 2004م)
89 صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي ، "الوافي بالوفيات" (1420هـ-2000م) دار إحياء التراث – بيروت.
90 الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني،" المعجم الأوسط"، باب من اسمه إبراهيم، ط: 1 (1415هـ) القاهرة - دار الحرمين.
91 الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر، "جامع البيان"، ط: 1، (1422 هـ - 2001م) دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.
92 الطبري، "جامع البيان" مؤسسة الرسالة، ط : 1، (1420 هـ - 2000م)
93 ظهير، تميم (2005): "سبل النهوض بالدعوة الإسلامية"، مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر، الجامعة الإسلامية، – غزة، وموقع وكالة فلسطين اليوم الإخبارية (عينك على فلسطين)، http://paltoday.ps/ar/post/46887
94 عباس محجوب، التربية الإسلامية ومراحل النمو، الناشر: الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة 13 / العدد 52 - 1401 هـ).
95 عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي المتوفى: (911هـ)، "الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج" حقق أصله، وعلق عليه: أبو اسحق الحويني الأثري، الناشر: دار ابن عفان للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية – الخبر ط: 1، (1416 هـ - 1996 م).
96 عبد الكريم زيدان، "أصول الدعوة" ط: 9،(1421هـ-2001م) الناشر: مؤسسة الرسالة.
97 عبد الرحمن يحي، "مقومات الثبات على الهداية" دار النشر للوطن.
98 عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي ، "صراع مع الملاحدة حتى العظم" ط:5، (1412 هـ - 1992 م)، الناشر: دار القلم، دمشق.
99 عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، الطبعة: التاسعة (1421هـ-2001م) الناشر: مؤسسة الرسالة.
100 عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، "السيرة النبوية" تحقيق: مصطفى السقاط، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط:1، (1375هـ - 1955م)

University of Malaya

101 عزيز بن فرحان العنزي، "البصيرة في الدعوة إلى الله"، ط:1، الناشر: دار الإمام مالك – أبو ظبي، (1426هـ – 2005م).
102 علي محمد محمد الصلابي، "الوسطية في القرآن"، ط:1، (1422 هـ – 2001 م) الناشر: مكتبة الصحابة، الشارقة – الإمارات، مكتبة التابعين، القاهرة – مصر.
103 "العولمة والهوية الثقافية" من مجلة "فكر ونقد" العدد السادس.
104 "العولمة جريمة تذويب الأصالة" عبدالصبور شاهين، المعرفة العدد48.
105 "العولمة الإعلامية" موسوعة البحوث والمقالات العلمية، جمع وإعداد مركز البحوث في القرآن والسنة.
106 عائض بن عبد الله القرني، "قصة الرسول وروائع السيرة" بدون الطبعة والنشر.
107 عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل المتوفى (544هـ)، "مشارق الأنوار على صحاح الآثار" دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث.
108 الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، ط دار المعرفة – بيروت.
109 الغضبان منير محمد، "المنهج التربوي للسيرة النبوية" (1991) مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط:1.
110 القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، "التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة" ط: 1، (1425هـ) تحقيق: الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض.
111 القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، "الجامع الأحكام القرآن" (1423 هـ/ 2003م) دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية.
112 القرضاوي، "خطابنا الإسلامي في عصر العولمة" ط:1، (1324هـ 2004م)، دار الشروق، مصر – القاهرة.
113 القرضاوي، "ثقافة الداعية" ط: 10، الناشر: مكتبة وهبة، مصر – القاهرة، (1416هـ – 1996م)
114 القرضاوي، لقاءات ومحاورات حول قضايا الإسلام والعصر، – الإسلام ... والغرب – د.ط، د.ن، د.ت.
115 القرضاوي، تاريخنا المفترى عليه، د.ط، د.ن، د.ت.

University of Malaya

116 القرضاوي، حاجة البشرية إلى الرسالة الحضارية لأمتنا، د.ط، د.ن، د.ت.
117 القرضاوي، الإسلام حضارة الغد، د.ط، د.ن، د.ت.
118 القرضاوي، المحنة في واقع الحركة الإسلامية المعاصرة، د.ط، د.ن، د.ت.
119 القرضاوي، المسلمون والعولمة، د.ط، د.ن، د.ت.
120 القرضاوي، قضايا الأمة، د.ط، الناشر: الاتحاد العالمي لعلماء المسلين، لجنة التأليف والترجمة، د.ت.
121 القرضاوي، قراءة في واقع الأمة في الفترة الأخيرة، د.ط، د.ن، د.ت.
122 القرضاوي، الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، د.ط، د.ن، د.ت.
123 حسين حلاوة، (٢٠٠٧م م/ 1428هـ) فقه الأقليات عند الشيخ القرضاوي، د.ط، الدوحة – قطر.
124 مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي المتوفى سنة (817 هـ) "القاموس المحيط" تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ط: الثامنة، (1426 هـ - 2005م)
125 مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى (606هـ)، "النهاية في غريب الحديث والأثر" الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، (1399هـ - 1979م) تحقيق: طاهر أحمد الاوى - محمود محمد الطناحي.
126 مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي، المتوفى (104هـ)، "تفسير مجاهد" ط:1، (1410هـ – 1989م) مصر، دار الفكر الإسلامي الحديثة.
127 محمد موسى الشريف "الثبات" ط :1، درا الأندلس للنشر والتوزيع، مصر – القاهرة، (1429هـ – 2008م)
128 محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه صحيح البخاري" ط: 1، (1422هـ)، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة.

University of Malaya

129 محمد متولي الشعراوي، محمد متولي الشعراوي المتوفى (1418هـ) "تفسير الشعراوي – الخواطر" الناشر: مطابع أخبار اليوم، (1998م)

130 محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، المتوفى (1393هـ)، "التحرير والتنوير" الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: (1984هـ)

131 محمد موسى الشريف "الثبات" ط :1، درا الأندلس للنشر والتوزيع، مصر – القاهرة، (1429هـ – 2008م).

132 محمد بن صالح بن محمد العثيمين، شرح رياض الصالحين، الطبعة: (1426هـ)، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض.

133 محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، المتوفى (279هـ) "السنن" المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر: (1998م)

134 محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، المتوفى (310هـ)، "جامع البيان في تأويل القرآن" الطبعة: الأولى، (1420 هـ - 2000م)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة.

135 محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى المتوفى (711هـ) "لسان العرب" ط: الثالثة، (1414هـ) الناشر: دار صادر – بيروت.

136 محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، "مختار الصحاح" (د.ط)، تحقيق : محمود خاطر، (مكتبة لبنان، ناشرون – بيروت، (1415 – 1995)

137 محمد أحمد جاد المولى، "قصص الأنبياء" مكتبة المدينة، مصر – القاهرة.

138 مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المتوفى (261هـ)، "المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم" تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

139 مسلم، "الصحيح" كتاب الرقاق باب أكثر أهل الجنة الفقراء، رقم الحديث، (7124) بيروت دار الأفاق الجديدة.

University of Malaya

140 مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي، "الموطأ للامام مالك" كتاب قصر الصلاة في السفر، باب انتظار الصلاة والمشي إليه، رقم الحديث (348) مصر، دار إحياء التراث العربي.

141 مناهج جامعة المدينة العالمية، أصول الدعوة وطرقها4، دت، دط، السعودية، جامعة المدينة العالمية.

142 المتولي الشعراوي، "قصص الأنبياء" دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، مصر – القاهرة.

143 المخزومي، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي، "تفسير مجاهد" ط: 1 (1410 هـ - 1989م) تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، ط دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر.

144 المستقبل لهذا الدين، وهو موجود على الإنترنيت منبر التوحيد والجهاد، http://www.tawhed.ws و http://www.almaqdese.com لسيد قطب.

145 نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب الأعمال بالخواتيم، دار الفكر، بيروت، (1412هـ)

146 منظمه رابطة العالم الإسلامي مكة المكرمة، 4 - 5 ذو الحجة / 1432هـ الموافق (20 - 21/ 10 2012م.)

147 ناصر بن سلميان العمر، "رسالة مسلم في حقبة العولمة" مركز الدراسات الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، --الدوحة - قطر، ربيع الأول، (1324هـ)

148 النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود، "مدارك التنزيل وحقائق التأويل المعروف بتفسير النسفي" ط: 1، (1419 هـ - 1998م) تحقيق: يوسف علي بديوي، ط دار الكلم الطيب، بيروت.

149 الهيثمي، الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، "مجمع الزوائد" باب ما جاء في العجب عن أنس، رواه البزار وإسناده جيد، بيروت، دار الفكر، (1412 هـ 1992)

University of Malaya

150 الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ) "الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" ط:1، (1415هـ) تحقيق: صفوان عدنان داوودي دار النشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت.

151 وهبة بن مصطفى الزحيلي، " التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج" ط:2، (1418 هـ)، الناشر : دار الفكر المعاصر – دمشق.

152 وثيقة مؤتمر السكان والتنمية رؤية شرعية للحسيني سليمان جاد ص17 (سلسلة كتاب الأمة عدد 53 وزارة الأوقاف – قطر 1417هـ).والمفوضية السامية لحقوق الإنسان، إدارة الشؤون الإعلان، الأمم المتحدة، نيويورك، الولايات المتحدة الأمريكية، اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (18 من شهر ديسمبر 1979م. ودخلت حيز التنفيذ 3 من شهر سبتمبر 1981م.)

153 "العولمة وأثرها الثقافية" مقالة منشورة.

154 يوسف العاصي إبراهيم الطويل، "الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم (الجذور –الممارسة – سبل المواجهة)، مصر، صوت القلم العربي، ط2، (1431 هـ - 2010م).

المراجع الإنجليزية:

[1]- Adriana Manolică, România, GLOBALISATION – *ADVANTAGES AND DISADVANTAGES FROM THE PERSPECTIVE OF THE MANUFACTURER*. P. 4.

[2]Eddy Lee Marco Vivarelli. 2006. Geneva. The *Social Impact of Globalization in the Developing Countries*. P. 11.

[3] - European Commission Group of Policy Advisors. *Making Sense of Globalization*. A Guide to the Economic Issues. P. 33.

[4] - Muhammad Akram Ch, Muhammad Asim Faheem, Muhammad Khyzer Bin Dost, Iqra Abdullah. 2011. Lahore, *Globalization and its Impacts on the World EconomicDevelopment*. P. 296.

[5] - Mojmir Mrak. 2000, *Globalizations: Trends, Challenges, and Opportunities for Countries in Transition* Vienna. United Nations Industrial Organizatio.

[6] - Nayef R.F. Al-Rodha. June 19, 2006. *Program on the Geopolitical Implications of Globalization and Transnational Security*, Geneva Centre for Security Policy. P.23.

University of Malaya

7 - Olubukola S. Adesina. 2012. *The Negative Impact of Globalization on Nigeria.* Ibadan Nigeria. Vol 2. No *15.*

[8] - *Simon Reich. 1998. WHAT IS GLOBALIZATION? Four Possible Answers. The Hellen Kellogg Institute for International Studies.*

University of Malaya